الكتاب : أيسر التفاسير

المؤلف : أبو بكر الجزائري

مصدر الكتاب : موقع التفاسير

http://www.altafsir.com

[الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

الجزء الخامس

من بداية سورة مريم إلى نهاية سورة الفرقان

– سورة مريم –

كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ
شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5)
يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7)

شرح الكلمات :

{ كَهَيَعَص } : هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص كاف ، هاء يا عين صاد . ومذهب السلف أن يقال فيها : الله أعلم بمراده بذلك .

{ ذكر رحمة ربك : أي هذا ذكر رحمة ربك .

{ نادى ربه } : أي قال : يا رب ليسأله الولد .

{ نداءً خفيا } : أي سر بعداً عن الرياء .

{ وهن العظم مني } : أي رق وضعف لكبر سني .

{ واشتعل الرأس شيباً } : أي انتشر الشيب في شعر انتشاراً النار في الحطب .

{ ولم أكن بدعائك رب شقيا } : أي إنك لم تخيبني فما دعوتك فيه قبل فلا تخيبني اليوم فيما أدعوك فيه .

{ وإني خفت الموالي } : أي خشيت بني عمر أن يضيعوا الدين بعد موتي .

{ إمرأتي عاقراً } : لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم .

{ فهب لي من لدنك ولياً } : أي ارزقني من عندك ولداً .

{ ويرث من آل يعقوب } : أي جدي يعقوب العلم والنبوة .

{ واجلعه رب رضيا } : أي مرضيا عندك .

{ سمياً } : أي مسمى يحيى .

معنى الآيات :

أما قوله تعالى : كَهَعيص فإن هذا من الحروف المقطعة والراجح أنها من المتشابه الذي نؤمن به ونفوض فهم معناه لمنزله سبحانه وتعالى فنقول : { كهيعص } الله أعلم بمراده به . وأما قوله تعالى : { ذكر رحمة ربك عبده زكريا } فإن معناه : مما تتلو عليك في هذا القرآن يا نبينا فيكون دليلاً على نبوتك ذكر رحمة ربك التي رحم بها عبده زكريا حيث كبرت سنه ، وأمراته عاقر لا يولد لها ورغب في الولد لمصلحة الدعوة الإسلامية إذ لا يوجد من يخلفه فيها إذا مات نظراً الى ان الموجود من بني عمه ومواليه ليس بينهم كفؤ لذلك بل هم دعاة الى السوء فنادى ربه نداً خفياً قائلاً : { رب إني وهن العظم مني } أي رق وضعف ، { واشتعل الرأس شيباً } أي شاب شعر رأسي لكبر سني ، { ولم أكن بدعائك رب شقيا } أي في يوم من الأيام بمعنى أنك عودتي الاستجابة لما ادعوك له ولم تحرمني استجابة دعائي فأشقى به دون الحصول على رغبتي . { وإني } يا ربي قد { حفت الموالي } أن يضيعوا هذه الدعوة دعوة الحق التي هي عبادتك بما شرعت وحدك لا شريك لك ، وذلك بعد موتي { فهب لي من لدنك } أي من عندك تفضلاً به على إذ الأسباب غير متوفرة للولد : المرأة عاقر وأنا شيخ كبير هرم ، { ولياً } أمر هذه الدعوة بعد وفاتي فيرثني فيها { ويرث

من آل يعقوب } جدي ما تركوه بعدهم من دعوة أبيهم وهي الحنفية عبادة الله وحده لا شريك له { واجله رب رضيا } أي وأجعل الرب تبارك وتعالى بما في قوله : { يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا } أي من سمي باسمه يحيى قط .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بإخباره بهذا الذي أخبر به عن زكريا عليه السلام .

2- استحباب السرية في الدعاء لأنه أقرب الى الاستجابة .

3- وجود العقم في بعض النساء .

4- قدرة الله تعالى فوق الأسباب إن شاء تعالى أوقف الأسباب وأعطى بدونها .

5- تقرير مبدأ أن الأنبياء لا يورثون فيما يخلفون من المال كالشاه والبعير وإنما يورثهم الله أولادهم في النبوة والعلم والحكمة .

(404/2)

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15)

شرح الكلمات :

{ أنى يكون لي غلام ؟ } : أي من أي وجهٍ وَجِهَةٍ يكون لي ولد .

{ عتياً } : أي يبست مفاصلي وعظامي .

{ آية } : أي علامة تدلني على حمل أمراتي .

{ سوياً } : أي حال كونك سوي الخلق ما بك عليه خرس .

{ من المحراب } : المصلى الذي يصلي فيه وهو المسجد .

{ فأوحى إليهم } : أومأ إليهم وأشار عليهم .

{ وآتيناه الحكم صبياً } : الحكم الحكمة بمعنى واحد وهما الفقه في الدين ومعرفة اسرار الشرع .

{ وحناناً من لدنا } : أي عطفاً على الناس موهوباً له من عندنا .

{ وزكاة } : اي طهارة من الذنوب والآثام .

{ جبرا عصياً } : أي متعاليا لا يقبل الحق عصياً لا يطيع أمر الله عز وجل وأمر والديه .

{ وسلام عليه } : أي أمان له من الشيطان أن يمسه بسوء يوم يولد ، وأمان له من فتاني القبر يوم يموت ، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر رحمة الله وعبده زكريا إنه لما بشره ربه تعالى بيحيى قال : ما أخبر به تعالى عنه في قوله : { قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً } أي من أي وجه يأتيني الولد أمن غير أمراتي ، أم منها ولكن تهبني قوة على مباضعتها وتجعل رحمها قادرة على العلوق ، لأني كما تعلم يا ربي قد بلغت من الكبر حداً بس فيه عظمي ومفاصلي وهو العتى كما أن امراتي عاقر لا يولد لها . فأجابه الرب تبارك وتعالى بما في قوله عزوجل : { قال كذلك } أي الأمر كما قلت يا زكريا ، ولكن { قال ربك هو على هين } أي إعطاؤك الولد على ما أنت عليه من الضعف والكبر وامرأتك من العقر سهل يسير لا صعوبة فيه ويدلك على ذلك أني { قد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً } فكما قدر ربك على خلقك ولم تك شيئاً فهو قادر على هبتك الولد على ضعفك وعقر امرأتك وهنا طالب زكريا ربه بان يجعل له علامة تدل على وقت حمل امرأته بالولد فقال ما أخبر به تعال في قوله : { قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً } فأعطاه تعالى علامة على وقت حمل امراته وهي ان يصبح يوم بداية الحمل لا يقدر على الكلام وهو سوي البدن ما به خرس ولا مرض يمنعه من الكلام ، { فخرج على قومه من المحراب } أي المصلى الذي يصلي فيه { فأوحى إليهم } أي أومأ وأشار إليهم { ان سبحوا بكرة وعشياً } أي اذكروا الله في هذين الوقتين بالصلاة والتسبيح . وهنا علم بحمل ارمرأته إذا إمتناعه عن الكلام مع سلامة جسمه وحواسه آية على بداية الحمل ، وهنا علم بحمل أمراته إذ إمتناعه عن الكلام مع سلامة جسمه وحواسه آية على بداية الحمل .

(405/2)

وقوله تعالى : { يا يحيى خذا الكتاب بقوة } هذا قول الله تعالى للغلام بعد بلوغه ثلاث سنين أمره الله تعالى أن يتعلم التوارة ويعمل بها بقوة جد وحزم وقوله { وآتيناه الحكم صبياً } أي وهبناه الفقه في الكتاب ومعرفة أسرار الشرع وهو صبي لم يبلغ سن الاحتلام . وقوله تعالى { وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً } أي ورحمة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبياً أنه عليه السلام كان ذا حنان على أبويه وغيرهما من المسلمين وقوله { وزكاة } أي طهارة من الذنوب باستعمال بدنه في طاعة ربه عزوجل { وكان تقياً } أي خائفاً من ربه فلا يعصه بترك فريضة ولا يفعل حرام .

وقوله تعالى : { وبراً بوالديه } أي محسنا بهما مطيعاً لهما لا يؤذيهما أدنى أذى وقوله { ولم يكن جباراً عصياً } أي لم يكن عليه السلام مستكبراً ولا ظالماً ، ولا متمرداً عاصياً لربه ولا لأبويه وقوله : { وسلام عليه يوم ولد } أي أمان له من الشيطان يوم ولد ، وأمان له من فتانى القبر يوم يموت ، وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حياً ، فسبحان الله ما أعظم فضله وأجزل عطاءه على أوليائه ، اللهم أمنا كما أمنته فإنك ذو فضل عظيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- طلب معرفة السبب الذي يتأتى به الفعل غير قادح في صاحبه فسؤال زكريا عن الوجه الذي يأتي به الولد ، كسؤال

إبراهيم عن كيفية إحياء الموتى .

2- جواز طلب العلامات الدالة على الشيء .

3- آية عجيبة أن يصبح زكريا لا يتكلم فيفهم غيره بالإشارة فقط .

4- فضل التسبيح في الصباح والمساء .

5- وجوب أخذ القرآن بجد وحزم وحفظاً وعملاً بما فيه .

6- صدق قول أهل العلم من حفظ القرآن في سن ما قبل البلوغ فقد أوتي الحكم صبياً .

7- وجوب البر بالوالدين ورحمتهما والحنان عليهما والتواضع لهما .

(406/2)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21)

شرح الكلمات :

{ واذكر في الكتاب } : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها .

{ مريم } : هي بنت عمران والدة عيسى عليه السلام .

{ إذا انتبذت } : أي حين اعتزلت أهلها باتخاها مكاناً خاصاً تخلو فيه بنفسها .

{ شرقيا } : أي شرق الدار التي بها أهلها .

{ حجابا } : أي ساتراً يسترها عن أهلها وذيها .

{ روحنا } : جبريل عيله السلام .

{ بشراً سوياً } : أي تام الخلق حتى لا تفزع ولا تروع منه .

{ إن كنت تقياً } : أي عاملاً بإيمانك وتقواك لله فابتعد عني ولا تؤذني .

{ ولم يمسني بشر } : أي لم أتزوج .

{ ولم أك بغياً } : أي زانية .

{ قال كذلك } : أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب .

{ هو على هين } : ما هو إلا أن ينفخ رسولنا كم درعك حتى يكون الولد .

{ ولنجعله آية للناس } : أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ما جاء به .

{ أمراً مقضيا } : أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتماً لا محالة .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة مريم عليها السلام إذ قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم { واذكر في الكتاب } أي القرآن الكريم { مريم } أي نبأها وخبرها ليكون ذلك دليلاً على نبوتك وصدقك في رسالتك وقوله { إذا انتبذت } أي اعتزلت { من أهلها } هذا بداية القصة وقوله { مكاناً شرقياً } أي موضعاً شرقي دار قومها وشرق المسجد ، ولذا اتخذ النصارى المشرق قبله لهم في صلاتهم ولا حجة لهم في إلا الإبتداع وإلا فقبلة كل مصلي لله الكعبة بيت الله الحرام قوله تعالى : { فاتخذت من دونهم } أي من دون أهلها { حجاباً } ساتراً عن أعينهم ، ولما فعلت ذلك أرسل الله تعالى إليها جبريل في صورة بشر سوي الخلقة معتدلها ، فدخل عليها فقالت ما قص الله تعالى في كتابه { إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً } أي أحتمي بالرحمن الذي يرحم الضعيفات مثلي إن كنت مؤمناً تقياً فاذهب عني ولا تروعني أو تمسني بسوء . فقال لها جبريل عليه السلام ما أخبر تعالى به وهو { قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً } أي طاهراً لا يتلوث بذنب قط . فأجابت بما أخبر تعالى عنها في قوله : { أنى يكون لي غلام } أي من أي وجه يأتيني الولد ، { ولم يمسني بشر } أي وأنا لم أتزوج ، { ولم أك بغياً } أي ولم أك زانية ، فأجابها جبريل بما أخبر تعالى به في قوله : { قال كذلك } أي الأمر كما قلت ولكن ربك قال : { هو علي هين } أي خلقه بدون أب من نكاح أو سفاح ، لأنه هين علينا من جهة ، { ولنجعلنه آية للناس } دالة على قدرتنا على خلق آدم بدون أب ولا أم ، والبعث الاخر من جهة أخرى ، وقوله تعالى { رحمة منا وكان أمراً مقضياً } أي ولنجعل الغلام المبشر به رحمة منا لكل من آمن به واتبع طريقته في الإيمان والاستقامة وكان هذا الخلق للغلام وهبته لك امراً مقضياً أي حكم الله فيه وقضى به فهو كائن لا محالة ونفخ جبريل في جيب قميصها فسرت النفخة في جسمها فحملت به وكما سيأتي بيانه في الآيات التالية .

(407/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات : 1- بيان شرف مريم وكرامتها على ربها .

2- فضيلة العفة والحياء .

3- كون الملائكة يتشكلون كما أذن الله تعالى لهم .

4- مشروعية التعوذ بالله من كل ما يخاف من إنسان أو جان .

5- التقوى مانعة من فعل الأذة بالناس أو إدخال الضرر عليهم .

6- خلق عيس آية مبصرة تتجلى فيها قدرة الله تعالى على الخلق بدأ وإعادة .

(408/2)

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)

شرح الكلمات :

{ فانتبذت به } : فاعتزلت من أهلها .

{ مكاناً قصياً } : أي بعيداً من أهلها .

{ فأجاها المخاض } : أي ألجاها الطلق واضطرها وجع الولادة .

{ إلى جذع النخلة } : لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة .

{ نسياً منسياً } : أي شيئاً متروكاً لا يعرف بعدما وضعته .

{ تحتك سرياً } : أي نهراً يقال له سري .

{ رطباً جنياً } : الرطب الجني : ما طاب وصلح للإجتناء .

{ فكلي واشربي } : أي كل من الرطب واشربي من السري .

{ وقري عيناً } : أي وطيبي نفساً وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني .

{ نذرت للرحمن صوماً } : أي إمساكاً عن الكلام وصمتاً .

معنى الآيات : ما زال السياق الكريم في قصة مريم إنه بعد أن بشرها جبريل بالولد وقال لها وكان أمراً مقضياً ونفخ في كم درعها أو جيب قميصها فحملته فوراً { وانتبذت به مكاناً قصياً } أي فاعتزلت به في مكان بعيد { فأجاءها المخاض } أي ألجأها وجع النفاس { إلى جذع النخلة } لتعتمد عليه وهي تعاني من آلام الطلق وأوجاعه ، ولما وضعته قالت متأسفة متحسرة ما أخبر تعالى به : { قالت يا ليتني مت قبل هذا } أي الوقت الذي أصبحت فيه أم ولد ، { وكنت نسياً منسياً } أي شيئاً متروكاً لا يذكر ولا يعرف وهنا { فنادها } عيسى عليه السلام { من تحتها الا تحزني } يحملها على الصبر والعزاء وقوله تعالى : { قد جعل ربك تحتك سرياً } أي نهر يقال له سري ، { وهزئ إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي } أي كلي من الرطب واشربي من ماء النهر ، { وقري عيناً } أي طيبي نفساً وافرحي بولدك ، { فإما ترين من البشر أحداً } أي فسألك عن حالك أو عن ولدك فلا تكليمه واكتفي بقولك { إني نذرت للرحمن صوماً } أي صمتاً { فلن أكلم اليوم إنسياً } هذا كله من قول عيسى لها انطقه الله كرامة لها ليذهب عنها حزنها وألمها النفسي من جراء الولادة وهي بكر لم تتزوج .

من هداية الآيات :

1- من مظاهر قدرة الله تعالى حملها ووضعها في خلال ساعة من نهار .

2- إثبات كرامات الله لأوليائه إذ أكرم الله تعالى مريم بنطق عيسى ساعة وضعه فأرشدها وبشرها وأذهب عنها الألم والحزن ، وأثمر لها نخلة فأرطبت وأجرى لها النهر بعد يبسه .

3- تقرير نظام الأسباب التي في مكنة الإنسان القيام بها فإن الله تعالى قد أثمر لمريم النخلة إذ هذا لا يمكنها القيام به ثم أمرها أن تحرك النخلة من جذعها ليتساقط عليها الرطب الجني إذ هذا في استطاعتها .

4- مشروعية النذر الا أنه بالامتناع عن الكلام منسوخ في الإسلام .

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)

شرح الكلمات :

{ فأتت به } : أي بولدها عيسى عليه وعليها السلام .

{ جئت شيئا فريا } : أي عظيماً حيث أتيت بولد من غير أب .

{ يا أخت هارون } : أي يا أخت الرجل الصالح هارون .

{ امرأ سوء } : أي رجلاً يأتي الفواحش .

{ فأشارت إليه } : أي إلى عيسى وهو في المهد .

{ آتاني الكتاب } : أي الأنجيل باعتبار ما يكون مستقبلاً .

{ مباركاً أينما كنت } : أي حيثما وجدت كانت البركة فيَّ ومعي ينتفع الناس بي .

{ وبرا بوالداتي } : أي محسناً بها مطيعاً لها لا ينالها مني أدنى أذى .

{ جبارا شقيا } : ظالماً متعالياً ولا عاصياً لربي خارجاً عن طاعته .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة مريم مع قومها : إنها بعد أن تماثلت للشفاء حملت ولدها وأتت به قومها وما ان رأوهما حتى قال قائلهم : { يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً } أي أمراً عظيماً وهو إيتانك بولد من غير أب . { يا أخت هارون } نسبوها الى عبد صالح يسمى هارون : { ما كان أبوك } عمران { أمرأ سوء } يأتي الفواحش { وما كانت أمك } « حنة » { بغيا } أي زانية فكيف حصل لك هذا وأنت بنت البيت الطاهر والأسرة الشريفة . وهنا أشارت إلى عيسى الرضيع في قماطته أي قالت لهم سلوه يخبركم الخبر وينبئكم بالحق ، لأنها علمت أنه يتكلم لما سبق أن ناداها ساعة وضعه من تحتها وقال ما ذكر تعالى في الآيات السابقة فردوا عليها مستخفين بها منكرين عليها متعجبين منها : { كيف نكلم من كان في المهد صبياً ؟ } فأنطق الله عيسى الرضيع فأجابهم بما أخبر تعالى عنه في قوله : { قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً } فأجابهم بكل ما كتب الله وأنطقه به ، وكان عيسى كما أخبر عن نفسه لم ينقص من ذلك شيئاً كان عبداً الله وأنزل عليه الإنجيل ونبأه وأرسله الى نبي إسرائيل وكان مباركاً يشفي المرضى ويحيي الموتى بإذن الله تنال البركة من صحبته وخدمته والإيمان به وبمحبته وكان مقيماً للصلاة مؤدياً للزكاة طوال حياته وما كان ظالماً ولا متكبراً عاتياً ولا جباراً عصياً . فعليه كما أخبر السلام أي الأمان التام يوم ولد فلم يقربه شيطان ويوم يموت فلا يفتن قبره ويوم يبعث حياً فلا يحزنه الفزع الأكبر ، ويكون من الآمنين السعداء في دار السلام .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعبودية عيسى ونبوته عليهما السلام .

2- آية نطق عيسى في المهد وإخباره بما أولاه الله من الكمالات .

3- وجوب بر الوالدين بالاحسان بهما وطاعتهما والمعروف وكف الأذى عنهما .

4- التنديد بالتعالي والكبر والظلم والشقاوة التي هي التمرد والعصيان .

(410/2)

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40)

شرح الكلمات :

{ ذلك عيسى ابن مريم } : أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسى بن مريم .

{ قول الحق } : أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالى به .

{ يمترون } : يشكون .

{ ماك لله أن يتخذ من ولد } : أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولداً وهو الذي يقول للشيء كن فيكون .

{ سبحانه } : أي تنزيهاً له عن الولد والشريك والشبيه والنظير .

{ صراط مستقيم } : أي طريق مستقيم لا يضل سالكه .

{ فاختلف الأحزاب } : أي في شأن عيسى فقال اليهود هو ساحر وابن زنا ، وقالت النصارى هو الله وابن الله تعالى عما يصفون .

{ من مشهد يوم عظيم } : هو يوم القيامة .

{ وأنذرهم يوم الحسرة } : أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما يشاهدون أهل الجنة قد ورثوا منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة في النار الحسرة ويشتد الندم .

معنى الآيات :

بعد أن قص الله تعالى قصة مريم من ساعة أن اتخذت من دون أهلها حجاباً معتزلة أهلها منقطعة إلى ربها إلى أن أشرت إلى عيسى وهو في مهده فتكلم فقال : إني عبد الله ، فبين تعالى أن جبريل بشرها ، وأنه نفخ في كم درعها فحملت بعيسى وأنه ولد في ساعة من حمله وأنها وضعته تحت جذع النخلة وأنه ناداها من تحتها : أن لا تحزني ، وأرشدها إلى القول الذي تفول لقومها إذا سألوها عن ولادتها المولود بدون أب ، وهو أن تشير إليه تطلب منهم أن يسألوه وسألوه

فعلاً فأجاب بأنه عبد الله وأنه آتاه الكتاب وجعله نبياً ومباركاً وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حياً وأنه بر بوالدته ، ولم يكن جباراً شقياً فأشار تعالى إلى هذا بقوله في هذه الآية { ذلك } أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو { عيسى ابن مريم } ، وما أخبرتكم به هو { قول الحق الذي فيه تمترون } أي يشكون إذ قال اليهود في عيسى أنه ابن زنا وانه ساحر وقال ت النصارى هو الله وابن الله وثالث ثلاثة حسب فرقهم وطوائفهم المتعددة وقوله تعالى : { ما كان الله أن يتخذ من ولد سبحانه } ينفي تعالى عند اتخاذ الولد وكيف يصح ذلك له أو ينبغي وهو الغني عما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه ، وأنه يقول للشيء كن فيكون فعيسى عليه السلام كان بكلمة الله تعالى له كن فكان وهو معنى قوله تعالى { إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون } . وقد نزه تعالى نفسه عن الولد والشريك والشبيه والنظير ، والافتقار والحاجة إلى مخلوقاته بقوله : سبحانه أي تنزيهاً له عن صفات المحدثين وقوله تعالى : { وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم } . هذا من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل أخبرهم عبد الله وليس لله ولا بإله مع الله وأخبرهم أن الله تعالى هو ربه وربهم فليعبدوه جميعاً بما شرع لهم ولا يعبدون معه غيره إذ لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ، وأعلمهم أن هذا الاعتقاد الحق والعبادة بما شرع الله هو الطريق المفضي بسالكه إلى السعادة ومن تنكب عنه وسلك طريق الشرك والظلال أفضى به إلى الخسران وقوله تعالى { فاختلف الأحزاب من بينهم } أي في شأن عيسى فمن قائل هو الله ، ومن قائل هو ابن الله ومن قائل هو وامه الهين من دون الله والقائلون بهذه المقالات كفروا فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم فقال { فويل للذين كفروا } بنسبَتِهم الولد والشريك لله ، والويل واد في جهنم فهم إذ داخلوها لا محالة ، وقوله { من مشهد يوم عظيم } يعني به يوم القيامة وهو يوم ذو أهوال وشدائد لا يقادر قدرها .

(411/2)

وقوله تعالى في الآية « 38 » { أسمع بهم وأبصر يأتوننا } يخبر تعالى أن هؤلاء المتعامين اليوم عن الحق لا يريدون أن يبصروا آثاره الدالة عليه فيؤمنوا ويوحدوا ويعبدوا ، والمتصاممين عن سماع الحجج والبراهين وتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك والولد هؤلاء يوم يقدمون عليه تعالى في عرصات القيامة يصبحون أقوى ما يكون أبصاراً وسمعاً ، ولكن حين لا ينفعهم الشرك والكفر وهم الظالمون في ضلال مبين أي عن طريق الهدى وهو سبب عدم إبصارهم للحق وسماعهم لحججه التي جاءت بها رسل الله ونزلت بها كتبه .

وقوله تعالى في آية « 39 » { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهو في غفلة وهو لا يؤمنون } يأمر تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأن ينذر الكفار والمشركين أي يخوفهم عاقبة شركهم وكفرهم وضلالهم يوم القيامة حيث تشتد فيه الحسرة وتعظم الندامة وذلك عندما يتوارث الموحدون مع المشركين فالموحدون يرثون منازل المشركين في الجنة ، والمشركون يرثون منازل الموحدين في الناؤ ، وعندما يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ، وينادي منادٍ يا أهل الجنة خلود فلا موت؟ ويا أهل النار فلا موت عندها تشتد الحسرة ويعظم الندم هذا معنى قوله تعالى { وهم لا يؤمنون } بالبعث ولا بما يتم فيه من نعيم مقيم وعذاب أليم . وقوله تعالى : { إنا نحن نرث الأرض ومن عليها ، وإلينا يرجعون } يخبر تعالى عن نفسه بأنه الوارث للأرض ومن عليها ومعنى هذا أنه حكم بفناء ، هذه المخلوقات وأن يوماً سيأتي يفنى فيه كل من عليها ، والجميع سيرجعون إليه ويقفون بين يديه ويحاسبهم بكا كتبت

أيديهم ويجزيهم ، ولذا فلا تحزن أيها الرسول وامض في دعوتك تبلغ عن ربك ولا يضرك تكذيب المكذبين ولا شرك المشركين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير أن عيسى عبد الله ورسوله ، وليس كما قال اليهود ، ولا قالت النصارى .

2- استحالة اتخاذ الله الولد الذي يقول للشيء كن فيكون .

3- تقرير التوحيد على لسان عليه السلام .

4- الإخبار بما عليه النصارى من خلاف في شأن عيسى عليه السلام .

5- بيان سبب الحسرة يوم القيامة وهو الكفر بالله والشرك به .

6- تقرير فناء الدنيا ، ورجوع الناس إلى ربهم بعد بعثهم وهو تقرير لعقيدة البعث والجزاء التي تعالجها السور المكية في القرآن الكريم .

(412/2)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)

شرح الكلمات :

{ اذكر في الكتاب } : أي في القرآن .

{ إنه كان صديقاً } : أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلى فيه .

{ يا أبت } : يا أبي وهو آزر .

{ صراطا سويا } : أي طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى الجنة .

{ لا تعبد الشيطان } : أي لا تطعه في دعوته إياك إلى عبادة الأصنام .

{ عصياً } : أي عاصياً لله تعالى فاسقاً عن أمره .

{ فتكون للشيطان وليا } : أي قريباً منه قرينا له فيها أي النار .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع والده آزر عليه لعائن الرحمن قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { واذكر } يا نبينا { في الكتاب } أي القرآن الكريم { إبراهيم } خليلنا { إنه كان صديقا } أي صادقاً في أقواله وأعماله بالغاً مستوى عظيماً في الصدق { نبيا } من أنبيائنا فهو جدير بالذكر في القرآن ليكون قدرة صالحة للمؤمنين . واذكره { إذ قال لأبيه } آزر { يا أبت لم تعبد } أي تسأله بالدعاء والتقرب بأنواع القربات ما لا يسمع ولا يبصر من

الأصنام أي لا يبصرك ولا يسمعك { ولا يغني عنك شيئا } لا يدفع عنك ضراً ولا يجلب لك نفعاً فأي حاجة لك إلى عبادته { يا أبت إني قد جاءني من العلم } أي من قبل ربي تعالى { ما لم يأتك } أنت { فاتبعني } فيما أعتقده وأعلمه وادعو إليه { أهدك صراطاً سوياً } أي مستقيماً يفضي بك إلى السعادة والنجاة ، { يا أبت لا تعبد الشيطان } أي بطاعته فيما يدعوك إليه من عبادة غير الله تعالى من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تعطي ولا تمنع ، { إن الشيطان كان للرحمن عصياً } أي عاصياً أمره فأبى طاعته وفسق عن أمره . تتب منهما حتى مت فيمسك عذاب من الرحمن { فتكون } أي بذلك { للشيطان ولياً } أي قريباً منه قرينا له في جهنم فتهلك وتخسر .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- تقرير التوحيد بالدعوة إليه .

2- كمال إبراهيم بذكره في الكتاب .

3- بطلان عبادة غير الله تعالى .

4- عبادة الأوثان والأصنام وكل عبادة لغير تعتبر عبادة للشيطان لأنه الآمر بها والداعي إليها .

(413/2)

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)

شرح الكلمات

{ لئن لم تنته } : أي عن التعرض لها وعيبها .

{ لأرجمنك } : بالحجارة أو القول القبيح فاحذرني .

{ واهجرني مليا } : أي سليما من عقوبتي .

{ سلام عليك } : أي أمنةٌ مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني .

{ إنه كان بي حفيا } : أي لطيفاً بي مكرماً لي يجيبني لما أدعوه له .

{ عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا } : بل يجيب دعائي ويعطني مسألتني .

{ فلما اعتزلهم } : بأن هاجر إلى أرض القدس وتركهم .

{ ووهبنا لهم من رحمتنا } : خيراً المال والولد بعد النبوة والعلم .

{ لسان صدق عليا } : أي رفيعاً بأن يثنى عليهم ويذكرون بأطيب الخصال .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة إبراهيم مع أبيه آزر بعد تلك الدعوة الرحيمة بالألفاظ الطيبة الكريمة التي وجهها إبراهيم لأبيه آزر ليؤمن ويوحد فينجو ويسعد قال آزر رداً عليه بعبارات خالية من الرحمة والأدب بل ملؤها الغلظة والفظاظة والوعيد والتهديد وهي ما أخبر به تعالى عنه قوله : في الآية (46) { قال أرأغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم } أي أكاره لها تعيبها ، { لئن لم تنته } أي عن التعرض لها بأي سوء { لأرجمنك } بأبشع الألفاظ وأقبحها ، { واهجرني ملياً } أي وأبعد عني ما دمت معافى سليم البدن سويه قبل أن ينالك مني ما تكره . كان هذا رد آزر الكافر المشرك . فيما أجاب إبراهيم المؤمن الموحد أجاب بما أخبر تعالى به عنه في قوله في آية (47) { قال سلام عليك } أي أمان لك مني يا أبتاه فلا أعاودك فيما كرهت مني قط وسأقبل إساءتك بإحسان { سأستغفر لك ربي } أي أطلب منه أن يهديك للإيمان والتوحيد فتتوب فيغفر لك { إنه كان } سبحانه وتعالى { بي حفيا } لطيفاً بي مكرماً لي لا يخيبني فيما أدعوه فيه .
وقوله تعالى حكاية عن قبل إبراهيم : { واعتزلكم وما تدعون من دون الله } أي أذهب بعيداً عنكم تاركاً لكم ولما تعبدون من دون الله من أصنام وأوثان ، { وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً } أي رجائي في ربي كبير أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام . قال تعالى مخبراً عنه فلما حقق ما واعدهم به من هجرته لديارهم الى ديار القدس تاركاً أباه وأهله وداره كافأه بأحسن حيث أعطيناه ولدين يأنس بهما في وحشته وهما إسحق ويعقوب وكلا منهما جعلناه نبيا رسولاً . ووهبنا لجمعيهم وهم ثلاثة الوالد إبراهيم وولداه اسحق ويعقوب بن اسحق عليهم السلام من رحمتنا الخير العظيم من المال والولد والرزق الحسن هذا معنى قوله تعالى : { فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب } وهو ابن ولده اسحق { وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا } . وقوله تعالى عنهم (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) هذا إنعام آخر مقابل الهجرة في سبيل الله حيث يجعل الله تعالى لهم لسان الصدق في الآخرة فسائر أهل الإيمان الإلهية يثنون على إبراهيم وذريته بأطيب الثناء واحسنه وهو لسان الصدق العلي الرفيع الذي حظى به إبراهيم وولديه إكراماً من الله تعالى وإنعاماً عليهم جزاء صدق إبراهيم وصبره وبالتالي هجرته للأصنام وعابديها .

(414/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان الفرق بين ما يخرج من فم المؤمن الموحد من طيب القول وسلامة اللفظ ولين الجانب والكلام ، وبين ما يخرج من فم الكافر المشرك من سوء القول وقبح اللفظ وقسوة الجانب وفظاظة الكلام .

2- مشرعية المتاركة والموادعة وهو أن يقال للسيء من الناس سلام عليك وهو لا يريد بذلك تحيته ولكن تركه وما هو فيه .

3- مشروعية الهجرة وبيان فضلها وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة كانت في الأرض .

4- الترغيب في حسن الأحدوثة بان يكون للمرء حسن ثناء بين الناس لما يقدم من جميل وما يورث من خير وإفضال .

(415/2)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53)

شرح الكلمات :

{ واذكر في الكتاب } : أي في القرآن تشريفاً وتعظيماً .

{ موسى } : أي ابن عمران نبي إسرائيل عليه السلام .

{ مخلصاً } : أي مختاراً مصطفى على قراءة فتح اللام « مخلصاً » وموحداً لربه مفرداً اياه بعبادته بالغافي ذلك أعلى المقامات على قراءة كسر اللام .

{ جانب الطور } : الطور جبل سيناء بين مدين ومصر .

{ وقربناه نجيا } : أي أدنيناه إدناه وتكريم مناجياً لنا مكلما من قبلنا .

{ أخاه هارون نبيا } : إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنباه وأرسله معه الى فرعون .

معنى الآيات :

هذا موجز قصة موسى عليه السلام قال تعالى في ذلك وهو يخاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم { واذكر } في هذه السلسلة الذهبية من عباد الله الصالحين أهل التوحيد واليقين موسى ابن عمران انه جدير بالذكر في القرآن وعلة ذلك في قوله تعالى : { إنه كان مخلصاً } أي مختاراً مصطفى للإبلاغ عنا عبادنا ما خلقناهم لأجله وهو ذكرنا وشكرنا ذكرنا بالسنتهم وقلوبهم وشكرهم لنا بجوارحهم وذلك بعبادتنا وحدنا دون من سوانا ، وكان موسى كذلك ، وقوله تعالى : { وكان رسولاً نبيا } أي ومن افضالنا عليه وإكرامنا له ان جعلناه نبياً رسولاً نبأناه وأرسلناه الى فرعون وملائه ، { وناديناه } وهو في طريقه من مدين الى مصر في جانب الطور الأيمن حيث نبأناه وأرسلنا وبذلك { وقربناه نجيا } فصار يناجينا فُنسمعه كلامنا ونسمع كلامه وأعظم بهذا التكريم من تكريم ، وقوله : { ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا } هذا إنعام آخر من الله تعالى على موسى النبي إذ سأل ربه أن يرسل مع أخاه هارون الى فرعون فبرحمة من الله تعالى استجاب له ونبأ هارون وأرسله معه رسولاً وما كان هذا الا برحمة خاصة إذ النبوة لا تطلب ولا يتوصل اليها بالاجتهاد في العبادة ولا بالدعاء والضراعة إذ هي هبة إلهية خاصة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- فضيلة الإخلاص ، وهو إرادة الله تعالى بالعبادة ظاهراً وباطناً .

2- إثبات صفة الكلام والمناجاة الله تعالى .

3- بيان إكرام الله تعالى وإنعامه على موسى إذ أعطاه ما لم يعط أحداً من العالمين باستجابة دعائه بأن جعل أخاه هارون رسولاً نبياً .

4- تقرير أن كل رسول نبياً والعكس لا أي ليس كل نبي رسولاً .

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58)

شرح الكلمات :

{ واذكر في الكتاب اسماعيل } : أي ذكر في القرآن تشريفاً وتعظياً اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام .

{ صادق الوعد } : لم يخلف وعد قط .

{ مرضيا } : أي رضى الله تعالى قوله وعمله ليقينه وإخلاصه .

{ إدريس } : هو جد أبي نوح عليه السلام .

{ ورفعناه مكاناً عليا } : الى السماء الرابعة .

{ إسرائيل } : أي يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام .

{ وممن هدينا واجتبينا } : أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبيناهم بنبوتنا .

{ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن } : أي تقرأ عليهم وهم يسمعون إليها .

{ سجداً وبكيا } : جمع ساجد وباك أي ساجدين وهم يبكون .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما ذكرت من ذكرت من مريم وابنها وابراهيم وموسى اذكر كذلك اسماعيل فإنه { كان صادق الوعد } لم يخلف وعداً قط وكان ينتظر الموعود الليالي حتى يجئ وهو قائم في مكانه ينتظره ، { وكان رسولاً نبيا } نبأة تعالى بمكة المكرمة إذ عاش بها وأرسله الى قبيلة جرهم العربية ومنا تزوج وأنجب وكان من ذريته محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى : { وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة } المراد من الأهل أسرته وقومه من قبيلة جرهم والمراد من الصلاة إقامتها ومن الزكاة أداؤها ، وهذا مما أعلى شأنه ورفع قدره فأستحق ذكره في القرآن العظيم ، وقوله : { كان عند ربه مرضياً } موجب آخر لأكرامه والإنعام عليه بذكره في القرآن الكريم في سلسلة الأنبياء والمرسلين ، ومعنى { كان عند ربه مرضياً } أي أقواله وأفعاله كلها كانت مقبولة مرضية فكان بذلك هو مرضياً من قبل ربه عزوجل . وقوله تعالى { واذكر في الكتاب إدريس } وهو جد أبي نوح واستوجب الذكر في القرآن لأنه { كان صديقاً } كثير الصدق مبالغ فيه حتى إنه لم يجر على لسانه كذب قط ، وصديقاً في أفعاله وما يأتيه فلم يعرف غير الصدق في قول ولا عمل وكان نبياً من أنبياء الله ، وقوله { ورفعناه مكاناً علياً } الى السماء الرابعة في حياته كما رفع تعالى عيسى ورفع محمد الى ما فوق السماء السابعة . وقوله تعالى : { أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم } كأدريس ، { وممن حملنا مع نوح } أي في الفلك كأبراهيم ، { ومن ذرية ابراهيم } كاسحق واسماعيل ، { واسرائيل } أي ومن ذرية إسرائيل كموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ، { وممن هدينا } لمعرفتنا وطريقنا الموصل الى رضانا وذلك بعبادتنا والاخلاص لنا فيها { واجتباه } لوحينا وحمل رسالتنا . وقوله { إذا تتلى عليهم

آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا } أي أولئك الذين هديناهم واجتبينا من اجتبينا منهم . والاجتباء الاختبار والاصطفاء بأخذ الصفوة { إذا تتلى عليهم آيات الرحمن } الحاملة للعظات والعبر والدلائل والحجج { خروا سجدا } لله ربهم { وبكياً } عما يرون من التقصير أو التفريط في جنب ربهم جل وعظم سلطانه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير النبوة الذي نبأ هؤلاء وأرسلهم لا ينكر عليه أن ينبئ محمداً ويرسله .

2- فضيلة الأمر بالصلاة والزكاة .

3- فضيلة الوفاء بالوعد والصدق في القول والعمل .

4- سُنية السجود لمن تلا هذه الآية أو تليت وهو يستمع إليها . { خروا سجداً وبكيا }

5- فضيلة البكاء حال السجود فقد كان عمر إذا تلا هذه الآية سجد ثم يقول هذا السجود فأين البكي يعني البكاء .

(417/2)

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63)

شرح الكلمات :

{ خلف } : أي عقب سوء .

{ أضاعوا الصلاة } : أهملوها فتركوها فكانوا بذلك كافرين .

{ اتبعوا الشهوات } : انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر .

{ يلقون غياً } : أي وادياً في جهنم يلقون فيه .

{ ولا يظلمون شيئاً } : أي لا ينقصون شيئا من ثواب حسناتهم .

{ جنات عدن } : أي إقامة دائمة .

{ بالغيب } : أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم عنها إذ هي في السماء وهم في الأرض .

{ مأتياً } : أي موعود وهو ما يعد به عباده آتياً لا محالة .

{ لغواً } : أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه .

{ بكرة وعشياً } : أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس فيكون فيها نهار وليل .

{ من كان تقياً } : أي من كان في الحياة الدنيا تقياً لم يترك الفرائض ولم يغش المحارم .

معنى الآيات : قوله تعالى : { فخلف من بعدهم خلف } يخبر تعالى عن اولئك الصالحين ممن اجتبى وهدى من النبيين وذرياتهم ، انه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم { اضاعوا الصلاة } فمنهم من أخرها عن أوقاتها ومنهم

من تركها { واتبعوا الشهوات } فانغمسوا في حمأة الرذائل فشربوا الخمور وشهدوا الزور وأكلوا الحرام ولهوا ولعبوا وزنوا وفجروا ، بعد ذهاب اولئك الصالحين كا هو حال النصارى واليهود اليوم وحتى كثير من المسلمين ، فهؤلاء الخلف السوء يخبر تعالى أنهم { فسوف يلقون غياً } بعد دخولهم نار جهنم . والغي : ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بئر في جهنم وعن ابن مسعود أنه واد في جهنم ، والكل صحيح إذ البئر توجد في الوادي وكثيراً ما توجد الآبار في الأودية .

وقوله تعالى : { إلا من تاب وأمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً } أي لكن من تاب من هذا الخلف السوء وآمن حقق إيمانه وعمل صالحاً فأدى الفرائض وترك غشيان المحارم . فأولئك أي هؤلاء التائبون المنيبون { يدخلون الجنة } مع سلفهم الصالح ، { ولا يظلمون شيئاً } أي ولا ينقصون ولا يبخسون شيئاً من ثواب أعمالهم .

وقوله تعالى : { جنات عدن } أي بساتين إقامة أبدية { التي وعد الرحمن عباده بالغيب } أي وعدهم بها وهي غائبة عنهم لم يروها لأنها في السماء وهم في الأرض .

وقوله : { إنه كان وعده مأتيا } أي كونهم ما رأوها غير ضار لأن ما وعد به الرحمن لا يختلف أبداً لا بد من الحصول عليه ومعنى مأتياً ياتيه صاحبه قطعاً .

وقوله تعالى في الآية (62) { لا يسمعون فيها لغواً } يخبر تعالى أن أولئك التائبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ودخلوا الجنة لا يسمعون فيها أي في الجنة وهو الباطل من القول وما لا خير فيه من الكلام اللهم الا السلام فإنهم يتلقونه من الملائكة فيسمعونه منهم وهو من النعيم الروحاني في الجنة دار النعيم .

وقوله تعالى : { ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً } أي ولهم طعامهم فيها وهو ما تشتيهيه أنفسم من لذيذ الطعام والشراب { بكرة وعشياً } أي في وقت الغداة في الدنيا وفي وقت العشى في الدنيا إذ لا ليل في الجنة ولا نهار ، وإنما هي أنوار وجائز إذا وصل وقت الغداء أو العشاء تغير الأنوار من لون الى آخر أو تغلق الأبواب وترخى الستائر ويكون ذلك علامة على وقت الغداء والعشاء .

(418/2)

وقوله تعالى : { تلك الجنة } آية (63) يشير تعالى الى الجنة دار السلام تلك الجنة العالية { التي نورث من عبادنا من كان تقياً } منهم ، أما الفاجر فإن منزلته فيها نورثها المتقي كما أن منزل التقي في النار نورثه فأجراً من الفجار ، إذ هذا معنى التوارث : هذا يرث هذا وذاك يرث ذا ، إذ ما من إنسان الا وله منزلة في الجنة ومنزل في النار فمن آمن وعمل صالحاً دخل الجنة ونزل في منزلته ، ومن كفر وأشرك وعمل سوءاً دخل النار ونزل في منزله فيها ، ويورث الله تعالى الأتقياء منازل الفجار التي كانت لهم في الجنة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- التنديد بخلف السوء وهو من يضيع الصلاة ويتبع الشهوات .

2- الوعد الشديد لمن ينغمس في الشهوات ويترك الصلاة فيموت على ذلك .

3- باب التوبة مفتوح والتوبة مقبولة من كل من أرادها وتاب .

4- بيان نعيم الجنة دار المتقين الأبرار .

5- تقرير مبدأ التوارث بين أهل الجنة وأهل النار .

6- بيان أن ورثة الجنة هم الأتقياء ، وأن ورثة النار هم الفجار .

(419/2)

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65)

شرح الكلمات :

{ وما نتنزل } : التنزل النزول وقتاً بعد وقت .

{ إلا بأمر ربك } : أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء .

{ له ما بين أيدينا } : أي مما هو مستقبل عن أمر الآخرة .

{ وما خلفنا } : أي ما مضى من الدنيا .

{ وما بين ذلك } : مما لم يمض من الدنيا الى يوم القيامة أي له علم ذلك كله .

{ وما كان ربك نسياً } : أي ذا نسيان فإنه تعالى لا ينسى فكيف ينساك ويتركك ؟

{ رب السموات والأرض } : أي مالكهما والمتصرف فيهما .

{ واصطبر لعبادته } : أي أصبر وتحمل الصبر في عبادته حتى الموت .

{ هل تعلم له سمياً } : أي لا سميَّ له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد ، لم يكن له كفواً أحد .

معنى الآيتين :

لنزول هاتين الآيتين سبب وهو ما روى واستفاض أن الوحي تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي يأتي بالوحي جبريل عليه السلام فلما جاء بعد بطءٍ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا » فأنزل الله تعالى قوله : جواباً لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم { وما نتنزل } أي نحن الملائكة وقتا بعد وقت على من يشاء ربنا { إلا بأمر ربك } أيها الرسول أي إلابإذنه لنا فليس لأحد منا أن ينزل من سماء الى سماء أو إلى أرض إلا بإذن عزوجل ، { له ما بين أيدينا وما خلقنا وما بين ذلك } أي له أمر وعلم ما بين أيدننا أي ما أمامنا عن أمور الآخرة وما خلفنا أي مما مضى من الدنيا علماً وتدبيراً ، وما بين ذلك الى يوم القيامة علماً وتدبيراً ، وما كان ربك عز وجل يا رسول الله ناسياً لك ولا تاركاً فإنه تعالى لم يكن النسيان وصفاً له فينسى .

وقوله تعالى : { رب السموات والأرض وما بينهما } يخبر تعالى رسوله بإنه تعالى مالك السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما فكل شيء له بيده وفي قبضته وعليه { فاعبده } أيها الرسول بما أمرك بعبادته به { واصطبر لعبادته } أي تحمل لها المشاق ، فإنه لا إله إلا هو ، ف { هل تعلم لم سمياً } أي نظيراً أو مثيلاً والجواب : إذاً فاعبده وحده

وتحمل في سبيل ذلك ما استطعت تحمله . فإنه لا معبود بحق الا هو اذ كل ما عداه مربوب له خاضع لحكمه وتدبيره فيه .

هداية الآيتين : 1- تقرير سلطان الله على الخلق وعلمه بكل الخلق وقدرته على كل ذلك .

2- استحالة النسيان على الله عزوجل .

3- تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين ، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين .

4- وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت .

5- نفي الشبيه والمثل والنظير الله إذ هو الله أحد لم يكن له كفواً أحد .

(420/2)

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (70) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72)

شرح الكلمات :

{ ويقول الإنسان } : أي الكافر بلقاء الله تعالى .

{ ولم يك شيئاً } : أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة .

{ جثياً } : أي جاثمين على ركبهم في ذل وخوف وجزن .

{ من كل شيعة } : أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه .

{ عتياً } : أي تكبراً عن عبادته وظلما لعباده .

{ أولى بها صليا } : أي أحق بها اصطلاء واحتراقاً وتعذيباً في النار .

{ إلا واردها } : أي ماراً بها إن وقع بها هلك ، وإن مر ولم يقع نجا .

{ حتماً مقتضياً } : أي أمراً قضى به الله تعالى وحكم به وحتمه فهو كائن لا بد .

{ فيها جثيا } : أي في النار جاثمين على ركبهم بعضهم الى بعض .

معنى الآيات :

الآيات في سياق تقرير عقيدة البعث والجزاء يقول تعالى قوله وقوله الحق : { ويقول الإنسان } أي المنكر للبعث للبعث والدار الآخرة وقد يكون القائل أبي بن خلف أو العاص بن وائل وقد يكون غيرهما إذ هذه قولة كل من لا يؤمن بالآخرة يقول : { إأذا مت لسوف أخرج حياً } يقول هذا استنكارا وتكذيباً قال تعالى : راداً على هذا الأنسان قولته الكافرة { أو لا يذكر الانسان } أي المنكر للبعث الآخر { أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً } أيكذب بالبعث وينكره ولا يذكر خلقنا له من قبل ، ولم يك شيئاً .

أليس الذي قدر على خلقه قبل أن يكون شيئاً قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى أليست الإعادة أهون من الخلق الأول والإيجاد من العدم ، ثم يقسم الله تبارك وتعالى لرسوله على أنه معيدهم كما كانوا ويحشرهم مع شياطينهم الذين يضلونهم ثم يحضرنهم حول جهنم جثيا على ركبهم أذلاء صاغرين . هذا معنى قوله تعالى في الآية (68) { فوربك لنحشرنهم والشياطين حول جهنم جثيا } .

وقوله تعالى : { ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا } يخبر تعالى بعد حشرهم إلى ساحة فصل القضاء أحياء مع الشياطين الذين كانوا يضلونهم ، يحضرهم حول جهنم جثياً ، ثم يأخذ تعالى من كل طائفة من تلك الطوائف التي أحضرت حول جهنم وهي جاثمة تنتظر حكم الله تعالى فيها أيهم كان أشد على الرحمن عتيا أي تمرداً عن طاعته وتكبراً عن الإيمان به وبرسوله ووعده وهو معنى قوله تعالى في الآية (69) { ثم لننزعن من كل شيعة أيهم الرحمن عتيا } وقوله تعالى : { ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا } يخبر تعالى بعلمه بالذين هم اجدر وأحق بالاصطلاء بعذاب النار ، وسوف يدخلهم النار قبل غيرهم ثم يدخل باقيهم بعد ذلك وهو معنى قوله عزوجل : { ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا } .

وقوله : { وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقتضيا } ، فإنه يخبر عز وجل عن حكمٍ حكم به وقضاء قضى به وهو أنه مامن واحد منا معشر بني آدم الا وارد جهنم وبيان ذلك كما جاء في الحديث أن الصراط جسر يمد على ظهر جهنم والناس يمرون فوقه فالمؤمنون يمرون ولا يسقطون في النار والكافرون يمرون فيسقطون في جهنم ، وهو معنى قوله في الآية (72) { ثم ننجي الذين أوتوا } أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك واجب ولا بارتكاب محرم (ونذر الظالمين) بالتكبر والكفر وغشيان الكبائر من الذنوب { فيها جثياً } أي ونترك الظالمين فيها أي جهنم جاثمين على ركبهم يعانون أشد أنواع العذاب .

(421/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والاحضار حول جهنم والمرور على الصراط .

2- تقرير معتقد الصراط في العبور عليه الى الجنة .

3- تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر الى جهنم قبل الأتباع الضالين .

4- تقرير حتمية المرور على الصراط .

5- بيان نجاة الأتقياء ، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي .

(422/2)

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76)

شرح الكلمات :

{ آياتنا بينات } : أي آيات القرآن البينات الدلائل الواضحات الحجج .

{ خير مقاما } : نحن أم أنتم والمقام المنزل ومحل الإقامة والمراد هنا المنزلة .

{ وأحسن ندياً } : أي ناديا وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء .

{ أحسن أثاثاً ورئيا } : أي مالا ومتاعا ومنظراً .

{ إما العذاب وإما الساعة } : أي بالقتل والأسر وأما الساعة القيامة المشتملة على نار جهنم .

{ من هو شر مكاناً } : أي منزلة .

{ وأضعف جنداً } : اي أقل اعواناً .

{ وخير مرداً } : أي ما يرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة والتوحيد والبعث الآخر يقول تعالى { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات } أي وإذا قرئت على كفار قريش المنكرين للتوحيد والنبوة المحمدية والبعث والجزاء يوم القيامة إذ قرأ عليهم رسول الله أو أحد المؤمنين من أصحابه بعض الآيات من القرآن البينات في معانيها ودلائلها على التوحيد والنبوة والبعث { قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا } ، وقولهم هذا هو رد فعل لا غير ، إذ أنهم لما يسمعون الآيات تحمل الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين مثلهم لا يجدون ما يخففون به ألم نفوسهم فيقولون هذا الذي أخبر تعالى به عنهم { أي الفريقين } أي فريق المؤمنين أو فريق الكافرين خير مقاماً أي منزلاً ومسكناً وأحسن نديا ومجتمعاً يجتمع فيه ، لأنهم يقارنون بين منازل فقراء المؤمنين ودار الأرقم بن أبي الأرقم التي يجتمع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وبين دور ومنازل أبي سفيان وأغنياء مكة ونادي قريش وهو مجلس شوراهم فرد تعالى عليهم بقوله : { وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً } أي لا ينبغي ان يغرهم هذا الذين يتبجحون به ويتطاولون فإنه لا يدوم ما داموا يحاربون دعوة الحق والقائمين عليها فكم من أهل قرون اهلكناهم لما ظلموا وكانوا أحسن من هؤلاء مالا ومتاعا ومناظر حسنة جميلة .

وقوله تعالى : { قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً } أي اذكر لهم سنتنا في عبادنا يا رسولنا وهي أن من كان في ضلالة الشرك والظلم والمكابرة والعناد فإن سنة الرحمن فيه أن يمد له بمعنى يمهله ويملي له استدراجا حتى إذا انتهوا الى ما حدد لهم من زمن يؤخذون فيه بالعذاب جزاء كفرهم ظلمهم وعنادهم وهو إما عذاب دنيوى بالقتل والأسر ونحوهما أو عذاب الآخرة بقيام الساعة حيث يحشرون الى جهنم عمياً وبكماً وصماً جزاء التعالي والتبجح بالكلام وهو معنى قوله تعالى : { حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً } أي

شر منزلة وأقل ناصراً أهم الكافرون أم المؤمنون ، ولكن حين لا ينفع العلم . إذ التدارك أصبح غير ممكن وإنما هي الحسرة والندامة لا غير .

(423/2)

وقوله تعالى : { ويزيد الله الذين اهتدوا هدى } أي إذا كان تلاوة الآيات البينات تحمل المشركين على العناد والمكابرة وذلك لظلمة كفرهم فيزدادون كفراً وعناداً فإن المؤمنين المهتدين يزدادون بها هداية لأنها تحمل لهم الهدى في كل جملة وكلمة منها وهم لإشراق نفوسهم بالإيمان يرون ما تحمل الآيات من الدلائل والحجج والبراهين فيزداد إيمانهم وتزداد هدايتهم في السير في طريق السعادة والكمال بأداء الفرائض واجتناب المناهي .
وقوله تعالى : { والباقيات الصالحات خير عند ربك } أيها الرسول { ثواباً وخير مردّاً } في هذه الآية تسلية للرسول والمؤمنين بأن ما يتبجح به المشركون من المال والمتاع وحسن الحال لا يساوي شيئاً أمام الإيمان وصالح الأعمال لأن المال فانٍ ، والصالحات باقية فثواب الباقيات الصالحات من العبادات والطاعات خير من كل متاع الدنيا وخير مرداً مردوداً على صاحبها إذ هو الجنة دار السلام والتكريم والإنعام .
هداية الآيات
من هداية الآيات :
1- الكشف عن نفسيات الكافرين وهي الإعتزاز بالمال والقوة إذا اعتز المؤمنون بالإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة من حسن العاقبة .
2- بيان سنة الله تعالى في امهال الظلمة والإملاء لهم استدراجاً لهم حتى يهلكوا خاسرين .
3- بيان سنة الله تعالى في زيادة إيمان الؤمنين عند سماع القرآن الكريم ، أو مشاهدة أخذ الله تعالى للظالمين .
4- بيان فضيلة الباقيات الصالحات ومنها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(424/2)

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80)

شرح الكلمات/
{ الذي كفر بآياتنا } : هو العاص بن وائل .
{ لأوتين مالاً وولداً } : يريد في الآخرة .
{ أطلع الغيب } : أي فعرف أنه يعطى مالاً وولداً يوم القيامة .
{ كلا } : ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهداً .

{ ونمد له من العذاب مداً } : أي نضاعف له العذاب يوم القيامة .

{ ونرثه ما يقول } : أي نسليه ما تبجح به من المال والولد ويبعث فرداً ليس معه مال ولا ولد .

معنى الآيات :

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم معجباً له { أفرأيت الذي كفر بآياتنا } اي كذب بالوحي وما يدعوا له من التوحيد والبعث والجزاء وترك الشرك والمعاصي . وهو العاص بن وائل المسمى أبو عمرو بن العاص . { وقال لأوتين مالاً وولداً } قال هذا لخباب بن الأرت حينما طالبه بدين له عليه فأبى أن يعطيه استصغاراً له لأنه قيِّن « حداداً » وقال له لا أعطيكه حتى تكفر بمحمد فقال له خباب والله ما أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث فقال له العاص إذا أنا مِتَّ ثم بُعثت كما تقول ثم جئتني ولي مال وولد قضيتك دينك فأكذبه الله تعالى ورد عليه قوله بقوله عز وجل : { أطلع الغيب } فعرف ان له يوم القيامة مالاً وولداً . { أم اتخذ عند الرحمن عهداً } بذلك بأن سيعطيه مالاً وولداً يوم القيامة { كلا } لم يطلع على الغيب ولم يكن له عند الرحمن عهداً . وقوله تعالى : { سنكتب ما يقول } من الكذب والإفتراء ونحاسبه به ونضاعف له العذاب به العذاب وهو معنى قوله تعالى : { ونمد له من العذاب مداً } ، وقوله تعالى : { ونرثه ما يقول ويأتينا فردا } أي ونسلبه ما يقول من المال والولد حيث يموت ويترك ذلك أو ينصر رسوله على قومه فيسلبهم المال والوليد . ويأتينا في عرصات القيامة للحساب فرداً لا مال ولا ولد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الكشف عن نفسيات الكافرين لا سيما إذا كانوا أقوياء بمال او لد أوسلطان فإنهم يعيشون على الغطرسة منه والاستعلاء وتجاهل الفقراء واحتقارهم .

2- تقرير البعث والحساب والجزاء .

3- مضاعفة العذاب على الكافرين الظالمين بعد كفرهم .

4- تقرير معنى آية : إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون .

(425/2)

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87)

شرح الكلمات :

{ ليكونوا لهم عزاً } : أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتى لا يعذبوا .

{ سيكفرون بعبادتهم } : أي يوم القيامة أنهم كانوا يعبدونهم .

{ ضداً } : أي أعداء لهم واعواناً عليهم .

{ تؤزهم أزاً } : أي تزعجهم ازعاجاً وترحكهم حراكاً شديداً نحو الشهوات والمعاصي .

{ وفدا } : أي راكبين على النُّجب تحوطهم الملائكة حتى ينتهوا الى ربهم فيكرمهم .

{ ال جهنم ورداً } : أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشاً .

{ عهداً } : هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا حول قوة إلا بالله .

معنى الايات :

يخبر تعالى منددأ المشركين فيقول : { واتخذوا من دون الله آلهة } أي معبودات من الأصنام فعبدوها بأنواع من العبادات ، { ليكونوا لهم } – في نظرهم الفاسد – { عزاً } أي شفعاء لهم عندنا يعزون بواسطتهم ولا يُهانون ، { كلا } أي ليس الأمر كما يظنون { سيكفرون بعبادتهم } وذلك يوم القيامة حيث ينكرون أنهم أمروهم بعبادتهم ، { ويكونون عليهم ضداً } أي خصوماً ، ومن ذلك قولهم . { وقال شركائهم ما كنتم إيانا تعبدون } وقولهم . { بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون } وقوله تعالى في الآية الثانية (83) { ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا } يقول تعالى لرسوله ألم ينته إلى علمك يا رسولنا أنا أرسلنا الشياطين أي شياطين الجن والإنس على الكافرين بنا وبآياتنا ورسولنا ولقائنا تؤزهم ازا أي تحركهم بشدة نجو الشهوات والجرائم والمفاسد ، وتزعجهم الى ذلك بالإغراء إزعاجاً كبيراً . أي فلا تعجب من حال مسارعتهم إلى الشر والفساد ولا تعجل عليهم بمطالبتنا بهلاكهم إنما نعد لهم كل أعمالهم ونحصيها عليهم حتى أنفاسهم على كل ذلك ونجزيهم به . هذا معنى قوله تعالى : { فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا } .

وقوله تعالى في الآية (85) { يوم نحشر المتقين } أي أذكر يا رسولنا نحشر المتقين { إلى الرحمن وفداً } . والمتقون هم أهل الإيمان بالله وطاعته وتوحيده ومحبته وخشيته وطاعة رسوله ومحبته وفداً اي راكبين على النجائب من النوق عليها رحال الذهب الى الرحمن الى جوار الرحمن عز وجل في دار المتقين الجنة دار الإبرار والسلام .

وقوله تعالى : { ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً } : أي ونسوق المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي مشاة على أرجلهم عطاشاً يساقون سوق البهائم الى جهنم وبئس الورد المورود جهنم .

وقوله تعالى { لا يمكلون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً } أخبر تعالى أن المشركين المجرمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي فدسوها لا يملكون الشفاعة يوم القيامة لا يشفع بعضهم في بعض كالمتقين ولا يشفع لهم أحد أبداً لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان به وبطاعته بأداء الفرائض وترك المحرمات يملك أن شاء الله الشفاعة بأن يشفعه الله في غيره إكراماً له أو يشفع فيه غيره إكراماً للشافع أيضاً وإنعاماً على المشفوع له .

(426/2)

كما أن أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله المتبرئين من حولهم وقوتهم الى الله الراجين ربهم يمكلون الشفاعة أن دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها شفاعة من أراد الله أن يشفعه فيهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- براءة سائر المعبودات من دون الله من عابديها يوم القيامة خزياً وإحقاقاً للعذاب عليهم .

2- لا عحب مما يشاهد من مسارعة الكافرين الى الشر والفساد والشهوات لوجود شياطين تحركهم بعنف الى ذلك وتدفعهم إليه .

3- لا ينبغي طلب العذاب العاجل لأهل الظلم لأنهم كلما ازدادوا ظلما ازداد عذابهم شدة يوم القيامة إذ كل شيء محصى عليهم أنفاسهم محاسبون عليه ومجزيون به .

4- بيان كرامة المتقين ، ومهانة المجرمين .

(427/2)

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)

شرح الكلمات :

{ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً } : أي قال العرب الملائكة بنات الله وقال النصارى عيسى ابن الله .

{ جئتم شيئاً إداً } : أي منكراً عظيماً .

{ يتفطرن } : يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه .

{ وتخر الجبال هدا } : أي تسقط وتتهدم وتنهدم .

{ أن دعوا للرحمن ولداً } : أي من أجل إدعائهم أن الرحمن عزوجل ولدا .

{ ولا ينبغي } : أي لا يصلح ولا يليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه .

{ إلا آتى الرحمن عبداً } : أي خاضعاً منقاداً من كان .

{ فرداً } : أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر مقولات أهل الشرك والجهل والرد عليها من قبل الحق تبارك وتعالى قال تعالى مخبراً عنهم : { وقالوا } أي أولئك الكافرون { اتخذ الرحمن ولداً } إذ قالت بعض القبائل العربية بنات الله ، وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله . يقول تعالى لهم بعد أن ذكر قولهم { لقد جئتم شيئاً إداً } أي أتيتم بشيء منكر عظيم ، { تكاد السموات يتفطرن منه } أي يتشققن منه لقبح هذا القول وسوئه ، { وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا } أي تسقط لعظم هذا القول لأنه مغضب للجبار عزوجل ولولا حلمه ورحمته لمس الكون كله عذاب أليم . وقوله : { أن دعوا للرحمن ولداً } أي أن نسبوا للرحمن ولداً ، { وما ينبغي للرحمن } أي لا يصلح له ولا يليق بجلاله وكماله الولد ، لأن الولد نتيجة شهوة بهيمية عارمة تدفع الذكر الى إيتان الأنثى فيكون بإذن الله الولد ، والله عزوجل منزه عن مشابهته لمخلوقاته وكيف يشبههم وهو خالقهم وموجدهم من العدم ؟

وقوله تعالى { إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً } هذا برهان على بطلان قوله الكافرين الجاهلين ، إذ الذي ما من أحد في السموات أو في الأرض من ملائكة وإنس وجن إلا آتى الرحمن عبداً خاضعاً ذليلاً منقاداً يوم القيامة كيف يعقل اتخاذه ولداً ، إذ الولد يطلب للحاجة إليه ، والغنى عن كل خلقه ما هي حاجته إلى عبد من عباده يقول هذا ولدي اللهم إنا نبرؤا إليك مما يقوله الجاهلون بك الضالون عن طريق هدايتك .

وقوله تعالى : { لقد أحصاهم وعدهم عداً } أي عملهم واحداً واحداً فلو كان بينهم إله معه أو ولد لعلمه ، فهذا برهان آخر على بطلان تلك الدعوة الجاهلية الباطلة الفاسدة وقوله : { وكلهم آتية يوم القيامة فرداً } هذا رد عن اولئك الذين يدعون أنهم إن بعثوا يكون لهم المال والولد والشفيع والنصير . فأخبر تعالى أنه ما من أحد إلا ويأتيه يوم القيامة فرداً ليس معه شافع ولا ناصر ، ولا مال ولا سلطان .

هداية الآيات

من هداية الآيات

1- عظم الكذب على الله بنسبة الولد أو الشريك إليه أو القول عليه بدون علم .

2- بيان أن كل المخلوقات من أجلها الى أحقرها ليس فيها غير عبدلله فنسبة الانسان أو الجان أو الملك إلى الله تعالى هي عبد لرب مالك قاهر عزيز حكيم .

3- بيان إحاطة الله بخلقه ومعرفته لعددهم فلا يغيب عن عمله أحد منهم ، ولا يختلف عن موقف القيامة فرد منهم إذ الكل يأتي الله تعالى يوم القيامة فردا .

(428/2)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (97) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98)

شرح الكلمات :

{ وداً } : أي حبا فيعيشون متحابين فيما بينهم ويحبهم ربهم تعالى .

{ فإنما يسرناه بلسانك } : أي يسرنا القرآن اي قراءته وفهمه بلغتك العربية .

{ قوماً لداً } : أي ألداء شديدوا الخصومة والجدل بالباطل وهم كفار قريش .

{ وكم اهكنا } : أي كثيراً من اهل القرون من قبلهم اهلكناهم .

{ أو تسمع لهم ركزا } : أي صوتا خفياً والجواب لا لأن الاستفهام إنكاري .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله وبرسوله وبوعد الله ووعيده فتخلوا عن الشرك والكفر وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض وكثير من النوافل هؤلاء يخبر تعالى أنه سيجعل لهم في قلوب عباده المؤمنين محبة ووداً وقد فعل سبحانه وتعالى فأهل الإيمان والعمل الصالح متحابون متوادون ، وهذا التوادد بينهم ثمرة لحب الله تعالى لهم . وقوله تعالى : { فإنما يسرناه

} أي هذا القرآن الذي كذب به المشركون سهلنا قراءته عليك إذا أنزلناه بلسانك { لتبشر به المتقين } من عبادنا المؤمنين وهم الذين اتقوا عذاب الله بالايمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي ، { وتنذر به قوماً لداً } وهم كفار قريش وكانوا ألداء اشداء في الجدل والخصومة ، وقوله تعالى : { وكم أهلكنا قبلهم من قرن } أي وكثيراً من أهل القرون السابقة لقومك أهلكناهم لما كذبوا رسلنا وحاربوا دعوتنا { فهل تحس منهم من أحد } فتراه بعينك أو تمسه بيدك ، { أو تسمع لهم ركزاً } أي صوتاً خفياً اللهم لا فهلا يذكر هذا قومك فيتعظوا فيتوبوا الى ربهم بالايمان به وبرسوله ولقائه ويتركوا الشرك والمعاصي .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- أعظم بشرى تحملها الآية الأولى وهي حب الله وأوليائه لمن آمن وعمل صالحاً .

2- بيان كون القرآن ميسراً أن نزل بلغة النبي صلى الله عليه وسلم من أجل البشارة لأهل الإيمان والعمل الصالح والنذارة لأهل الشرك والمعاصي .

3- إنذار العتاة والطغاة من الناس ان يحل بهم ما حل بمن قبلهم من هلاك ودمار والواقع شاهد أين أهل القرون الأولى ؟

(429/2)

طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)

شرح الكلمات

{ طه } : أي يا رجل .

{ إلا تذكرة } : أي يتذكر بالقرآن من يخشى عقاب الله عزوجل .

{ على العرش استوى } : أي ارتفع عليه وعلا .

{ وما تحت الثرى } : الثرى التراب الندي ما هو أسفل الأرضين السبع .

{ واخفى } : أي من السر ، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو كائن ولكن لم يكن بعد .

{ الحسنى } : الحسنى مؤنث الأحسن المفضل على الحسن .

معنى الآيات :

قوله تعالى { طه } لفظ طه جائز أن يكون من الحروف المقطعة ، وجائز أن يكون معناه يا رجل ورجح الأمر ابن جرير لوجوده في لغة العرب طه بمعنى يا رجل وعلى هذا فمعنى الكلام يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى رداً على النضر بن الحارث الذي قال إن محمداً شقي بهذا القران الذي أنزل عليه لما فيه من التكاليف فنفى الحق عزوجل ذلك وقال { ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى } وإنما انزلناه ليكون تذكرة ذكرى يذكر بها من يخشى ربه فيقبل على طاعته متحملاً في سبيل ذلك كل ما قد يلاقي في طريقه من أذى قومه المشركين بالله الكافرين بكتابه والمكذبين لرسوله ، وقوله : { تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى } أي هذا القرآن الذي ما أنزلناه لتشقى به ولكن تذكرة لمن يخشى نُزل تنزيلاً من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى : { الرحمن على العرش استوى } أي رحمن الدنيا والأخرة ورحيمهما الذي استوى على عرشه استواءً يليق بد يدبر أمر مخلوقاته ، الذي { له في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى } من الأرضين السبع . وقوله { وإن تجهر بالقول } أيها الرسول أو تُسِر { فإنه يعلم السر وأخفى } من السر ، وهو ما قدره الله وهو واقع في وقته المحدد له فعلمه تعالى ولم يعلمه الإنسان بعد . وقوله : { الله لا إله إلا هو } أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق سواه { له الأسماء الحسنى } التي لا تكون إلا له ، ولا تكون لغيره من مخلوقاته . وهكذا عرف تعالى عباده به ليعرفوه فيخافونه ويحبونه فيؤمنون به ويطيعونه فيكملون على ذلك ويسعدون فلله الحمد وله المنة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إبطال نظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعبد .

2- تقرير عقيدة الوحي وإثبات النبوة المحمدية .

3- تقرير الصفات الإلهية كالاستواء ووجوب الإيمان بها بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه بل اثباتها على الوجه الذي يليق بصاحبها عزوجل .

4- تقرير ربوبية الله لكل شيء .

5- تقرير التوحيد وإثبات أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى .

(430/2)

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ
هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا
لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16)

شرح الكلمات :

{ هل أتاك } : قد أتاك فالاستفهام للتحقيق .

{ حديث موسى } : أي خبره وموسى هو ابن عمران نبي بني إسرائيل .

{ إذ رأى ناراً } : أي حين رؤيته ناراً .

{ لأهله } : زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد .

{ آنست ناراً } : أي ابصرتها من بعد .

{ بقبس } : القبس عود في رأسه نار .

{ على النار هدى } : أي ما يهديني الطريق وقد ضل الطريق الى مصر .

{ فلما أتاها } : أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألؤ نوراً لا ناراً .

{ نودي يا موسى : أي ناداه ربه قائلاً له يا موسى . . . . . !

{ المقدس طوى } : طوى اسم للوادي المقدس المطهر .

{ اخترتك } : من قومك لحمل رسالتي الى فرعون وبني إسرائيل .

{ فاستمع لما يوحى } : اي إليك وهو قوله تعالى : { إنني أنا الله لا إله إلا أنا } .

{ لذكري } : أي لأجل أن تذكرني فيها .

{ أكاد أخفيها } : أي أبالغ في إخفائها حتى لا يعلم وقت مجيئها أحد .

{ بما تسعى } : أي سعيها في الخير أو في الشر .

{ فتردى } : أي تهلك .

معنى الآيات : ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ففي نهاية الآية السابقة (8) كان قوله تعالى { الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى } تقريراً للتوحيد وإثباتاً له وفي هذه الآية (9) يقرره تعالى عن طريق الإخبار عن موسى ، وأن أول ما أوحاه إليه من كلامه كان أخباره بأنه لا إله إلا هو أي لا معبود غيره وأمره بعبادته . فقال تعالى : { وهل أتاك } أي يا نبينا { حديث موسى إذ رأى ناراً } ، وكان في ليلة مظلمة شاتية وزنده الذي معه لم يقدح له ناراً { فقال لأهله } أي

زوجته ومن معها وقد أضلوا طريقهم لظلمة الليل ، { امكثوا } اي ابقوا فقد آنست ناراً أي أبصرتها لعلي آتيكم منها بقبس فنوقد به ناراً تصطلون بها أي تستدفئون بها ، { أو أجد على النار هدى } أي أجد حولها ما يهدينا طريقنا الذي ظللناه .

وقوله تعالى : { فلما أتاها } أي أتى النار ووصل إليها وكانت شجرة تتلألؤ نوراً { نودي يا موسى } أي ناداه ربه تعالى قائلاً يا موسى { إني أنا ربك } أي خالقك ورازقك ومدبر أمرك { فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى } وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه . وقوله تعالى { وأنا أخترتك } أي لحمل رسالتي إلى من أرسلك إليهم . { فاستمع لما يوحى } أي إليك وهو : { إنني أنا الله لا إله إلا أنا } أي أنا الله المعبود بحق ولا معبود بحق غيري وعليه فاعبدني وحدي ، { وأقم الصلاة لذكري } ، أي لأجل أن تذكرني فيها وبسببها . فلذا من لم يصل لم يذكر الله تعالى وكان بذلك كافراً لربه تعالى . وقوله { إن الساعة آتية } أي أن الساعة التي يقوم فيها الناس أحياء من قبروهم للحساب والجزاء آتية لا محالة .

(431/2)

من أجل مجازاة العباد على أعمالهم وسعيهم طوال أعمارهم من خير وشر ، وقوله : { أكاد أخفيها } أي أبالغ في إخفائها حتى أكاد أخفيها عن نفسي . وذلك لحكمة أن يعمل الناس ما يعلمون وهو لا يدرون متى يموتون ولا متى يبعثون فتكون أعمالهم بإراداتهم لا إكراه عليهم فيها فيكون الجزاء على أعمالهم عادلاً ، وقوله : { فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها فتردى } ينهى تعال موسى ان يقبل صد صاد من المنكرين للبعث متعبي الهوى عن الإيمان بالبعث والجزاء والتزود بالأعمال الصالحة لذلك اليوم العظيم الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت وهو لا يظلمون ، فإن من لا يؤمن بها ولا يتزود لها يردى أي يهلك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم .

2- تقرير التوحيد وإثباته ، وأن الدعوة إلى لا إله إلا الله دعوة كافة الرسل .

3- إثبات صفة الكلام لله تعالى .

4- مشروعية التبرك بما جلعه الله تعالى مباركاً ، والتبرك التماس البركة حسب بيان الرسول وتعليمه .

5- وجوب إقام الصلاة وبيان علة ذلك وهو ذكر الله تعالى .

6- بيان الحكمة في إخفاء الساعة مع وجوب اتيانها وحتميته .

(432/2)

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)

شرح الكلمات :

{ وما تلك بيمينك يا موسى } : الاستفهام للتقرير به ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية .

{ أتوكأ عليها } : أي أعتمد عليها .

{ وأهش بها على غنمي } : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم .

{ ولي فيها مآرب أخرى } : أي حاجات أخرى كحمل الزاد بتعلقيه فيها ثم حمله على عاتقه ، وقتل الهوام .

{ حية تسعى } : أي ثعبان عظيم ، تمشي على بطنها بسرعة كالثعبان الصغير المسمى بالجان .

{ سيرتها الأولى } : أي إلى حالتها الأولى قبل أن تنقلب حية .

{ إلى جناحك } : أي إلى جنبك الأيسر تحت العضد الى الإبط .

{ بيضاء من غير سوء } : أي من غير برص تضيء كشعاع الشمس .

{ إذهب إلى فرعون } : أي رسولاً إليه .

{ انه طغى } : تجاوز الحد في الكفر حتى ادعى الألوهية .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع موسى وربه تعالى إذ سأله الرب تعالى وهو أعلم به وبما عنده قائلا : { وما تلك بيمينك يا موسى ؟ } يسأله ليقرر بأن ما بيده عصا من خشب يابسة ، فإذا تحولت إلى حية تسعى علم أنها آية له أعطاه إياها ربه ذو القدرة الباهرة ليرسله الى فرعون وملائه . وأجاب موسى ربه قائلا : { هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي } يريد يخبط بها الشجر اليابس فيتساقط الورق فتأكله الغنم { ولي فيها مآرب } أي حاجات (أخرى) كحمل الزاد والماء بها ويضعه على عاتقه كعادة الرعاة وقد يقتل بها الهوام الضارة كالعقرب والحية . فقال له ربه عزوجل { ألقها يا موسى فألقاها } من يده { فإذا هي حية تسعى } أي ثعبان عظيم تمشي على بطنها كالثعبان الصغير المسمى بالجان فخاف موسى منها وولى هارباً فقال له الرب تعالى : { خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى } أي نعيدها عصا كما كانت قبل تحولها الى حية وفعلاً أخذها فإذا هي عصاه التي كانت بيمينه . ثم أمره عصا كما كانت قبل تحولها إلى حية وفعلاً أخذها فإذا هي عصاه التي كانت بيمينه . ثم أمره تعالى بقوله : { واضم يدك } أي اليمنى { الى جناحك } الأيسر { تخرج بيضاء من غير سوء } أي برص وفعل فضم تحت عضده إلى ابطه ثم استخرجها فإذا هي تتلألؤ كأنها فلقة قمر ، أو كأنها الثلج بياضاً أو أشد ، وقوله تعالى { آية أخرى } أي آية لك دالة على رسالتك أخرى إذ الأولى هي انقلاب العصا الى حية تسعى كأنها جان . وقوله تعالى : { لنريك من آياتنا الكبرى } أي حولنا له العصا حية وجعلنا يدك تخرج بيضاء من أجل أن نريك من دلائل قدرتنا وعظيم سلطاننا . وقوله تعالى : { اذهب الى فرعون أنه طغى } لما اراه من عجائب قدرته أمره ان يذهب الى فرعون رسولاً إليه يأمره بعبادة الله حده وأن يرسل معه بني إسرائيل ليخرج بهم

الى أرض المعاد بالشام وقوله { إنه طغى } أي تجاوز قدره ، وتعدى حده كبشر إذ أصبح يدعى الربوبية والألوهية إذ فقال :

(433/2)

{ أنا ربكم الأعلى } وقال : { ما علمت لكم من إله غيري } ، فأي طغيان أكبر من هذا الطغيان .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذه الأخبار لا تصح إلا ممن يوحى إليه . 2- استحباب تناول الأشياء غير المستقذرة باليمين .

3- مشروعية حمل العصا .

4- سنة رعي الغنم للأنبياء .

5- مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله في المعارك .

6- آية موسى في انقلاب العصا حية وخروج اليد البيضاء كأنها الثلج أو شعاع شمس .

7- بيان الطغيان : وهو ادعاء العبد ما ليس له كالألوهية ونحوها .

(434/2)

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)

شرح الكلمات :

{ اشرح لي صدري } : أي وسعه لأتحمل الرسالة .

{ ويسر لي أمري } : أي سهله حتى أقوى على القيام به .

{ واحلل عقدة من لساني } : أي حبسة حتى أفهم من أخاطب .

{ أشدد بها أزري } : أي قوي به ظهري .

{ وأشركه في أمري } : أي اجعله نبياً كما نبأتني .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في حديث موسى عليه السلام مع ربه سبحانه وتعالى بعد أن أمر الله تعالى موسى بالذهاب الى فرعون ليدعوه الى عبادة الله وحده وارسال بني إسرائيل مع موسى ليذهب به إلى أرض القدس عليه السلام لربه تعالى {

اشرح لي صدري } لأتحمل أعباء الرسالة { ويسر لي أمري } أي سهل مهمتي عليَّ وارزقني العون عليها فإنها صعبة شاقة . { واحلل عقدة من لساني } تلك العقدة التي نشأت بسبب الجمرة التي ألقاها في فمه بتدبير الله عزوجل حيت عزم فرعون على قتله لما وضعه في حجره يلاعبه فأخذ موسى بلحية فرعون ونتفها فغضب فقالت له آسية إنه لا يعقل لصغر سنه وقالت له تختبره بوضع جواهر في طبق وجمر في طست فإن أخذ الجواهر فهو عاقل ودونك افعل ما شئت ، وإن أخذ الجمر فهو عاقل فلا تحفل به ولا تغتم لفعله ، وقدم لموسى الطبق والطست فمد يده الى الطست بتدبير الله فأخذ جمرة فكانت سبب هذه العقدة فسأل موسى ربه أن يحلها من لسانه فيصفح إذا خاطب فرعون وبين فيفُهم قوله ، وبذلك يؤدي رسالته . هذا معنى قوله : { واحلل عقدة من لسان يفقهوا قولي } .

وقوله تعالى فيما أخبر عن موسى { واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي } أي طلب من الله تعالى أن يجعل له من أخيه هارون معيناً على تبيلغ الرسالة وتحمل أعبائها . وقوله : { اشدد به أزري } أي قو به ظهري . وقوله : { أشركه في أمري } وذلك بتنبئته وإرساله ليكون هارون نبياً رسولاً . وعلل موسى عليه الصلاة والسلام لطلبه هذا بقوله : { كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً } ، وقوله { إنك كنت بنا نصيرا } أي أنك كنت ذا بصر منا من ربه توسل إليه بعمله تعالى به وبأخيه وبحالهما .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب اللجأ الى الله تعالى في كل ما يهم العبد .

2- مشروعية الأخذ بالأهبة والاستعداد لما يعتزم العبد القيام به .

3- فضيلة التسبيح والذكر ، والتوسل بأسماء الله وصفاته .

(435/2)

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)

شرح الكلمات :

{ قد أوتيت سؤلك } : أس مسؤولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وانحلال عقدة لسانك ، وتنبئة أخيك .

{ ولقد مننا عليك مرة أخرى } : أي أنعمنا علية مرة أخرى قبل هذه .

{ ما يوحى } : أي في شأنك وهو قوله : أن اقذفيه الخ .

{ في التابوت } : أي الصندوق .

{ فاقذفيه في اليم } : أي في نهر النيل .

{ ولتصنع على عيني } : تربى بمرأى مني ومحبة وإرادة .

{ على من يكلفه } : ليكمل له رضاعه .

{ وقتلت نفساً } : هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو بيت فرعون .

{ فنجيناك من الغم } : إذا استغفرنا فغفرنا لك وأئتمر بك ليقتلوك فنجيناك منهم .

{ وفتناك فتونا } : أي اختبرناك اختبارا وابتليناك ابتلاء عظيما .

{ جئت على قدر } : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك الى فرعون .

{ واصطفيناك لنفسي } : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتباءً منا لك لتحمل رسالتنا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في حديث موسى مع ربه تعالى فقد تقدم أن موسى عليه السلام سأل ربه أموراً لتكون عوناً له على حمل رسالته فأجابه تعالى بقوله : في هذه الآية (36) { قال قد أوتيت سؤلك يا موسى } أي قد أعطيت ما طلبت ، { ولقد مننا عليك مرة أخرى } أي قبل هذه الطلبات وهي أنه لما أمر فرعون بذبح أبناء بني إسرائيل { إذ أوحينا إلى أمك أن اقذفيه في التابوت } أي في الصندوق { فاقذفيه في اليم } أي نهر النيل { فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له } فهذه النجاة نعمة ، ونعمة أخرى تضمنها قوله تعالى : { ألقيت عليك محبة مني } أي أضفيت عليك محبتي فأصبح من يراك يحبك ، ونعمة أخرى وهي : من أجل أن تُربى وتغذى على مرأى مني وإرادة لي أرجعتك بتدبيري الى أمك لترضعك وتقر عينها ولا تحزن على فراقك ، وهو ما تضمنه قوله تعالى : { إذ تمشي أختك } فتقول : { هل أدلكم على من يكفله } لكم أي لارضاعه وتربيته . { فرجعناك الى إمك كي تقر عينها ولا تحزن } ، ونعمة أخرى وهي أعظم إنجاؤنا لك من الغم الكبير بعد قتلك النفس وائتمار آل فرعون على قتلك { فنجيناك من الغم } من القتل وغفرنا لك خطيئة القتل . وقوله تعالى : { وفتناك فتوناً } أي ابتليناك ابتلاءً عظيما وها هي خلاصته في الأرقام التالية :

1- حمل أمك بك في السنة التي يقتل فيها أطفال بني إسرائيل .

2- إلقاء أمك بك في اليم .

3- تحريم المراضع عليك حتى رجعت الى أمك .

4- أخذك بلحية فرعون وهمه بقتلك .

5- قتلك القبطي وائتمار آل فرعون بقتلك .

6- إقامتك في مدين وما عانيت من آلام الغربة .

7- ضلالك الطريق بأهلك وما أصابك من الخوف والتعب .

هذه بعض ما يدخل تحت قوله تعالى : وفتناك فتوناً { فلبث سنين في أهل مدين } ترعى غنم شعيب عشراً من السنين { ثم جئت } من مدين الى طور سينا { على قدر } منا مقدر ووعيد محدد ما كنت تعمله حتى لاقيته .

واصطنعتك لنفسي أي خلقتك وربيتك وإبتليتك واتيت بك على موعد قدرته لأحملك عبء الرسالة الى فرعون وبني إسرائيل : الى فرعون لتدعوه الى عبادتنا وإرسال بني إسرائيل معك الى أرض المعاد . والى بني إسرائيل لهدايتهم وإصلاحهم وإعدادهم للإسعاد والإكمال في الدارين إن هم آمنوا واستقاموا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مظاهر لطف الله تعالى وحسن تدبيره في خلقه .

2- مظاهر اكرام الله تعالى ولطفه بعبده ورسوله موسى عليه السلام .

3- آية حب الله تعالى لموسى ، وأثر ذلك في حب الناس له .

4- تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بإخباره في كتابه بمثل هذه الأحداث في قصص موسى عليه السلام .

(437/2)

اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)

شرح الكلمات :

{ بآياتي } : أي المعجزات التي آتيتك كالعصا واليد وغيرها .

{ ولا تنيا في ذكري } : أي لا تفترا ولا تقصرا في ذكري فإنه سر الحياة وعونكما على أداء رسالتكما .

{ انه طغى } : تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية .

{ قولا لينا } : أي خالياً من الغلظة والعنف .

{ لعله يتذكر } : أي فيما تقولان فيهتدي الى معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل معكما بني إسرائيل .

{ يفرط علينا } : أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له .

{ أو أن يطغى } : أي يزداد طغياناً وظلما .

{ اسمع وأرى } : أي اسمع ما تقولانه وما يقال لكما ، وأرى ما تعملان وما يعمل لكما .

{ فأرسل معنا بني إسرائيل } : أي لنذهب بهم إلى أرض المعاد أرض أبيهم ابراهيم .

{ بآية } : أي معجزة تدل على صدقنا في دعوتنا وأنا رسولا ربك حقاً وصدقاً .

{ والسلام على من اتبع الهدى } : أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقى ، إذ الهدى إيمان وتقوى .

{ من كذب وتولى } : أي كذب بالحق ودعوته وأعرض عنهما فلم يقبلهما .

معنى الكلمات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن موسى مع ربه تبارك وتعالى فقد أخبره تعالى في الآية السابقة أنه صنعه لنفسه ، فأمره في هذه الآية بالذهاب مع أخيه هارون مزودين بآيات الله وهي حججه التي أعطاهما من العصا واليد البيضاء . ونهاهما عن التواني في ذكر الله بأن يضعفا في ذكر وعده ووعيده فيقصرا في الدعوة إليه تعالى فقال : { اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري } وبين لهما الى من يذهبا وعلة فقال : { إذها إلى فرعون انه طغى } أي تجاوز قدره وتعدى حده من إنسان يعبد الله إلى إنسان كفار ادعى أنه رب وإله ، وعلمهما اسلوب الدعوة فقال لهما : { فقولا له قولاً ليناً } أي خالياً من الغلظة والجفا وسوء الإلقاء وعلل ذلك فيراجع نفسه فيؤمن ويهتدي أو يخشى العذاب ان بقى على كفره وظلمه فيسلم لكما بني إسرائيل ويرسلهم معكما ، فأبدى موسى وأخوه هارون تخوفاً فقال ما أخبر تعالى به عنهما في قوله : { غفالا إنا نخاف أن يفرط علينا } أي يجعل بعقوبتنا بالضرب أو القتل ، { أو أن يطغى } أي يزداد طغياناً وظلما . فطمأنهما ربهما عزوجل بأنه معهما بنصره وتأييده وهدايته الى كل من تقولان لفرعون وما يقول لكما . وأرى ما تعملان من عمل وما يعمل فرعون وإني أنصركما عليه فأحق عملكما وأبطل عمله . فاتياه إذاً ولا ترددا فقولا أي لفرعون { إنا رسولا ربك } أي إليك { فأرسل معنا بني إسرائيل } لنخرج بهما حيث أمر الله ، { ولا تعذبهم } بقتل رجالهم واستيحاء نسائهم واستعمالهم في أسوء الأعمال وأحطها ، { قد جئناك بآية من ربك } أي بحجة من ربك دالة على أنا رسولا ربك إليك وأنه يأمرك بالعدل والتوحيد وينهاك عن الظلم والكفر ومنع بني إسرائيل من الخروج الى أرض المعاد معنا .

(438/2)

{ والسلام على من اتبع الهدى } أي واعلم يا فرعون أن الأمان والسلامة يحصلان لمن اتبع الهدى الذي جئناك به ، فاتبع الهدى تسلم ، وإلا فأنت عرضة للمخاوف والهلاك والدمار وذلك لأنه { قد أوحي إلينا } أي أوحى إلينا ربنا ، { إن العذاب على من كذب } بالحق الذي جئناك به (وتولى) عنه فأعرض عنه ولم يقبله كبرياءً وعناداً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- عظم شأن الذكر بالقلب واللسان والجوارح أي بالطاعة فعلاً وتركاً .

2- وجوب مراعاة الحكمة في دعوة الناس الى ربهم .

3- تقرير معية الله تعالى مع أوليائه وصالحى عباده بنصرهم وتأييدهم .

4- تقرير أن السلامة من عذاب الدنيا والآخرة هي من نصيب متبعي الهدى .

5- شرعية إيتان الظالم وأمره ونهيه والصبر على اذاه .

6- عدم المؤاخذة على الخوف حيث وجدت اسبابه .

(439/2)

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51)
قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)

شرح الكلمات :

{ أعطى كل شيء خلقه } : أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره .

{ ثم هدى } : أي الحيوان منه إلى طلب مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه .

{ قال فما بال القرون الأولى } : أي قال فرعون لموسى ليصرفه عن ادلائه بالحجج حتى لا يفتضح فما بال القرون الأولى كقوم نوح وعاد وثمود في عبادتهم الأوثان ؟

{ قال علمها عند ربي } : أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي دعنا من هذا فإنه لا يعنينا .

{ في كتاب لا يضل ربي } : أي أعمال الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزيهم بأعمالهم إن ربي لا يخطئ ولا ينسى فإن عذب أو أخر العذاب فإن ذلك لحكمة اقتضت منه ذلك .

{ مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً } : مهاداً ، فراشاً وسلك : سهل ، وسبلاً طرقا .

{ أزواجاً من نبات شتى } : أزواجاً : أصنافاً : شتى : مختلفة الألوان والطعوم .

{ ان في ذلك لآيات } : لدلائل واضحات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته .

{ لأولى النهى } : أي أصحاب العقول لأن النهية العقل وسمى نهية لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي .

{ منها خلقناكم } : أي من الأرض وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم عند البعث يوم القيامة .

{ تارة أخرى } : أي مرة أخرى إذ الأولى كانت خلقاً من طين الأرض وهذه اخراجاً من الأرض .

معنى الآيات :

السياق الكريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون إذ وصل موسى وأخوه الى فرعون ودَعَوَاهُ إلى الله تعالى ليؤمن به ويعبده وبأسلوب هادئ لين كما أمرهما الله تعالى : فقالا له : { والسلام على من اتبع الهدى إنا قد اوحي علينا أن العذاب على من كذب وتولى } ولم يقولا له لا سلام عليك ، ولا أنت مكذب ومعذب . وهنا قال لهما فرعون ما أخبر به تعالى في قوله : { قال فمن ربكما يا موسى ؟ } أفرد اللعين موسى بالذكر لإدلائه عليه بنعمة التربية في بيته ولأنه الرسول الأول فأجابه موسى بما أخبر تعالى به بقوله : { ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى } أي كل مخلوق خلقه الذي هو عليه متميز به من شكل ولون وصفة وذات ثم هدى الأحياء من مخلوقاته الى طلب رزقها من طعام وشراب ، وطلب بقائها بما سن لها وهداها إليه من طرق التناسل إبقاء لأنواعها . وهنا وقد أفحم موسى فرعون وقطع حجته بما ألهمه الله من علم وبيان قال فرعون صارفاً موسى عن المقصود خشية الفضيحة من الهزيمة أمام ملائه قال : { فما بال القرون الأولى } أخبرنا عن قوم نوح وهود وصالح وقد كانوا يعبدون الأوثان . وعرف موسى ان اللعين يريد صرفه عن الحقيقة فقال له ما أخبر تعالى به في قوله : { علمها عند ربي في كتاب ، لا يضل ربي ولا ينسى } فإن ما سألت

عنه لا يعنينا فعلم حال تلك الأمم الخالية عند ربي في لوح محفوظ عنده وسيجزيها بعملها ، وما عجل لها من العقوبة أو أخر إنما الحكمة يعلمها فإن ربي لا يخطئ ولا ينسى وسيجزى كلاً بكسبه .

(440/2)

ثم أخذ موسى يصف ربه ويعرفهم به وهي فرصة سنحت فقال { الذي جعل لكم الأرض مهاداً } أي فراشاً مبسطوطة للحياة عليها { وسلك لكم فيها سبلاً } أي سهل لكم للسير عليا طرقا تمكنكم من الوصول الى حاجاتكم فوقها ، { وأنزل من السماء ماء } وهو المطر المكون للأنهار والمغذي للآبار . هذا هو ربي وربكم فاعرفوه واعبدوه ولا تعبدوا معه سواه . وقوله تعالى : { فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى } أي بالمطر أزواجاً أي أصنافاً من نبات شتى أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخصائص . كان هذا من قول الله تعالى تتميماً لكلام موسى وتذكيراً لأهل مكة المتجاهلين لله وحقه في التوحيد . وقوله : { كلوا وارعوا أنعامكم } أي مما ذكرنا لكم من أزواج النبات وارعوا إبكلم واغنامكم وسائر بهائمكم واشكروا لنا هذا الإنعام بعبادتنا وترك عبادة غيرنا . وقوله تعالى : { إن في ذلك لآيات لأولي النهى } أي أن في ذلك المذكور من إنزال المطر وإنبات النبات لتغذية الإنسان والحيوان لدلالات على قدرة الله وعلمه وحكمته وأنه بذلك مستحق للعبادة دون سواه الا أن هذه الدلائل لا يعقلها الا أصحاب العقول وذوو النهى فهم الذي يستدلون بها علم معرفة الله ووجوب عبادته وترك عبادة غيره . وقوله تعالى : { منها } أي من الأرض التي فيها حياة النبات والحيوان خلقناكم أي بخلق أصلكم الأول وهو آدم ، وفيها نعيدكم بالموت فتقبرون أحياء للحساب والجزاء بالنعيم المقيم أو العذاب المهين بحسب صفات نفوسكم فذو النفس الطاهرة ينعم وذو النفس الخبيثة من الشرك والمعاصي يعذب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تعين إجابة السائل ولتكن بالعلم الصحيح النافع .

2- تقرير مبدأ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

3- تنزه الرب تعالى عن الخطأ والنسيان .

4- الاستدلال بالآيات الكونية على الخالق عزوجل وقدرته وألوهيته .

5- احترام العقول وتقديرها لأنها تعقل صاحبها دون الباطل والشر .

6- تسمية العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن القبائح .

(441/2)

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60)

شرح الكلمات :

{ أريناه آياتنا } : أي أبصرناه حججنا وأدلتنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسى وهارون إليه كلها فرفضها وأبى أن يصدق بأنهما رسولين إليه من ري العالمين .

{ من أرضنا } : أي أرض مصر التي فرعون ملك عليها .

{ بسحرك يا موسى } : يشير إلى العصا واليد البيضاء .

{ مكاناً سوى } : أي مكان عدل بيننا وبينك ونَصَفٍ ، صالحاً للمباراة بحيث يكون ساحة كبرى مكشوفة مستوية يرى ما فيها كل ناظر إليها .

{ يوم الزينة } : أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل .

{ وأن يحشر الناس ضحى } : أي وأن يؤتى بالناس من كل انحاء البلاد للنظر في المباراة .

{ فتولى فرعون } : أي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون في كبرياء وإعراض .

{ فجمع كيده } : أي ذوى كيده وقوته من السحرة .

معنى الآيات : ما زال السياق الكريم في الحوار بين موسى وهارون من جهة وفرعون وملائه من جهة أخرى فقال تعالى : { ولقد أريناه } أي أرينا فرعون { آياتنا كلها } أي أدلتنا وحججنا على أن موسى وهارون رسولان من { قبلنا } أرسلناهما إليه ، فكذب برسالتهما وأبى الأعتراف بهما ، وقال ما أخبر تعالى به عنه : { قال أجئتنا } أي يا موسى { لتخرجنا من أرضنا } أي منازلنا وديارنا ومملكتنا { بسحرك } الذي انقلبت به عصاك حية تسعى ، { فلنأتينك بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعداً } نتقابل فيه ، { لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى } عدلاً بيننا وبينك يكون من الاعتدال والاتساع بحيث كل من ينظر إليه يرى ما يجرى فيه وهو يوم عيد للإقباط يتجملون فيه ويقعدون عن العمل ، { وأن يحشر الناس ضحى } أي في يوم يجمع فيه الناس ضحى للتفرج في المباراة من كل أنحاء المملكة وهنا تولى فرعون بمعنى انصرف من مجلس المحاورة وكله كبر وعناد فجمع قواته من السحرة لإنفاذ كيده في موسى وهارون . وفي الآيات التالية تظهر الحقيقة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان كبر فرعون وصلفه وطغيانه .

2- للسحر آثار وله مدارس يتعلم فيها ورجال يحذقونه ويعلمونه .

3- مشروعية المبارزة والمباراة لإظهار الحق وإبطال الباطل .

4- مشروعية اختيار المكان والزمان اللائق للقتال والمباراة ونحوهما .

قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66)

شرح الكلمات :

{ ويلكم } : دعاء عليهم معناه : ألزمكم الله الويل وهو الهلاك .

{ فيسحتكم بعذاب } : أي يهلككم بعذاب من عنده .

{ فتنازعوا أمرهم } : أي في شأن موسى وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران .

{ وأسروا النجوى } : وهي قولهم : ان هذان لساحران يريدان الخ . . . .

{ بطريقتكم المثلى } : أي ويغلبا على طريقة قومكم وهما أشرافهم وساداتهم .

{ فأجمعوا كيدكم } : أي أحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه .

{ قد أفلح من استعلى } : أي قد فاز من غلب .

{ إما أن تلقي } : أي عصاك .

{ فخيل إليه أنها تسعى } : أي فخيل إلى موسى انها حية تسعى ، لأنهم طلوها بالزئبق فلما ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت فخيل الى موسى انها تتحرك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام والسحرة الذين جمعهم فرعون للمباراة فأخبر تعالى عن موسى أنه قال لهم مخوفاً إياهم علهم يتوبون : { ويلكم لا تفتروا على الله كذباً } أي لا تتقولوا على الله فتنسبوا إليه ما هو كذب { فيسحتكم بعذاب } أي يهلككم بعذاب إبادة واستئصال . { وقد خاب من افترى } أي خسر من كذب على الله أو على الناس . ولما سمعوا كلام موسى هذا اختلفوا فيما بينهم هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو كلام رسول من في السماء؟ وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله :

{ فتنازعوا أمرهم بينهم } وقوله { وأسروا النجوى } أي أخفوا ما تناجوا به بينهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله : { إن هذان لساحران } أي موسى وهارون { يريدان أن يخرجكم من أرضكم } أي دياركم المصرية ، { ويذهبا يطريقتكم المثلى } أي باشرافكم وساداتكم من بني إسرائيل وغيرهم فيتابعوهما على ما جاءا به ويدينون بديهما ، وعليه فأجمعوا أمركم حتى لا تختلفوا فيما بينكم ، (ثم ائتوا صفا) واحدا متراصاً ، { وقد أفلح اليوم من استعلى } أي غلب ، وهذا بعد أن اتفقوا على أسلوب المباراة قالوا بأمر فرعون : { يا موسى إما أن تلقي } عصاك ، وإما أن نلقي نحن فنكون أول من ألقى . فقال لهم موسى : { بل ألقوا } ، فالقوا عندئذ { فإذا حبالهم وعصيهم } وكانت ألوفاً فغطت الساحة وهي تتحرك وتضطرب لأنها . مطلية بالزئبق فلما سخنت بحر الشمس صارت تتحرك وتضطرب الأمر الذي خيل فيه لموسى انها تعسى « باقي الحديث في الآيات بعد » .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- حرمة الكذب على الله تعالى ، وإنه ذنب عظيم يسبب دمار الكاذب وخسرانه .

2- من مكر الانسان وخداعه أن يحول القضية الدينية البحتة إلى سياسة خوفاً من التأثير على النفوس فتؤمن وتهتدي الى الحق .

3- معية الله تعالى لموسى وهارون تجلت في تصرفات موسى إذ الإذن لهم بالإلقاء أولاً من الحكمة وذلك أن الذي يبقى في نفوس المتفرجين والنظارة هو المشهد الأخير والكلمة الأخيرة التي تقال . . لا سيما في موقف كهذا .

(443/2)

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)

شرح الكلمات :

{ فأوجس في نفسه خفية } : أي أحس بالخوف في نفسه .

{ أنت الأعلى } : أي الغالب المنتصر .

{ تلقف } : أي تبتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي .

{ كيد ساحر } : أي كيد سحر لا بقاء له ولا ثبات .

{ لا يلفح الساحر } : أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان .

{ فألقي السحرة سجداً } : أي ألقوا بأنفسهم ورؤوسهم على الأرض ساجدين .

{ إنه لكبيركم } : أي لمعلمكم الذي علمكم السحر .

{ من خلاف } : أي يد يمنى مع رجل يسرى .

{ في جذوع النخل } : أي على أخشاب النخل .

{ أينا أشد عذاباً وأبقى } : يعني نفسه – لعنه الله – ورب موسى اشد عذاباً وأدومه على مخالفته وعصيانه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المباراة التي بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون إنه لما ألقة السحرة حبالهم وعصيهم وتحركت واضطربت وامتلأت بها الساحة شعر موسى بخوف في نفسه فأوحى إليه ربه تعالى في نفس اللحظة : { لا تخف إنك أنت الأعلى } أي الغالب القاهر لهم .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (67) فأوجس في نفسه خفية موسى والثانية (68) { قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى

} وقوله تعالى : { وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا } أي تبتلع بسرعة وعلل لذلك فقال : { إنما صنعوا كيد ساحرا } أي هو مكر وخدعة من ساحر { ولا يفلح الساحر حيث أتى } أي لا يفوز الساحر بما أراد ولا يظفر له أبداً لأنه مجرد تخيلات يريها غيره . وليس لها حقيقة ثابتة لا تتحول ولما شاهد السحرة ابتلاع العصا لكل حبالهم وعصيتهم عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو معجزة سماوية ألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله رب العالمين لما بهر نفوسهم من عظمة المعجزة وقالوا في وضوح { آمنا برب هارون وموسى } . وهنا صاح فرعون مزمجراً مهدداً ليتلافى في نظره شر الهزيمة فقال للسحرة { آمنتم له قبل أن آذن لكم } بذلك { إنه لكبيركم } أي معلمكم العظيم { الذي علمكم السحر } فتواطأتهم معه على الهزيمة . { فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف } تعذيباً وتنكيلاً فاقطع يمين أحدكم مع يسرى رجليه ، أو العكس { ولأصلبنكم في جذوع النخل } أي لأشدنكم على أخشاب النخل واتركهم معلقين عبرة ونكالا لغيركم { ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى } أي أدومه : رب موسى الذي آمنتم به أو أنا « فرعون عليه لعائن الله »

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الشعور بالخوف والإحساس به عند معاينة أسبابه لا يقدح في الإيمان .

2- تقرير أن ما يظهر السحرة من تحويل الشيء الى آخر إنما هو مجرد تخييل لا حقيقة له .

3- حرمة السحر لأنه تزوير وخداع .

4- قوة تأثير المعجزة في نفس السحرة لما ظهر لهم من الفرق بين الآية والسحر .

5- شجاعة المؤمن لا يرهبها خوف بقتل ولا بصلب .

(444/2)

قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)

شرح الكلمات :

{ لن نؤثرك } : أي لن نفضلك ونختارك .

{ والذي فطرنا } : أي خلقنا ولم نكن شيئاً .

{ فاقض ما أنت قاض } : أي اصنع ما قلت إنك تصنعه بنا .

{ والله خير وأبقى } : أي خير منك ثواباً إذا أطيع وأبقى منك عذاباً إذا عصى .

{ مجرماً } : مجرماً أي على نفسه مفسداً لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي .

{ جزاء من تزكى } : أي ثواب من تتطهر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع فرعون والسحرة المؤمنين انه لما هددهم فرعون بالقتل والصلب على جذوع النخل لإيمانهم بالله وكفرهم به وهو الطاغوت قالوا له ما أخبر تعالى به عنهم في هذه الآية (72) { قالوا لن نؤثرك } يا فرعون { على ما جاءنا من البينات } الدلائل والحجج القاطعة على أن رب موسى وهارون هو الرب الحق الذي تجب عبادته وطاعته فلن نختارك على الذي خلقنا فنؤمن بك ونكفر به لن يكون هذا أبداً واقض ما أنت عازم على قضائه علينا من القتل والصلب . { إنما تقضى هذه الحياة الدنيا } في هذه الحياة الدنيا لما لك من السلطان فيها أما الآخرة فسوف يقضى عليك فيها بالخلد في العذاب المهين .

وأكدوا إيمانهم في غير خوف ولا وجل فقالوا : { إنا آمنا بربنا } أي خالقنا ورازقنا ومدبر أمرنا { ليغفر لنا خطايانا } أي ذنوبنا ، { وما أكرهتنا عليه من السحر } أي من تعلمه والعمل به ، ونحن لا نريد ذلك ولا شك ان فرعون كان قد ألزمهم بتعلم السحر والعمل به من أجل محاربة موسى وهارون لما رأى من معجزة العصا واليد . وقولهم { والله خير وأبقى } أي خير ثوابا وجزاء حسنا لمن آمن به وعمل صالحاً ، وأبقى عذاباً لمن كفر به وبآمن بغيره وعصاه . هذا ما دلت عليه الآيتان (72) و (73) .

أما الآية الثالثة (74) وهي قوله تعالى : { أنه من يأت ربه مجرماً } أي على نفسه بإفسادها بالشرك والمعاصي { فإن له جهنم لا يموت فيها } فيستريح من العذاب فيها ، { ولا يحيى } حياة يسعد فيها .

وقولهم { ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات } أي مؤمناً به كافراً بالطاغوت قد عمل بشرائعه فأدى الفرائض واجتنب المناهي { فأولئك لهم } جزاء إيمانهم وعملهم الصالح { الدرجات العلى جنات عدن } أي في جنات عدن { تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها } لا يموتون ولا يخرجون منها ، { وذلك جزاء من تزكى } أي تتطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد تخليه عن الشرك والخطايا والذنوب . لا شك ان هذا العلم الذي عليه السحرة كان قد حصل لهم من طريق دعوة موسى وهارون إذا أقاموا بينهم زمناً طويلاً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- لا يؤثر الكفر على الإيمان والباطل على الحق والخرافة على الدين الصحيح إلا احمق جاهل .

2- تقرير مبدأ أن عذاب الدنيا يتحمل ويصبر عليه بالنظر الى عذاب الآخرة .

3- الاكراه نوعان : ما كان بالضرب الذي لا يطاق يغفر لصاحبه وما كان لمجرد تهديد ومطالبة فإنه لا يغفر إلا بالتوبة الصادقة وإكراه السحرة كان من النوع الآخر .

4- بيان جزاء كل من الكفر والمعاصي ، والإيمان والعمل الصالح في الدار الآخرة .

(445/2)

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)

شرح الكلمات :

{ ان أسر بعبادي } : أي سر ليلاً من أرض مصر .

{ طريقاً في البحر يبساً } : طريقاً في وسط البحر يابساً لا ماء فيه .

{ لا تخاف دركاً } : أي لا تخش أن يدركك فرعون ، ولا تخشى غرقاً .

{ فغشيهم من اليم } : أي فغطاهم من ماء البحر ما غطاهم حتى غرقوا فيه .

{ وأضل فرعون قومه } : أي بدعائهم الى الإيمان به والكفر بالله رب العالمين . { وما هدى } : أي لم يهدهم كما وعدهم بقوله : { وما أهديكم الا سبيل الرشاد . } { جانب الطور الأيمن } : أي لأجل إعطاء موسى التوارة التي فيها نظام حياتهم دينا ودنيا .

{ المن والسلوى } : المن : شيء أبيض كالثلج ، والسلوى طائر يقال له السماني .

{ ولا تطغوا فيه } : أي بالإسراف فيه ، وعدم شكر الله تعالى عليه .

{ ثم اهتدى } : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح حتى الموت .

معنى الآيات :

إنه بعد الجدال الطويل والخصومة الشديدة التي دامت زمناً غير قصير وأبى فيها فرعون وقومه قبول الحق والإذعان له أوحى تعالى الى موسى عليه السلام بما أخبر به في قوله عز وجل : { ولقد أوحينا إلى موسى } وبأي شيء أوحى إليه . بالسرى ببني إسرائيل وهو قوله تعالى { ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي } قوله { فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً } أي اجعل لهم طريقاً وسطه يابساً لا ماء فيه حتى اجتاز بنو إسرائيل البحر ، ولما تابعهم فرعون ودخل البحر بجنود أطبق الله تعالى عليهم البحر فأغرقهم أجمعين ، بعد أن نجى موسى وبني إسرائيل ، وهو معنى قوله تعالى : { فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم } أي من ماء البحر { ما غشيهم } أي الشيء العظيم من مياه البحر . وقوله لموسى { لا تخاف دركاً ولا تخشى } أي لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى غرقاً في البحر .

وقوله تعالى : { وأضل فرعون قومه وما هدى } إخبار منه تعالى أن فرعون أضل أتباعه حيث حرمهم من الإيمان بالحق واتباع طريقه ، ودعاهم الى الكفر بالحق وتجنب طريقه فاتبعوه على ذلك فضلوا وما اهتدوا ، وكان يزعم أنه ما يهديهم إلا سبيل الرشاد وكذب .

وقوله تعالى : { يا بني إسرائيل قد انجيناكم من عدوكم } أي فرعون ، { وواعدناكم جانب الطور الأيمن } أي مع نبينا موسى لانزال التوارة لهدايتكم وحكمهم بشرائعها ، وأنزلنا عليكم المن والسلوى غذاء لكم في التيه ، { كلوا من طيبات ما رزقناكم } أي قلنا لكم : كلوا من طيبات ما رزقناكم من حلال الطعام والشراب ، { ولا تطغوا فيه } بترك الحلال الى الحرام وبالأسراف في تناوله وبعدم شكر الله تعالى ، وقوله تعالى : { فيحل عليكم غضبي } أي أن أنتم طغيتم فيه . { ومن يحلل عليه غضبي } أي ومن يجب عليه غضبي { فقد هوى } أي في قعر جهنم وهلك .

وقوله تعالى : { وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى } يعدهم تعالى بأن يغفر لمن تاب منهم ومن غيرهم وعمل صالحاً أي أدى الفرائض واجتنب المناهي ثم استمر على ذلك ملازماً له حتى مات .

(446/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا القصص لا يقصه إلا بوحي إليه إذ لا سبيل إلى معرفته إلا من طريق الوحي الإلهي .

2- آية انفلاق البحر ووجود طريق يابس فيه لبني إسرائيل حتى اجتازوه دالة على جود الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته .

3- تذكير اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية بإنعام الله تعالى على سلفهم لعلهم يشكرون فيتوبون فيسلمون .

4- تحريم الإشراف والظلم ، وكفر النعم .

5- الغضب صفة لله تعالى كما يليق ذلك بجلاله وكماله لا صفات المحدثين .

(447/2)

وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89)

شرح الكلمات :

{ وما أعجلك } : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم .

{ هم على أثري } : أي آتون بعدي وليسوا ببعيدين مني .

{ وعجلت إليك ربي لترضى } : أي استعجلت المجئ إليك طلباً لرضاك عني .

{ قد فتنا قومك } : أي ابتليناهم أي بعادة العجل .

{ وأضلهم السامري } : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب تعالى .

{ غضبان أسفاً } : أي شديد الغضب والحزن .

{ وعداً حسناً } : أي بأن يعطيكم التوارة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم لتكملوا عليها وتسعدوا .

{ أفطال عليكم العهد } : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يوماً قبل أن يكملها الله تعالى أربعين يوماً .

{ بملكنا } : أي بأمرنا وطاقنا ، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على انجاز الوعد بالسير وراءك .

{ أوزاراً } : أي احمالاً من حلي نساء الأقباط وثيابهن .

{ فقذفناها } : أي ألقيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام .

{ ألقى السامري } : السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة الإسرائيلية ، وما ألقاه هو التراب الذي أخذه من تحت حافز فرس جبريل ألقاه أي قذفه على الحلي .

{ عجلاً جسداً } : أي ذا جثة .

{ له خوار } : الخوار صوت البقر .

{ فنسي } : أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه .

{ ألا يرجع إليهم قولاً } : أنه لا يكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الخوار .

معنى الآيات : بعد أن نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملائه حيث اجتاز بهم موسى البحر وأغرق الله فرعون وجنوده أخبرهم موسى أن ربه تعالى قد أمره أن يأتيه ببني اسرائيل وهم في طريقهم إلى أرض المعاد إلى جبل الطور ليؤتيهم التوارة فيها شريعتهم ونظام حياتهم دنيا ودينا وأنه واعدهم جانب الطور الأيمن ، واستعجل موسى في المسير إلى الموعد فاستخلف أخاه هارون على بني اسرائيل ليسير بهم وراء موسى ببطء حتى يلحقوا به عند جبل الطور ، وحدث أن بني إسرائيل فتنهم السامري بضع العجل ودعوتهم الى عبادته وترك المسير وراء موسى عليه السلام فقوله تعالى : { وما أعجلك عن قومك يا موسى } هو سؤال من الله تعالى لموسى ليخبره بما جرى قومه بعده وهو لا يدري فلما قال تعالى لموسى : { وما أعجلك } عن المجئ وحدك دون بني إسرائيل مع ان الأمر أنك تأتي معهم أجاب موسى بقوله { هم اولاء على أثري } آتون بعدي ، وعجلت المجئ إليك لترضى عني . هنا أخبره تعالى بما حدث لقومه فقال عز وجل : { إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري } أي بصنع العجل لهم ودعوتهم الى عبادته بحجة انه الرب تعالى وأن موسى لم يهتد إليه . ولما انتهت المناجاة وأعطى الله تعالى موسى الألواح التي فيه التوارة { فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً } أي حزينا إلى قومه فقال لهم لما أخبر تعالى عنه بقوله : { قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً } فذكرهم بوعد الله تعالى لهم بإنجائهم من آل فرعون وإكرامهم بالملك والسيادة موبخاً لهم على خطيئتهم بتخلفهم عن السير وراءه وانشغالهم بعبادة العجل والخلافات الشديدة بينهم ، وقوله { أفطال عليكم العهد } أي لم يطل فالمدة هي ثلاثون يوماً فلم تكتمل حتى فتنتم وعبدتم غير الله تعالى ، قوله { أم أرتم أن يحل عليكم غضب من ربكم } أي بل أردتم بصنعيكم الفاسد أن يجب عليكم غضب من ربكم فحل بكم ، { فأخلفتم موعدي } بعكوفكم على عبادة العجل وتركك السير على أثرى لحضور موعد الرب تعالى الذي واعدكم .

(448/2)

وقوله تعالى { قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا } هذا ما قاله قوم موسى كالمعتذرين به إليه فزعموا أنهم ما قدروا على عدم اخلاف الموعد لغلبة الهوى عليهم فلم يطيقوا السير وراءه مع وجود العجل وما ظللهم به السامري من أنه هو إلههم وأن

موسى أخطأ الطريق إليه . هذا معنى قولهم : { ما أخلفنا موعدك بملكنا } أي بامرنا وقدرتنا إذ كنا مغلوبين على أمرنا . وقولهم : { ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها } هذا بيان لوجه الفتنة وسببها وهي أنهم لما كانوا خارجين من مصر استعار نسائهم حلياً من نساء القبط بدعوى عيد لهم ، واصبحوا خارجين مع موسى في طريقهم الى القدس ، وتم إنجاؤهم واغراق فرعون ولما نزلوا بالساحل استعجل موسى موعد ربه وتركهم تحت إمره هارون أخيه على ان يواصلوا سيرهم وراء موسى إلى جبل الطور غير أن موسى الملقب بالسامري استغل الفرصة وقال لنساء بني إسرائيل هذا الحلى الذي عندكن لا يحل لكن أخذه إذ هي ودائع كيف تستحلونها وحفر لهم حفرة وقال ألقوها فيها وأوقد فيها النار لتحترق ولا ينتفع بها بعد ، هذا ما دل عليه قولهم (ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم) أي قوم فرعون فقذفناها أي في الحفرة التي أمر بها السامري وقوله تعالى { فكذلك ألقى السامرى } ما معه من التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل ، فصنع السامري العجل فأخرجه لهم عجلاً جسداً له خوار أي صوت فقال بعضهم لبعض هذا إلهكم وإله موسى الذي ذهب الى موعده فنسي وضل الطريق اليه فاعبدوه حتى يأتي موسى . قال تعالى موبخاً إياهم { أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً } إذا كلموه ، { ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا } فكيف يعقلون أنه إله وهو لا يجيبهم إذا سألوه ، ولا يعطيهم إذا طلبوه ، ولا ينصرهم إذا استنصروه ولكنه الجهل والضلال واتباع الهوى . والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات

1- ذم العجلة وبيان آثارها الضارة فاستعجال موسى الموعد وتركه قومه وراءه كان سبباً في أمر عظيم وهو عبادة العجل وما تترب عليها من آثار جسام .

2- مشروعية طلب رضا الله تعالى ولكن بما يجب أن يقترب به إليه .

3- مشروعية الغضب لله تعالى والحزن على ترك عبادته بمخالفة أمره ونهيه .

4- مشروعية استعارة الحلي للنساء والزينة ، وحرمة جحدها وأخذها بالباطل .

5- وجوب استعمال العقل واستخدام الفكر للتمييز بين الحق والباطل ، والخير والشر .

(449/2)

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)

شرح الكلمات :

{ فتنتم به } : أي ابتليتم به أي بالعجل .

{ لن نبرح عليه عاكفين } : أي لن نزال عاكفين على عبادته .

{ إذ رأيتهم ضلوا } : أي بعبادة العجل واتخاذه الهاً من دون الله تعالى .

{ لا تأخذ بلحيتي } : حيث أخذ موسى من شدة غضبه بلحية أخيه وشعر رأسه يجره إليه يعذله ويلوم عليه .

{ ولم ترقب قولي } : أي ولم تنتظر قولي فيما رأيته في ذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الذي دار بين موسى وقومه بعد رجوعه إليهم من المناجاة فقوله تعالى : { ولقد قال لهم هارون من قبل } أي من قبل رجوع موسى قال لهم أثناء عبادتهم العجل يا قوم إن العجل ليس إلهكم ولا إله موسى وإنما هو فتنة فتنتم به ليرى الله تعالى صبركم على عبادته ولزوم طاعة رسوله ، وليرى خلاف ذلك فيجزى كلاً بما يستحق وقال لهم : { وإن ربكم الرحمن } الذي شاهدتم آثار رحمته في حياتكم كلها فاذكروها { فاتبعون } في عبادة الله وحده وترك عبادة غيره { وأطيعوا أمري } فإني خليفة موسى الرسول فيكم فأجاب القوم الضالون بما أخبر تعالى عنهم بقوله : { قالوا لن نبرح عليه عاكفين } أي لن نزول عن عبادته والعكوف حوله { حتى يرجع إلينا موسى } . ولما سمع موسى من قومه ما سمع التفت إلى هارون قائلاً معاتباً عازلاً لائماً { يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا } أي بعبادة العجل { ألا تتبعني } أي بمن معك من المسلمين وتترك المشركين ، { أفعصيت أمري } ، ومن شدة الوجد وقوة اللوم والعذل أخذ بشعر رأسي أخيه بيمينه وأخذ بلحيته بيساره وجره إليه وهو يعاتبه ويلوم عليه فقال هارون : { يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي } إن لي عذراً في عدم متابعتك وهو إني خشيت إن أتيتك ببعض قومك وهم المسلمون وتركت بعضاً آخر وهو عباد العجل { أن تقول فرقت بين بني إسرائيل } وذلك لا يرضيك . { ولم ترقب قولي } أي ولم تنظر قولي فيما رأيت في ذلك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- معصية الرسول تؤدي إلى فتنة العاص في دينه ونياه .

2- جواز العذل والعتاب للحبيب عند تقصيره فيما عهد به إليه .

3- جواز الاعتذار لمن اتهم بالتقصير وان حقا .

4- قد يخطئ المجتهد في اجتهاده وقد يصيب .

(450/2)

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)

شرح الكلمات :

{ فما خطبك } : أي ما شأنك وما هذا الأمر العظيم الذي صدر منك .

{ بصرت بما لم يبصروا به } : أي علمت من طريق الإبصار والنظر ما لم يعلموا به لأنهم لم يروه .

{ } قبضة من أثر الرسول : أي قبضت قبضة من تراب حافر فرس الرسول جبريل عليه السلام .

{ فنبذتها } : أي القيتها وطرحتها على الحلى المصنوع عجلاً .

{ سولت لي نفسي } : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل .

{ أن تقول لا مساس } : أي اذهب تائها في الأرض طول حياتك وأنت تقول لا مساس أي لا يمسني أحد ولا أمسه لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك .

{ إلهك } : أي العجل .

{ ظلت } : أي ظللت طوال الوقت عاكفاً عليه .

{ في اليم نسفاً } : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفاً .

{ إنما الهكم الله } : أي لا معبود إلا الله لا إله إلا هو .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار بين موسى وقومه فبعد لومه أخاه وعذله له التفت إلى السامرى المنافق إذ هو من عباد البقر وأظهر الإسلام في بني إسرائيل ، ولما اتيحت له الفرصة عاد الى عبادة البقر فصنع العجل وعبده ودعا الى عبادته فقال له : في غضب { فما خطبك يا سامري } أي ما شأنك وما الذي دعاك الى فعلك القبيح الشنيع هذا فقال السامري كالمعتذر { بصرت بما لم يبصروا به } أي علمت ما لم يعمله قومك { فقبضت قبضة من أثر } حافز فرس { الرسول فنبذتها } في الحلي المصنوع عجلاً فخار كما تخور البقر . { وكذلك سولت لي نفسي } ذلك أي زينته لي وحسنته ففعلته ، وهنا أجابه موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به في قوله : { قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس } أي لك مدة حياتك أن تقول لمن أراد أن يقربك لا مساس أي لا تمسني ولا أمسك لتتيه طول عمرك في البرية مع السباع والحيوان عقوبة لك على جريمتك ، ولا شك أن فراره من الناس وفرار الناس منه لا يكون مجرد أنه لا يرقب في ذلك ، لعله قيل إنها الحمى فإذا مس أحد حمىعاً أي أصابتهما الحمى معاً كأنه اسلاك كهربائية مكشوفة من مسها تكهرب منها . وقوله له : { وإن لك موعداً لن تخلفه } ، أي ذاك النفي والطرد عذاب الدنيا ، وإن لك عذاباً آخر يوم القيامة في موعد لن تخلفه أبداً فهو آت وواقع لا محالة .

وقوله : أي موسى للسامري : (وانظر إلى الهك) المزعوم (الذي ظلت عليه عاكفاً) تعبده لا تفارقه ، والله (لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً) وفعلاً حرقه ثم جعله كالنشارة وذره في البحر تذرية حتى يعثر له على أثر ، ثم قال لأولئك الذين عبدوا العجل المغرر بهم المضللين : (إنما الهكم) الحق الذي تجب له العبادة والطاعة (الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) أي وسع علمه فهو عليم بكل شيء وقدير على كل شيء وما عداه فليس له ذلك ولم لم يكن ذا قدرة على شيء وعلم بكل شيء فكيف يُعبد ويُطاع . .

(451/2)

!؟

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مشروعية الاستنطاق للمتهم والاستجواب له .

2- ما سولت النفس لأحد ولا زينت له شيئاً إلا تورط فيه إن هو عمل بما سولته له ،

3- قد يجمع الله تعالى للعبد ذي الذنب العظيم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

4- مشروعية هجران المبتدع ونفيه وطرده فلا يسمح لأحد بالاتصال به والقرب منه .

5- كسر الأصنام والأوثان والصور وآلات اللهو والباطل الصارفة عن عباد الله تعالى .

(452/2)

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104)

شرح الكلمات :

{ كذلك } : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسى وفرعون وموسى وبني إسرائيل نقص عليك من أنباء الرسل .

{ من لدنا ذكراً } : أي قرآناً وهو القرآن الكريم .

{ من أعرض عنه } : أي لم يؤمن به وبم يقرأه ولم يعمل به .

{ وزراً } : أي حملاً ثقيلاً من الآثام .

{ يوم ينفخ في الصور } : أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث ، والصور هو القرن .

{ زرقا } : أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم .

{ يتخافتون بينهم } : أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول .

{ أمثلهم طريقة } : أي أعدلهم رأياً في ذلك ، وهذا كله لعظم الموقف وشدة الهول والفزع .

معنى الآيات :

بعد نهاية الحديث بين موسى وفرعون ، وبين موسى ، وبني اسرائيل قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { كذلك نقص عليك } أي كما قصصنا عليك ما قصصنا من نبأ موسى وفرعون وخبر موسى وبني إسرائيل نقص عليك { من أنباء قد سبق } أي أحداث الأمم السابقة ليكون ذلك آية نبوتك ووحينا إليك ، وعبرة وذكرى للمؤمنين . وقوله تعالى : { وقد آتيناك من لدنا ذكراً } أي وقد أعطيناك تفضلا منا ذكرا وهو القرآن العظيم يذكر به العبد ويهتدي به الى سبيل النجاة والسعادة ، وقوله { من أعرض عنه } أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه { فإنه يحمل يوم القيامة وزراً } أي اثماً عظيماً لأنه لم يعمل صالحاً ولك عمله كان سيئاً لكفره وعدم إيمانه ، { خالدين فيه } أي في ذلك الوزر في النار ، وقوله { وساء لهم يوم القيامة حملاً } أي قبح ذلك الحمل حملاً يوم القيامة إذ صاحبه لا ينجو من العذاب بل بطرح معه في جهنم يخلد فيها وقوله { يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين } أي المكذبين بالدين الحق العاملين بالشرك والمعاصي { يومئذ } أي يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية { زرقا } أي الأعين مع اسوداد الوجوه وقوله : {

يتخافتون بينهم } أي يتهامسون بينهم يسأل بعضهم بعضاً كما لبثتم في الدنيا وفي القبور فيقول البعض : { إن لبثتم الا عشراً } أي ما لبثتم إلا عشر ليال ، وقوله تعالى : { نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة } أي أعدلهم رأياً { إن لبثتم إلا يوماً } ، وهذا التقال للزمن الطويل سببه هول القيامة وعظم ما يشاهدون فيها من ألوان الفزع والعذاب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يقص تعالى انباء ما قد سبق بعد قصه عليه أنباء موسى وفرعون بالحق ، وايتائه القرآن الكريم .

2- كون القرآن للذاكرين لما يحمل من الحجج والدلائل والبراهين .

3- سوء حال المجرمين يوم القيامة ، الذين أعرضوا عن القرآن الكريم .

4- عظم أهوال يوم القيامة حتى يتقال معها المرء مدة الحياة الدنيا التي هي آلاف الأعوام .

(453/2)

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112)

شرح الكلمات :

{ يسألونك عن الجبال } : أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة .

{ فقل ينسفها ربي نسفا } : أي يفتتها ثم تذرها الرياح فتكون هباء منثاً .

{ قاعاً صفصفا } : أي مستوياً .

{ عوجا ولا أمتا } : اي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً .

{ الداعي } : أي إلى المحشر يدعوهم إليه للعرض على الرب تعالى .

{ وخشعت الأصوات } : أي سكنت فلا يسمع الهمس وهو صوت الأقدام الخلفي .

{ ورضى له قولاً } : بأن قال لا إله إلا الله من قلبه صادقاً .

{ ولا يحيطون به علما } : الله تعالى ما بين أيدي الناس وما خلفهم ، وهو لا يحيطون به علما .

{ وعنت الوجوه للحي القيوم } : أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت .

{ من حمل ظلما } : أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك .

{ ظلما ولا هضما } : أي لا يخاف ظلما بأن يزاد في سيئاته ولا هضماً بأن ينقص من حسناته .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله : { ويسألونك } أي المشركين من قومك المكذبين بالبعث الآخر والجزاء { عن الجبال } عن مصيرها يوم القيامة فقل له : { ينسفها ربي نسفا ، فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتا } أي أجبهم بان الله تعالى يفتتها ثم ينسفها فتكون هباء منبثاً ، فيترك أماكنها قاعاً صفصفاً أي أرضاً مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا أي لا انخفاضاً ولا ارتفاعاً . وقوله { يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً } أي يوم تقوم القيامة فينشرون يدعوهم الداعي هلموا الى أرض المحشر فلا يميلون عن صوته يمنة ولا يسرة وهو معنى لا عوج له . وقوله تعالى : { وخشعت الأصوات للرحمن } أي ذلت وسكنت { فلا تسمع إلا همساً } وهو صوت خفي كأصوات خفاف الإبل إذا مشت وقوله تعالى : { يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا } أي يخبر تعالى انهم يوم جمعهم للمحشر لفصل القضاء لا تنفع شفاعة أحدٌ أحداً إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة ، ورضى له قولا أي وكان المشفوع فيه من أهل التوحيد لا إله إلا الله وقوله { يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون به علماً } أي يعلم ما بين أيدي أهل المحشر أي ما يسيحكم به عليهم من جنة او نار ، وما خلفهم مما تركوه من أعمال في الدنيا ، وهم لا يحيطون به عزوجل علماً ، فلذا سيكون الجزاء عادلاً رحيماً ، وقوله : { وعنت الوجوه للحي القيوم } أي ذلت وخضعت كما يعنو بوجهه الأسير ، والحي القيوم هو الله جل جلاله وقوله تعالى : { وقد خاب } أي خسر { من حمل ظلماً } ألا وهو الشرك والعياذ بالله وقوله تعال : { ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن } والحال أنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والبعث الآخر فهذا لا يخاف ظلما بالزيادة في سيآته ، ولا هضما بنقص من حسناته ، وهي عدالة الله تعالى تتجلى في موقف الحساب والجزاء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان جهل المشركين في سؤالهم عن الجبال .

2- تقرير مبدأ البعث الآخر .

3- لا شفاعة لغير أهل التوحيد فلا يَشفع مشرك ، ولا يُشفع لمشرك .

4- بيان خيبة المشركين وفوز الموحدين يوم القيامة .

(454/2)

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)

شرح الكلمات :

{ وكذلك أنزلنا } : أي مثل ذلك الإنزال أنزلنا قرآناً عربياً أي بلغة العرب ليفهموه .

{ وصرفنا فيه من الوعيد } : أي من أنواع الوعيد ، وفنون العذاب الدنيوي والأخروى .

{ أو يحدث لهم ذكرا } : أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون .

{ فتعالى الله الملك الحق } : أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون .

{ ولا تعجل بالقرآن } : أي بقرءاته .

{ من قبل أن يقضى إليك وحيه } : أي من أن يفرغ جبريل من قراءته عليك .

{ عهدنا إلى آدم } : أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة .

{ فنسي } : أي عهدنا وتركه .

{ ولم نجد له عزما } : أي حزما وصبراً عما نهياه عنه .

معنى الآيات :

يقول تعالى { وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً } أي ومثل ما أنزلنا من تلك الآيات المشتملة على الوعد والوعيد أنزلنا القرآن بلغة العرب ليفهموه ويهتدوا به { وصرفنا فيه من الوعيد } أي بينا فيه من أنواع الوعيد وكررنا فنون العذاب الدنيوي والأخروى لعل قومك أيها الرسول يتقون ما كان سببا في اهلاك الأمم السابقة وهو الشرك والتكذيب والمعاصي { أو يحدث لهم ذكرا } أي يوجد لهم ذكرا في أنفسهم فيتعظون فيتوبون من الشرك والتكذيب للرسول ويطيعون ربهم فيكملون ويسعدون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (113) .

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى { فتعالى الله الملك الحق } فإن الله تعالى يخبر عن علوه من سائر خلقه وملكه لهم وتصرفه فيهم وقهره لهم ، ومن ثم فهو منزه عن الشريك والولد وعن كل نقص يصفه به المفترون الكذابون .

وقوله : { ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه } يعلم تعالى رسوله كيفية تلقي القرآن عن جبريل عليه السلام فيرشده إلى أنه لا ينبغي أن يستعجل في قراءة الآيات ولا في إملائها على أصحابها ولا في الحكم بها حتى يفرغ جبريل من قراءتها كاملة عليه وبيان مراد الله تعالى منها في إنزالها عليه . وطلب إليه أن يسأله المزيد من العلم بقوله : { وقل رب زدني علما } ، وفيه إشعار بأنه دائماً في حاجة الى المزيد ، ولذا فلا يستعجل ولكن يتريث ويتمهل ، وهذا علماء أمته أحوج منه صلى الله عليه وسلم فالاستعجال في الفيتا وفي اصدار الحكم كثيراً ما يخطئ صاحبهما .

وقوله تعالى : { ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما } يقول تعالى مخبراً رسوله والمؤمنين ولقد وصينا آدم من قبل هذه الأمم التي أمرناها ونهيناها فلم يطع أكثرها وصيناه بأن لا يطيع عدوه ابليس وأن لا يأكل من الشجرة فترك وصيتنا ناسيا لها غير مبال بها وأطاع عدوه وأكل من الشجرة ، ولم نجد له عزماً بل ضعف أمام الإغراء والتزيين فلم يحفظ العهد ولم يصبر على الطاعة ، فكيف إذاً بغير آدم من سائر ذرياته فلذا ينبغي أن لا تأسى ولا تحزن على عدم ايمان قومك بك واستجابتهم لدعوتك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان الحكمة من إنزال القرآن باللسان العربي وتصريف الوعيد فيه .

2- اثبات علو الله تعالى وقهره لعباده وملكه لهم وتنزهه عن الولد والشريك كل نقص يصفه به المبطلون .

3- استحباب التريث والتأني في قراءة القرآن وتفسيره وإصدار الحكم والفيتا منه .

4- الترغيب في طلب العلم والمزيد من التحصيل العلمي وإشعار النفس بالجهل والحاجة الى العلم .

5- التسلية بنسيان آدم وضعف قلبه أمام الإغراء الشيطاني .

(455/2)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)

شرح الكلمات :

{ وإذ قلنا للملائكة } : أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار .

{ إلا ابليس أبى } : أي امتنع من السجود لكبر في نفسه إذ هو ليس من الملائكة وإنما هو ابن الجان كان مع الملائكة يعبد الله معهم .

{ عدو لك ولزوجك } : أي حواء ومعنى عدو أنه لا يحب لكما الخير بل يريد لكما الشر .

{ فتشقى } : أي بالعمل في الأرض إذ ترزع وتحصد وتطحن وتخبز حتى تتغذى .

{ لا تظمأ فيها ولا تضحى } : أي لا تعطش ولا يصيبك حر شمس الضحى المؤلم في الأرض .

{ شجرة الخلد } : أي التي يخلد من أكل منها .

{ وملك لا يبلى } : أي لا يفنى ولا يبيد ولازم ذلك الخلود .

{ فبدت لهما سواءتهما } : أي ظهر كل منها قُبُلَ صاحبه ودُبَرهُ فاستاءا لذلك .

{ وطفقا يخصفان } : أي أخذا وجعلا يلزقان ورق الشجر عليهما ستراً لسوءاتهما { فغوى } : أي بالأكل من الشجرة المهني عنها .

{ فاجتباه ربه فتاب عليه } : أي اختاره لولايته فهداه فتاب ليكون عبداً صالحاً .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ضعف آدم عليه السلام حيث عهد الله إليه بعدم طاعة إبليس حتى لا يخرجه هو وزوجه من الجنة ، وأن آدم نسي العهد فأكل من الشجرة ناسب ذكر قصة آدم بتمامها ليكون موعظة للمتقين وهدى للمؤمنين فقال تعال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم واذكر { وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم } وسجودهم عبادة الله تعالى وتحية لآدم لشرفه وعلمه . فامتثلت الملائكة أمر الله { فسجدوا } كلهم اجمعون { إلا إبليس أبى } أن يسجد لما داخله من الكبر ولأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن إلا أنه يتعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (116) .

وقوله تعالى { فقلنا يا آدم } أي بعد أن تكبر إبليس عن السجود لآدم نصحنا آدم وقلنا له { إن هذا } أي إبليس {

عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى } أي فلا تطيعانه فأن طاعته تكون سبب أخراجكما من الجنة ومتى خرجتما منها شقيتما ، ووجه الخطاب الى آدم في قوله تعالى : فتشقى لأن المراد من الشقاء هنا العمل كالزرع والحصاد وغيرهما مما هو ضروري للعيش خارج الجنة والزوج هو المسئول عن إعاشة زوجته فهو الذي يشقى دونها ، وقوله تعالى لآدم { إن لك ألا تجوع فيها } أي في الجنة { ولا تعرى } ، { وإنك لا تظمأ فيها } أي لا تعطش { ولا تضحى } أي لا تتعرض لحر الشمس ضحى كما هي في الأرض والخطاب وإن كان لآدم فحواء تابعة له بحكم رئاسة الزوج على زوجته ، ومن الأدب خطاب الرجل دون امرأته إذ هي تابعة له وقوله تعالى : { فوسوس إليه الشيطان } أي ناداه من طريق الوسوسة . { يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى } فقبل منه ذلك آدم واستجاب لوسوسته فأكلت حواء أولاً ثم أكل آدم وهو قوله تعالى { فأكلا منها } فترتب على ذلك انكشاف سوءاتهما لهما بذهاب النور الساتر لهما بمعصية لله تعالى وقوله تعالى { فطفقا يخصفان عليهما } من ورق الشجر أي فأخذا يشدان ورق الشجر على عوراتهما ستراً لهما لأن منظر العورة يسوء الآدمي ولذلك سميت العورة سوءة وهكذا عصى آدم ربه باستجابته لوسواس عدوه وأكله من الشجرة فبذلك غوى ، إلا أن ربه تعالى اجتباه أي نبياً وقربه ولياً { فتاب عليه وهدى } وهداه للعمل بطاعته ليكون من جملة أصفيائه وصالح عباده .

(456/2)

والحمد لله ذي الإنعام والإفضال .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير النبوة المحمدية بذكر مثل هذا القصص الذي لا يعلم إلا بالوحي الإلهي .

2- تقرير عداوة إبليس لبني آدم .

3- بيان أن الجنة لا نصب فيها ولا تعب ، وإنما ذلك في الأرض .

4- التحذير من أخطار الاستجابة لوسوسة إبليس فإنها تُردى صاحبها .

5- ضعف المرأة وقلة عزمها فقد أكلت قبل آدم فسهلت عليه المعصية .

6- كون المرأة تابعة للرجل وليس لها أن تستقل بحال من الأحوال .

7- حرمة كشف العورات ووجوب سترها .

8- إثبات نبوة آدم وتوبة الله عليه وقبولها منه وهدايته إلى العمل بمحابة وترك مكارهه .

(457/2)

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)

شرح الكلمات :

{ قال اهبطا منها جميعا } : أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وهبط .

{ بعضكم لبعض عدو } : أي آدم وحواء وذريتها عدو لإبليس وذريته ، وإبليس وذريته عدو لآدم وحواء وذريتهما .

{ فإما يأتينكم مني هدى } : أي فإن يأتيكم مني هدى وهو كتاب ورسول .

{ فمن اتبع هداي } : أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن .

{ فلا يضل } : أي في الدنيا .

{ ولا يشقى } : في الآخرة .

{ ومن أعرض عن ذكري } : أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه .

{ معيشة ضنكا } : أي ضيقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بهل ولو كانت واسعة .

{ أعمى } : أي أعمى البصر لا يبصر .

{ وقد كنت بصيرا } : أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث .

{ قال كذلك } : أي الأمر كذلك أتتك آياتنا فنسيتها فكما نسيتها تنسى في جهنم .

{ وكذلك نجزي من أسرف } : أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في المعاصي ولم يقف عند حد ، ولم يؤمن بآيات ربه سبحانه وتعالى .

{ أشد وأبقى } : أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي ولا ينتهي .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة آدم إنها لما أكل آدم وحواء من الشجرة وبدت لهما سواءتهما وعاتبهما ربهما بقوله في آية غير هذه { ألم أنهكما عن تلكم الشجرة وأقل إن الشيطان لكما عدو مبين } وأنزل على آدم كلمة التوبة فقالها مع زوجته فتاب الله عليهما لما تم كل ذلك قال { اهبطا منها } أي من الجنة { جميعاً } إذ إبليس العدو قد أُبْلِس من قبل وطُرد من الجنة فهبطوا جميعاً . وقوله { فإما يأتينكم مني هدىً } أي بيان عبادتي تحمله كتبي وتبينه رسلي ، { فمن اتبع هداي } فآمن به وعمل بما فيه { فلا يضل } في حياته { ولا يشقى } في آخرته { ومن أعرض عن ذكري } أي فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه { فإن له } أي جزاءً منا له { معيشة ضنكا } أي ضيقة تضيق بها نفسه فلم يشعر بالغبطة والسعادة وإن اتسع رزقه كما يضيق عليه قبره ويشقى فيه طيلة حياة البرزخ ، ويحشر يوم القيامة أعمى لا حجة له ولا بصر يبصر به . وقد يعجب لحاله ويسأل ربه { لم حشرتني أعمى وقد كنت } في الدنيا وفي البعث { بصيرا } فيجيبه ربه تعالى : { كذلك } أي الأمر كذلك بصيرا وأصبحت أعمى لأنك { أتتك آياتنا } تحملها كتبنا وتبينها رسلنا { فنسيتها } أي تركتها ولم تلتفت إليها معرضا عنها فاليوم تترك في جهنم منسياً كذلك وقوله تعالى في الآية الآخرة (127) { وكذلك نجزي من أسرف } في معاصينا فلم يقف عند حد ولم يؤمن بآيات ربه فنجعل له معيشة ضنكاً في

حياته الدنيا وفي البرزخ { ولعذاب الآخرة أشد } من عذاب الدنيا { وأبقى } أي أدوم حيث لا ينقضي ولا ينتهي .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير عداوة الشيطان للإنسان .

2- عِدَةُ الله تعالى لمن آمن بالقرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في حياته ولا يشقى في آخرته .

3- بيان جزاء من أعرض عن القرآن في الدنيا والآخرة .

4- التنديد بالإسراف في الذنوب والمعاصي مع الكفر بآيات الله ، وبيان جزاء ذلك .

(458/2)

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)

شرح الكلمات :

{ أفلم يهد لهم } : أي أفلم يُبينْ لهم .

{ من القرون } : أي من أهل القرون .

{ لآيات لأولى النهى } : أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهية العقل .

{ ولولا كلمة سبقت } : أي بتأخير العذاب عنهم .

{ لكان لزاما } : أي العذاب لازما لا يتأخر عنهم بحال .

{ ما يقولون } : من كلمات الكفر ، ومن مطالبتهم بالآيات .

{ ومن آناء الليل } : أي ساعات الليل واحدها إني أوإنو .

{ لعلك ترضى } : أي رجاء أن تثاب الثواب الحسن الذي ترضى به .

{ إلى ما متعنا به ازواجاً منهم } : أي رجالاً منهم من الكافرين .

{ زهرة الحياة الدنيا } : أي زينة الحياة الدنيا وقيل فيها زهرة لأنها سرعان ما تذبل وتذوى .

{ لنفتنهم فيه } : أي لنبتليهم في ذلك أيشكرون أم يكفرون .

{ والعاقبة للتقوى } : العاقبة الحميدة في الدنيا والاخرة لأهل التقوى .

معنى الآيات :

بعد ذكر قصة آدم عليه السلام وما تضمنته من هداية الآيات قال تعالى { أفلم يهد } لأهل مكة المكذبين المشركين

أي أغَفَلوا فلم يهد لهم أي يتبين { كم اهلكنا قبلهم من القرون } أي اهلاكنا للعديد من أهل القرون الذين هم يمشون في مساكنهم ذاهبين جائين كثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات أهلكناهم بكفرهم ومعاصيهم فيؤمنوا ويوحدوا ويطيعوا فينجوا ويسعدوا . وقوله تعالى : { إن في ذلك } المذكور من الإهلاك للقرون الأولى { لآيات } أي دلائل واضحة على وجوب الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما ، { لأولى النهى } أي لأصحاب العقول أما الذين لا عقول لهم لأنهم عطلوها فلم يفكروا بها فلا يكون في ذلك آيات لهم . وقوله تعالى { ولولا كلمة سبقت من ربك } بأن لا تموت نفسه حتى تستوفي اجلها ، وأجل مسمى عند الله في كتاب المقادير لا يتبدل ولا يتغير لكان عذابهم لازماً لهم لما هم عليه من الكفر والشرك والعصيان . وعليه { فاصبر } يا رسولنا { على ما يقولون } من أنك ساحر وشاعر وكاذب وكاهن من كلمات الكفر ، واستعن على ذلك بالصلاة ذات الذكر والتسبيح { قبل طلوع الشمس } وهو صلاة الصبح { وقبل غروبها } وهو صلاة العصر { ومن آناء الليل } أي ساعات الليل وهما صلاتا المغرب والعشاء ، { وأطراف النهار } وهو صلاة الظهر لأنها تقع بين طرفي النهار أي نصفه الأول ونصفه الثاني وذلك عند زوال الشمس ، لعلك بذلك ترضى بثواب الله تعالى لك .

وقوله تعالى { ولا تمدن عينيك } أي لا تتطلع ناظراً { إلى ما متعنا به أزواجاً منهم } أشكالاً في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم { زهرة الحياة الدنيا } أي من زينة الحياة الدنيا { لنفتنهم فيه } أي لنختبرهم في ذلك الذي متعناهم به من زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى : { ورزق ربك } أي ما لك عند الله من أجر ومثوبة { خير وأبقى } خيراً في نوعه وأبقى في مدته ، واختيار الباقي على الفاني مطلب العقلاء .

وقوله تعالى : { وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها } أي من أزواجك وبناتك وأتباعك المؤمنين بالصلاة ففيها الملاذ وفيها الشفاء من آلام الحاجة والخصاصية واصطبر عليها واحمل نفسك على الصبر على إقامتها .

(459/2)

وقوله { لا نسألك رزقاً } أي لا نكلفك ما لا تَعْطِيناه ولكن تكلف صلاة فأدها على أكمل وجوهها . { نحن نرزقك } أي رزقك علينا ، { والعاقبة للتقوى } أي العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى من عبادنا وهم الذين يخشوننا فيؤدون ما أوجبنا عليهم ويجتنبون ما حرمنا عليهم رهبة منا ورغبة فينا . هؤلاء لهم أحسن العواقب ينتهون إليها نصر في الدنيا وسعادة في الآخرة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير مبدأ العاقل من اعتبر بغيره .

2- بيان فضيلة العقل وشرف صاحبه وانتفاعه به .

3- وجوب الصبر على دعوة الله والاستعانة على ذلك بالصلاة .

4- بيان أوقات الصلوات الخمس والحصول على رضى النفس بثوابها .

5- وجوب عدم تعلق النفس بما عند أهل الكفر من مال ومتاع لأنهم ممحنون به .

6- وجوب الرضا بما قسم الله للعبد من رزق إنتظاراً لرزق الآخرة الخالد الباقي .

7- وجوب الأمر بالصلاة بين الأهل والأولاد والمسلمين والصبر على ذلك .

8- فضل التقوى وكرامة أصحابها وفوزهم بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة .

9- إقام الصلاة بين أفراد الأسرة المسلمة ييسر الله تعالى به أسباب الرزق وتوسعته عليهم .

(460/2)

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)

شرح الكلمات :

{ لولا } : أي هَلا فهي أداة تخيض وحث على وقوع ما يذكر بعدها .

{ بآية من ربه } : أي معجزة تدل على صدقه في نبوته ورسالته .

{ بينة ما في الصحف الأولى } : أي المشتمل عليها القرآن العظيم من أنباء الأمم الماضية وهلاكهم بتكذيبهم لرسلهم .

{ من قبله } : من قبل ارسالنا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وانزالنا القرآن .

{ من قبل أن ندل ونخزى } : أي من قبل أن يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم .

{ متربص } : أي منتظر ما يؤول إليه الأمر .

{ فستعلمون } : أي يوم القيامة .

{ الصراط السوي } : أي الدين الصحيح وهو الإسلام .

{ ومن اهتدي } : أي ممن ضل نحن أم أنتم .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع المشركين طلباً لهدايتهم فقال تعالى مخبراً عن أولئك المشركين الذين متع الله رجالاً منهم بزهرة الحياة الدنيا أنهم أصروا على الشرك والتكذيب { وقالوا لولا يأتينا بآية } أي هلا يأتينا محمد بمعجزة كالتي أتى بها صالح وموسى وعيسى بن مريم تدل على صدقه في نبوته ورسالته إلينا . فقال تعالى راداً عليهم قولتهم الباطلة : { أو لم تأتهم بَيّنة ما في الصحف الأولى؟ } أيطالبون بالآيات وقد جاءتهم بينة ما في الصحف الأولى بواسطة القرأن الكريم فعرفوا ما حل بالأمم التي طالبت بالآيات ولما جاءتهم الآيات كذبوا بها فأهلكهم الله بتكذيبهم فما يؤمن هؤلاء المشركين المطالبين بالآيات أنها لو جاءتهم ما آمنوا بها فأهلكوا كما أهلك المكذبين من قبلهم .

وقوله تعالى في الآية الثانية (134) { ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله } أي من قبل ارسالنا محمد وانزالنا الكتاب عليه لقالوا للرب تعالى إذا وقفوا بين يديه : { ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك } فيما تدعونا إليه من التوحيد

والإيمان والعمل الصالح وذلك من قبل أن نذل هذا الذل ونخزى هذا الخزي في نار جهنم . فإن كان هذا قولهم لا محالة فلم لا يؤمنون ويتبعون آيات الله فيعلمون بما جاء فيها من الهدى قبل حلول العذاب بهم ؟ وفي الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله بعد هذا الإرشاد الذي أرشدهم إليه { قل كل متربص } أي كل منا متربص أي منتظر ما يؤول إليه الأمر { فتربصوا } . فستعلمون في نهاية الأمر وعندنا توقفون في عرصات القيامة { من } هم { أصحاب الصراط السوي } الي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام الدين الحق ، { ومن اهتدى } إلى سبيل النجاة والسعادة ممن ضل ذلك فخسر وهلك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- المطالبة بالآيات سنة متبعة للأمم والشعوب عندما تعرض عن الحق للعقل وهدايته .

2- الذلة والخزي تصيب أهل النار يوم القيامة لما فرطوا فيه من الإيمان والعمل الصالح . 3- في الآية إشادة الى حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : « يحتج به على الله يوم القيامة ثلاثة : الهالك في الفترة ، والمغلوب على عقله ، والصبي الصغير ، فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلاً انتفع به ، ويقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك إليك ، وقرأ صلى الله عليه وسلم { لولا أرسلت إلينا رسولاً } ويقول الصبي الصغير كنت صغيراً لا أعقل . قال فترفع لهم نار ويقال لهم : رِدُوها قال فَيرِدُها من كان في علم الله أنه سعيد ، ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي فيقول إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم » . رواه ابن جرير عند تفسير هذه الآية { ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا } .

(461/2)

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (3) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (5) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6)

شرح الكلمات :

{ اقترب للناس حسابهم } : أي قرب زمن حسابهم وهو يوم القيامة .

{ وهم في غفلة } : أي عماهم صائرون إليه .

{ معرضون } : أي عن التأهب ليوم الحساب بصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي .

{ من ذكر من ربهم محدث } : أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول .

{ وهم يلعبون } : أي ساخرين مستهزئين .

{ لأهية قلوبهم } : مشغولة عند بما لا يغني من الباطل والشر والفساد .

{ واسروا النجوى } : أي أخفوا مناجاتهم بينهم .

{ أضغاث أحلام } : أي أخلاط رآها في المنام .

{ بل لفتراه } : أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه .

{ أفهم يؤمنون } : أي لا يؤمنون فالاستفهام للنفي .

معنى الآيات :

يخبر تعالى فيقول وقوله الحق : { اقترب للناس حسابهم } أي دنا وقرب وقت حسابهم على أعمالهم خيرها وشرها { وهم في غفلة } عما ينتظرهم من حساب وجزاء { معرضون } عما يدعون إليه من التأهب ليوم الحساب بترك الشرك والمعاصي والتزود بالإيمان وصالح الأعمال . وقوله تعالى : { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث } أي ما ينزل الله من قرآن يعظهم به ، ويذكرهم بما فيه { إلا استمعوه وهو يلعبون } أي استمعوه وهم هازئون ساخرون لاعبون غير متدبرين له ولا متفكرين فيه . وقوله تعالى : { لاهية قلوبهم } أي مشغولة عنه منصرفة عما تحمل الآيات المحدثة النزول من هدى ونور ، { وأسروا النجوى الذين ظلموا } وهو المشركون قالوا في تناجيهم بينهم : { هل هذا إلا بشر مثلكم } أي ما محمد إلا انسان مثلكم فكيف تؤمنون به وتتابعونه على ما جاء به ، إنه ما هو إلا ساحر { أفتأتون السحر وأنتم تبصرون } ما لكم أين ذهبت عقولكم ؟ قال تعالى لرسوله : { قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع . . . } لأقول عباده { العليم } بأعمالهم فهو تعالى سميع لما تقولون من الكذب عليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه . وقوله تعالى : { بل قالوا } أي أولئك المتناجون الظالمون { أضغاث أحلام } أي قالوا في القرآن يأتيهم من ربهم محدث لهم؛ ليهتدوا به قالوا فيه أضغاث أي أخلاط رؤيا منامية وليس بكلام الله ووحيه ، { بل افتراه } انتقلوا من قول إلى آخر لحيرتهم { بل هو شاعر } أي صلى الله عليه وسلم وما يقوله ليس من جنس الشعر الذي ذكر أشياء لا واقع لها ولا حقيقة . وقوله تعالى عنه : { فليأتنا بآية كما أرسل الأولون } أي إن كان رسولاً كما يدعي وليس بشاعر ولا ساحر فليأتنا بآية أي معجزة كآية صالح أو موسى أو عيسى كما أرسل بها الأنبياء الأولون . قال تعالى : { ما آمنت

قبلهم من قرية } أي أهل قرية { أهلكناها } بالعذاب لما جاءتها الأية فكذبت أفهم يؤمنون أي لا يؤمنون إذ شأنهم شأن غيرهم ، فلذا لا معنى لإعطائهم الآية من أجل الإيمان ونحن نعلم أنهم لا يؤمنون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- قرب الساعة .

2- بيان ما كان عليه المشركون من غفلة ولهو وإعراض ، والناس اليوم أكثر منهم في ذلك .

3- بيان حيرة المشركين إزاء الوحي الإلهي والنبي صلى الله عليه وسلم .

4- المعجزات لم تكن يوماً سبباً في هداية الناس بل كانت سبب اهلاكهم إذ هذا طبع الإنسان إذا لم يرد الإيمان والهداية فإنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية .

(462/2)

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)

شرح الكلمات :

{ قبلك } : يا محمد .

{ أهل الذكر } : أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب .

{ جسداً } : أي أجساداً آدمية .

{ الوعد } : أي الذي واعدناهم .

{ المسرفين } : أي في الظلم والشرك والمعاصي .

{ كتاباً } : هو القرآن العظيم .

{ فيه ذكركم } : أي ما تذكرون به ربكم وما تذكرون به من الشرف بين الناس . معنى الآيات : كانت مطالب قريش من اعتراضاتهم تدور حَوْلَ لِمَ يكون الرسول بشراً ، ولِمَ يكون رسولاً ويأكل الطعام لم لا يكون له كنز أو جنة يأكل منها ، لم لا يأتينا بآية كما أرسل بها الأولون ، وهكذا . قال قتادة قال أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم « وإذا كان ما تقوله حقاً يسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ينظروا » أي ينزل بهم العذاب فوراً « وإن شئت استأنيت بقومك ، قال بل استأني بقومي فأنزل الله { ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون } وقوله تعالى : { وما أرسلنا قبلك } يا رسولنا { إلا رجالاً نوحي إليهم } ما نريد إبلاغه عبادنا من أمرنا ونهينا . { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } أي فليسأل قومك أهل الكتاب من قبلهم وهم أحبار اليهود ورهبان النصارى إن كانوا لا يعلمون فإنهم يعلمون أن الرسل من قبلهم لم يكونوا إلا بشراً . وقوله تعالى : { وما جعلناهم } أي الرسل { جسداً } أي أجساداً ملائكية أو بشرية لا يأكل أصحابها

الطعام بل جعلناهم اجساداُ آدمية تفتقر في بقاء حياتها الى الطعام والشراب فلم يعترض هؤلاء المشركون على كون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ؟ وقوله تعالى : { ثم صدقناهم } أي أولئك الرسل { الوعد } الذي وعدناهم وهو أنا إذا آتينا أقوامهم ما طالبوا به من المعجزات ثم كذبوا ولم يؤمنوا أهلكناهم { فأنجيناهم ومن نشاء } أي أنجينا رسلنا ومن آمن بهم واتبعهم ، وأهلكنا المكذبين المسرفين في الكفر والعناد والشرك والشر والباطل .

وقوله تعالى : { لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون ؟ } يقول تعالى لأولئك المشركين المطالبين بالآيات التي قد تكون سبب هلاكهم ودمارهم { لقد أنزلنا إليكم } لهدايتكم وإصلاحكم ثم إسعادكم { كتاباً } عظيم الشأن { فيه ذكركم } أي ما تذكرون به وتتعظون فتهتدون إلى سبيل سلامتكم وسعادتكم ، فيه ذكركم بين الأمم والشعوب لأنه نزل بلغتكم الناس لكم فيه تبع وهو شرف أي شرف لكم . أتشتطون في المكايدة والعناد فلا تعقلون ، ما خير لكم مما هو شر لكم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير مبدأ أن الرسل لا يكونون إلا بشراً ذكوراً لا إناثاً .

2- تعين سؤال أهل العلم في كل ما لا يعلم إلا من طريقهم ، من أمور الدين والآخرة .

3- ذم الإسراف في كل شيء وهو كالغلو في الشرك والظلم .

4- القرآن ذكر يذكر به الله تعالى لما فيه من دلائل التوحيد وموعظة لما فيه من قصص الأولين وشرف أي شرف لمن آمن به وعمل بما فيه من شرائع وآداب وأخلاق .

(463/2)

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15)

شرح الكلمات :

{ وكم قصمنا } : أي وكثيراً من أهل القرى قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم .

{ كانت ظالمة } : أي كان أهلها ظالمين .

{ يركضون } : أي فارين هاربين .

{ إلى ما أترفتم فيه } : أي من وافر الطعام والشراب والمسكين والمركب .

{ تسألون } : أي عن شيء من دنياكم على عادتكم .

{ تلك دعواهم } : أي دعوتهم التي يرددونها وهي : { يا ويلنا إنا كنا ظالمين } .

{ حصيداً خامدين } : أي لم يبق منهم قائدهم فهم كالزرع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أخمدت .

معنى الآيات :

يقول تعالى منذراً قريشاً أن يحل بها ما حل بغيرها ممن أصروا على التكذيب والعناد { وكم قصمنا } أي أهلكنا وأبدنا إبادة كاملة { من قرية } أي أهل قرية { كانت ظالمة } أي كان أهلها ظالمين بالشرك والمعاصي والمكابرة والعناد ، { وأنشأنا بعدها قوماً آخرين } هم خير من أولئك الهالكين . وقوله تعالى : { فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون } أي فلما أحسَّ أولئك الظالمون { بأسنا } أي شعروا به وادركوه بحواسهم بأسماعهم وأبصارهم (إذ هم منها) من تلك القرية يركضون هاربين فراراً من الموت . والملائكة تقول لهم توبيخاً لهم وتقريعاً : لا تركضوا هاربين { وارجعوا إلى ما أترفتم فيه } نُعِمْتُم فيه من وافِرِ الطعام والشراب والكساء والمسكن والمركب { لعلكم تسألون } على العادة عن شيء من أموركم وأمور دنياكم ، فكان جوابهم ما أخبر تعالى به عنهم : { قالوا يا ويلنا } أي يا هلاكنا أحضر هذا أو آن حضورك إنا كنا ظالمين أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد . قال تعالى : { فما زالت تلك دعواهم } أي ما زال قولهم { يا ويلنا إنا كنا ظالمين } تلك دعوتهم التي يرددونها { حتى جعلناهم حصيداً خامدين } أي مُجتثين من أصولهم ساقطين في الأرض خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت فلم يبق لها لهيب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- التنديد بالظلم وأعلى درجاته الشرك بالله .

2- جواز الاستهزاء بالمشرك الظالم إذا حل به العذاب تقريعاً له وتوبيخاً .

3- لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب لو طلبها الهالكون .

4- شدة الهول ورؤية العذاب قد تفقد صاحبها رشده وصوابه فيهْذِرُ ولاى يدري ما يقول .

(464/2)

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20)

شرح الكلمات :

{ لاعبين } : أي عابثين لا مقصد حَسَن لنا في ذلك .

{ لهوا } : أي زوجة وولداً .

{ من لدنا } : أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة .

{ بل نقذف بالحق } : أي نرمي بالحق على الباطل .

{ فيدمغه } : أي يشج رأسه حتى تبلغ الشجة دماغه فيهلك .

{ فإذا هو زاهق } : أي ذاهب مُضْمحِل .

{ ولكم الويل مما تصفون } : أي ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للديان بأن له زوجة وولداً وللرسول بأنه ساحر ومفتر .

{ ولا يستحسرون } : أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركون التسبيح .

{ لا يفترون } : عن التسبيح لأنه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من التنفس ولا يشغله عنه شيء .

معنى الآيات :

كونه تعالى يهلك الأمم الظالمة بالشرك والمعاصي دليل أنه لم يخلق الإنسان والحياة لعباً وعبثاً بل خلق الإنسان وخلق الحياة ليذكر ويشكر فمن أعرض عن ذكره وترك شكره أذاقه بأساءه في الدنيا والاخرة وهذا ما دلت عليه الآية السابقة وقررته الآية وهي قوله تعالى : { وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين } أي عابثين لا قصد حسن لنا بل خلقناهما بالحق وهو وجوب عبادتنا بالذكر والشكر لنا وقوله تعالى : { لو أردنا أن نتخذ لهواً } أي صاحبة أو ولدا كما يقول المبطلون من العرب القائلون بأن الله أصهر الى الجن فأنجب الملائكة وكما يقول ضُلاّل النصارى أن الله اتخذ مريم زوجته فولدت له عيسى الأبن ، تعالى الله عما يأفكون فرد تعالى هذا الباطل بالمعقول من القول فقال لو أردنا أن نتخذ لهواً نتلهى به من صاحبة وولداً لاتخذنا من لدنا من الحور العين والملائكة ولكنا لم نرد ذلك ولا ينبغي لنا أن إنا نملك كل من السموات ومن في الأرض عبيداً لنا فكيف يعقل اتخاذ مملوك لنا ولداً ومملوكة زوجة والناس العجزة الفقراء لا يجيزون ذلك فالرجل لا يعجل مملوكته زوجة له ولا عبده ولداً بحال من الأحوال وقوله تعالى : { بل نقذف بالحق على الباطل فيذمغه فاذا هو زاهق } فتلك الأباطيل والترهات تنزل حجج القرآن عليها فتدمغها فإذا هي ذاهبة مضمحلة لا يبقى منها شيء { ولكم الويل } أيها الكاذبون مما تصفون الله بالزوجة والولد والشريك والرسول بالسحر والشعر الكهانة والكذب العذاب لازم لكم من أجل كذبكم وافترائكم على ربكم ورسوله . وقوله تعالى : { وله من في السموات والأرض } برهان آخر على بطلان دعوى أن له تعالى زوجة وولداً فالذي يملك من في السموات ومن في الأرض غني عن الصاحبة والولد إذا الكل له ملكاً وتصرفاً . وقوله : { ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون } برهان آخر { يسبحون الليل والنهار ولا يفترون } أي فكيف يفتقر الى الزوجة والولد ، ومن عنده من الملائكة وهم لا يحصون عداً يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته ولا يملون منها ولا يتعبون من القيام بها ، يسبحونه الليل والنهار ، والدهر كله { لا يفترون } أي لا يسأمون فيتركون التسبيح فترة بعد فترة للاستراحة ، إنهم في تسبيحهم وعدم سآمتهم منه وعدم انشغالهم عند كالآميين في تنفسهم وطرف أعينهم هل يشغل عن التنفس شاغل أو طرف العين آخر وهل يسأم الإنسان من ذلك والجواب لا ، فكذلك الملائكة يسبحون الليل والنهار ولا يفترون .

(465/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تنزه الرب تعالى عن اللهو واللعب والصاحبة والولد .

2- حجج القرآن هي الحق متى رمى بها الباطل دمغته فذهب واضمحل .

3- إقامة البراهين العقلية على إبطال أمر محمود ، وقد يكون لا بد منه .

4- بيان غنى الله المطلق عن كل مخلوقاته .

5- بيان حال الملائكة في عبادتهم وتسبيحهم لله تعالى .

(466/2)

أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

شرح الكلمات :

{ أم اتخذوا آلهة من الأرض } : أي من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر .

{ هم ينشرون } : أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهاً حقاً إلا من يحيي الموتى .

{ لو كان فيهما } : أي في السموات والأرض .

{ لفسدتا } : أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضى التنازع عادة وهو يقضي بفساد النظام .

{ فسبحان الله } : أي تنزيه لله عما لا يليق بحلاله وكماله .

{ رب العرش } : أي خالقه ومالكه والمختص به .

{ عما يصفون } : أي الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك .

{ لا يسأل عما يفعل } : إذ هو الملك المتصرف ، وغيره يسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوباً .

{ قل هاتوا برهانكم } : أي على ما اتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون .

{ هذا ذكر من معي } : أي القرآن ذكر أمتي .

{ وذكر من قبلي } : أي التوارة والانجيل وغيرهما من كتب الله الكل يشهد أنه لا إله إلا الله .

{ لا يعلمون الحق } : أي توحيد الله ووجوبه على العباد فلذا هم معرضون .

{ فاعبدون } : أي وحدوني في العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي .

معنى الآيات :

يوبخ تعالى المشركين على شركهم فيقول : { أم اتخذوا آلهة من الأرض } أي من أحجارها ومعادنها آلهة { هم ينشرون } أي يحيون الموتى ، والجواب كلا إنهم لا يحيون والذي لا يحيي الموتى لا يستحق الألوهية بحال من الأحوال . هذا ما دل عليه قوله تعالى : { أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينتشرون } وفي الآية الثانية (21) يبطل تعالى دعواهم في اتخاذ آلهة مع الله فيقول : { لو كان فيهما } أي في السموات والأرض آلهة غير الله تعالى لفسدتا لأنه تعدد الآلهة يقتضى التنازع والتمانع هذا يريد أن يخلق كذا وهذا لا يريده هذا يريد أن يعطى كذا وذاك لا يريده فيختل نظام الحياة

وتفسد ، ومن هنا كان انتظام الحياة هذه القرون العديدة دالا على وحدة الخالق الواجب الوجود الذي يجب له العبادة وحده والولد فقال : { فسبحان الله رب العرش عما يصفون } وقرر ألوهيته وربوبيته المطلقة بقوله : { لا يسأل عما يفعل وهم يُسئلون } فالذي يفعل ولا يُسأل لعلمه وقدرته وملكه هو الإله الحق والذي يسأل عن عمله لم فعلت ولم تركت ويحاسب عليه ويجزئ به لن يكون إلا عبداً مربوياً ، وقوله في توبيخ آخر للمشركين : أم اتخذوا من دونه عزوجل آلهة يعبدونها؟ قل لهم يا رسولنا هاتوا برهانكم على صدق دعواكم في أنها آلهة ، ومن أين لهم البرهان على احقاق الباطل ؟ وقوله تعالى : { هذا ذكر من معي } أي من المؤمنين وهو القرآن الكريم به يذكرون الله ويعبدونه وبه يتعظون { وذكر من قبلي } أي التوارة والانجيل هل في واحد منها ما يثبت وجود آلهة مع الله تعالى .

(467/2)

والجواب لا . إذا فما هي حجة هؤلاء المشركين على صحة دعواهم ، والحقيقة أن المشركين جهلة لا يعرفون منطقاً ولا برهاناً فلذا هم مُعْرِضُون وهذا الأدلة والبراهين لجهلهم فلذا هم معرضون عن قبول التوحيد وتقرير أدلته وحججه وبراهينه .

وقوله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } فلو كان المشركون يعملون هذا لما أشركوا وجادلوا عن الشرك ، ولكنهم جهلة مغررون .

هداية الآيات :

{ من هداية الآيات } :

1- من أخص صفات الإله أن يخلق ويرزق ويحيي ويميت فإن لم يكن كذلك فليس بإله .

2- وحدة النظام دالة على وحدة المنظم ، ووحدة الوجود دالة على وحدة الموجد وهذا برهان التمانع الذي يقرر منطقياً وجود الله ووجوب عبادته وحده .

3- لا برهان على الشرك أبداً ، ولا يصح في الذهن وجود دليل على صحة عبادة غير الله تعالى .

4- تقرير توحيد الله تعالى وإبطال الشرك والتنديد بالمشركين .

(468/2)

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (29)

شرح الكلمات :

{ ولداً } : أي من الملائكة حيث قالوا الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

{ سبحانه } : تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد .

{ بل عباد مكرمون } : هم الملائكة ، ومن كان عبداً لا يكون ابناً ولا بنتاً .

{ لا يسبقونه بالقول } : أي لا يقولون حتى يقول هو وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده بشيء .

{ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } : أي إلا لمن رضي تعالى أن يشفع له .

{ مشفقون } : أي خائفون .

{ من دونه } : أي من دون الله كإبليس عليه لعائن الله .

{ كذلك نجزي الظالمين } : أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

بعد أن أبطلت الآيات السابقة الشرك ونددت بالمشركين جاءت هذه الآيات في إبطال باطل آخر للمشركين وهو نسبتهم الولد لله تعالى فقال تعالى عنهم و { قالوا اتخذ الرحمن ولداً } وهو زعمهم أن الملائكة بنات الله فنزه تعالى نفسه عن هذا النقص فقال { سبحانه } وأبطل دعواهم وأضرب عنها فقال { بل عباد مكرمون } أي فمن نسبوهم لله بناته هم عباد له مكرمون عنده ووصفهم تعالى بقوله : { لا يسبقونه بالقول } فهم لكمال عبوديتهم لا يقولون حتى يقول هو سبحانه وتعالى ، وهم يعلمون بأمره فلا يقولون ولا يعلمون إلا بعد إذنه ، وأخبر تعالى أنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم فعلمه عز وجل محيط بهم ولا يشفعون لأحد من خلقه إلا لمن ارتضى أن يشفع له فقال تعالى : { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } وزيادة على ذلك أنهم { من خشيته مشفقون } خائفون ، وعلى فرض أن أحداً منه قال إني إله من دون الله فإن الله تعالى يجزيه بذلك القول جهنم وكذلك الجزاء نجزي الظالمين أي أنفسهم بالشرك والمعاصي ، وبهذا بطلت فرية المشركين في جعلهم الملائكة بنات لله وفي عبادتهم ليشفعوا عنده تعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إبطال نسبة الولد إلى الله تعالى من قبل المشركين وكذا اليهود والنصارى .

2- بيان كمال عبودية الملائكة لله تعالى وكمال أدبهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى .

3- بطلان دعوى المشركين في شفاعة الملائكة لهم ، إذ الملائكة لا يشفعون إلا لمن رضى الله تعالى أن يشفعوا له .

4- تقرير وجود شفاعة يوم القيامة ولكن بشرطها وهي أن يكون الشافع قد أذن له بالشفاعة ، وأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد فأهل الشرك لا تنفعهم شفاعة الشافعين .

(469/2)

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33)

شرح الكلمات :

{ كانتا رتقا } : أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها .

{ ففتقناهما } : أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين .

{ رواسي } : أي جبالاً ثابتة .

{ أي تميد بهم } : أي تتحرك فتميل بهم .

{ فجاجا سبلا } : أي طرقاً واسعة يسلكونها تصل بهم الى حيث يريدون .

{ وهم عن آياتها } : من الشمس والقمر والليل والنهار معرضون .

{ كل في فلك يسبحون } : الفلك كل شيء دائر .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد ووجوب تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والعجز فقال تعالى : { أو لم ير الذين كفروا } أي الكافرون بتوحيد الله وقدرته وعلمه ووجوب عبادته إلى مظاهر قدرته وعامه وحكمته في هذه المخلوقات العلوية والسفلية فالسموات والأرض كانتا واحدة من سديم فخلق الله تعالى منها السموات والأرضين كما أن السماء تتفتق بإذنه تعالى عن الأمطار ، والأرض تتفتق عن النباتات المختلفة الألوان والروائح والطعوم والمنافع ، وأن كل شيء حي في هذه الأرض من إنسان وحيوان ونبات هو من الماء أليست هذه كلها دالة على وجود الله ووجوب عبادته وتوحيده فيها ؟

فماللناس لا يؤمنون ؟ هذا ما دل عليه قوله تعالى في الآية الأولى (30) { أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون؟ } وقوله تعالى : { وجعلنا في الأرض رواسي } أي جبالاً ثوابت كيلا تميد أي تتحرك وتضطرب بسكانها ، { وجعلنا فيها } أي في الأرض { فجاجاً سبلاً } أي طرقاً سابلة للسير فيها { لعلهم يهتدون } أي كي يهتدوا إلى مقاصدهم في أسفارهم ، وقوله { وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً } من السقوط ومن الشياطين . وقوله : { وهم عن آياتها } من الشمس والقمر والليل والنهار إذ هذه آيات قائمة بها { معرضون } أي لا يفكرون فيها فيهتدوا إلى معرفة الحق عز وجل ومعرفة ما يجب له من العبادة والتوحيد فيها ، وقوله : { وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون } أي كل من الشمس والقمر في فلك خاص به يسبح الدهر كله ، والفلك عبارة عن دائرة كفلكة المغزل يدور فيها الكوكب من شمس وقمر ونجم يسبح فيها لا يخرج عنها إذ لو خرج يحصل الدمار الشامل للعوالم كلها ، فسبحان العليم الحكيم ، هذه كلها مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي موجبة للتوحيد مقررة له ، ولكن المشركين عنها معرضون لا يفكرون ولا يهتدون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده والإيمان به وطاعته .

2- بيان الحكمة من خلق الجبال الرواسي .

3- بيان دقة النظام الإلهي ، وعظيم العلم والحكمة له سبحانه وتعالى .

4- إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الآفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية هو سبب جهلهم وشركهم وشردهم وفسادهم .

(470/2)

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35) وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (36) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38)

شرح الكلمات :

{ الخلد } : أي البقاء في الدنيا .

{ ذائقة الموت } : أي مرارة مفارقة الجسد .

{ ونبلوكم } : أي نختبركم .

{ بالشر والخير } : فالشر كالفقر والمرض ، والخير كالغنى والصحة .

{ فتنة } : أي لأجل الفتنة لننظر أتصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون .

{ إن يتخذونك إلا هزواً } : أي ما يتخذونك إلا هزواً أي مهزوءاً بك .

{ يذكر آلهتكم } : أي يعيبها .

{ بذكر الرحمن هم كافرون } : حيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالى وقالوا : ما الرحمن ؟

{ خلق الإنسان من عجل } : حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل ، فروث بنوه طبع العلجة عنه .

{ سأوريكم آياتي } : أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة .

معنى الآيات :

كأن المشركين قالوا شامتين إن محمداً سيموت ، وقالوا نتربص به ريب المنون فأخبر تعالى أنه لم يجعل لبشر من قبل نبيه ولا من بعده الخلد حتى يخلد هو صلى الله عليه وسلم فكل نفس زائقة الموت ، ولكن إن مات رسوله فهل المشركون يخلدون والجواب لا ، إذا فلا وجه للشماتة بالموت لو كانوا يعقلون . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (34) { وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون } وقوله تعالى : { كل نفس ذائقة الموت } أي كل نفس منفوسة ذائقة مرارة الموت بمفارقة الروح للبدن ، والحكمة في ذلك أن يتلقى العبد بعد الموت جزاء عمله خيراً كان أو شراً ، دل عليه قوله بعد : { ونبلوكم بالشر والخير } من غِنى وفقر ومرض وصحة وشدة ورخاء { فتنة } أي لأجل فتنتكم أي أختباركم ليرى الصابر الشاكر والجزع الكافر . وقوله تعالى : { وإلينا ترجعون } أي بعد الموت للحساب والجزاء على كسبكم خيره وشره .

وقوله تعالى : { وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذوك إلا هزواً } يخبر تعالى رسوله بأن المشركين إذا رأوه ما يتخذونه إلا

هزواً وذلك لجهلهم بمقامه وعدم معرفتهم فضله عليهم وهو حامل الهدى لهم ، وبين وجه استهزائهم به صلى الله عليه وسلم بقوله : { أهذا الذي يذكر آلهتكم } أي بعيبها وانتقاصها ، قال تعالى : { وهم بذكر الرحمن هم كافرون } أي عجباً لهم يتألمون لذكر ألهتم بسوء وهي محط السوء فعلاً ، ولا يتألمون لكفرهم بالرحمن ربهم الا رحمن اليمامة .
وقوله تعالى : { خلق الإنسان من عجل } قال تعالى هذا لما استعجل المشركون العذاب وقالوا للرسول والمؤمنين : { متى هذا الوعد إن كنتم صادقين } فأخبر تعالى أن الاستعجال من طبع الإنسان الذي خلق عليه ، وأخبرهم أنه سيريهم آياته فيهم بإنزال العذاب بهم وأراهم ذلك في بدر الكبرى وذلك في قوله { سأريكم آياتي فلا تستعجلون } أي فلا داعي إلى الاستعجال وقوله تعالى { ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين } أخبر تعالى عن قيلهم للرسول والمؤمنين وهم يستعجلون العذاب : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ وهذا عائد الى ما فطر عليه الإنسان من العجلة من جهة ، والى جهلهم وكفرهم من جهة اخرى وإلا فالعاقل لا يطالب بالعذاب بل يطالب بالرحمة والخير ، لا بالعذاب والشر .

(471/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إبطال ما شاع من أن الخضر حيَّ مخلد لا يموت لنفيه تعالى ذلك عن كل البشر .

2- بيان العلة من وجود خير وشر في هذه الدنيا وهي الاختبار .

3- بيان ما كان عليه المشركون من الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم .

4- تقرير حقيقة أن الإنسان مطبوع على العجلة فلذا من غير طبعه بالتربية فأصبح ذا أناة وتؤدة كان من أكمل الناس وأشرافهم .

(472/2)

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (39) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (40) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (41) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (42) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43)

شرح الكلمات :

{ لا يكفون } : أي لا يمنعون ولا يدفعون النار عن وجوههم .

{ بل تأتيهم بغتة } : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة .

{ فتبهتهم } : أي تُحيرهم .

{ ولا هم ينظرون } : أي يمهلون ليتوبوا .
{ وحاق بهم } : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزءون .
{ من يكلؤكم } : أي من يحفظكم ويحرسكم .
{ من الرحمن } : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم .
{ بل هم عن ذكر ربهم معرضون } : أي هم عن القرآن معرضون فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه .
{ ولا هم منا يصبحون } : أي لا يجدون من يجيرهم من عذابنا .

معنى الآيات :

يقول تعالى { لو يعلم الذي كفروا } المستعجلون بالعذاب المطالبون به حين أي الوقت الذي يُلقون فيه في جهنم والنار تأكل وجوهم وظهروهم ، ولا يستطيعون أن يمنعوا أنفسهم منها ولا هم ينصرون بمن يدفع العذاب عنهم لو عملوا هذا وأيقنوا به لما طالبوا بالعذاب ولا استعجلوا يومه وهو يوم القيامة ، هذا ما دل عليه قوله تعالى : { لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوهم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون } وقوله تعالى : { بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون } أي أن القيامة لا تأتيهم على علم منهم بوقتها وساعتها فيمكنهم بذلك التوبة ، وإنما تأتيهم { بغتة } أي فجاة { فتبهتهم } أي فتحيرهم { فلا يستطيعون ردها ، ولا هم ينظرون } أي يمهلون ليتوبوا من الشرك والمعاصي فينجوا من عذاب النار ، وقوله تعالى : { ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق الذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون } وهو العذاب هذا القول للرسول صلى الله عليه وسلم تعزية له وتسلية ليبصر على ما يلاقيه من استهزاء قريش به واستعجالهم العذاب ، إذ حصل مثله للرسل قبله فصبروا حتى نزل العذاب بالمستهزئين بالرسل عليهم السلام .

وقوله تعالى : { قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن } يأمر تعالى رسوله أن يقول للمطالبين بالعذاب المستعجلين له : { من يكلؤكم بالليل والنهار } أي من يجيركم من الرحمن أن أراد أن يعذبكم ، إن أراد أن يعذبكم ، أنه لا أحد يقدر على ذلك إذاً فلم لا تتوبون إليه بالإيمان والتوحيد والطاعة له ولرسوله ، وقوله : { بل هم عن ذكر ربهم معرضون } إن علة عدم استجابتهم للحق هي إعراضهم عن القرآن الكريم وتدبر آياته وتفهم معانيه وقوله : { أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا } ينكر تعالى أن يكون للمشركين آلهة تمنعهم من عذاب الله متى نزل بهم ويقرر ان آلهتهم لا تستطيع نصرهم { ولا هم منا يصبحون } أي وليس هناك من يجيرهم من عذاب الله من آلهتهم ولا من غيرها فلا يقدر أحد على إجارتهم من عذاب الله متى حل بهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير أن الساعة لا تأتي إلا بغتة .
2- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
3- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان عليه الرسل من قبله وما لاقوه من أُممهم .
4- بيان عجز آلهة المشركين عن نصرتهم بدفع العذاب عنهم متى حل بهم .

5- بيان أن علة إصرار المشركين على الشرك والكفر هو عدم إقبالهم على تدبر القرآن الكريم وتفكرهم في آياته وما تحمله من هدى ونور .

(473/2)

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (44) قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (45) وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (46) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)

شرح الكلمات :

{ متعنا هؤلاء وآباءهم } : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات .

{ حتى طال عليهم العمر } : فانغروا بذلك .

{ ننقصها من أطرافها } : أي بالفتح على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين .

{ إنما أنذركم بالوحي } : أي بإخبار الله تعالى التي يوحيها إلي وليس هناك شيء من عندي .

{ نفحة } : أي وقعة من عذاب خفيفة .

{ يا ويلنا إنا كنا ظالمين } : أي يقولون يا ويلنا أي يا هلاكنا .

{ إنا كنا ظالمين } : أي بالشرك والتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم .

{ الموازين } : أي العادلة .

{ فلا تظلم نفس شيئاً } : لا ينقص حسنة ولا بزيادة سئية .

{ مثقال حبة } : أي زنة حبة من خردل .

{ وكفى بنا حاسبين } : أي محصين لكل شيء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إبطال دعاوي المشركين فقال تعالى : { بل متعنا هؤلاء } بما أنعمنا عليهم هو وآباؤهم فظنوا أن آلهتهم هي الحافظة لهم بل الله هو الحافظ حتى طال عليهم العمر فانغروا بذلك . { أفلا يرون أنا نأتي الأرض } أرض الجزيرة بلادهم { ننقصها من أطرافها } بدخول أهلها في الإسلام بعد بلد . { أفهم الغالبون } الله هو الغالب حيث مكن لرسوله والمؤمنين وفتح عليهم ، ثم أمر رسوله أن يقول لهم أيها المكذبون إنما أنذركم العذاب وأخوفكم من عاقبة شرككم بالوحي الإلهي لا من تلقاء نفسي ، وقوله تعالى : { ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون } فالصم لحبهم الباطل الذي هم عليه لا يسمعون الدعاء إذا ما ينذرون وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم فحبهم للشرك وآلهته جعلهم لا يسمعون فاستوى انذارهم وعدمه وقوله تعالى : { ولئن مَسَّتهُمْ نفحة من عذاب ربك } أي وقعة خفيفة من العذاب لصاحوا يدعون بالويل على أنفسهم قائلين { يا ويلنا إنا كنا ظالمين } فكيف بهم إذا وضعت الموازين العدل

ليوم القيامة حيث لا تظلم نفس شيئاً وإن قل وإن كان مثقال حبة من حسنة أو سيئة اتيانها ووزناها { وكفى بنا حاسبين } أي محصين لأعمال العباد لعلمنا المحيط بكل شيء وقدرتنا التي لا يعجزها شيء . . ألا فلنتق الله أيها العقلاء!!

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- طول العمر والرزق الواسع كثيراً ما يُسبب الغرور لصاحبه .

2- حب الشيء يمعي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبه ويصمه بحيث لا يسمع إلا ما أحبه .

3- بيان ضعف الإنسان وأن أدنى عذاب ينزل به لا يتحمله ويصرخ داعياً يا هلاكاه .

4- تقرير البعث والحساب والجزاء .

(474/2)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (50)

شرح الكلمات :

{ الفرقان } : التوارة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن .

{ وضياء } : أي يهدي إلى الحق في العقائد والشرائع .

{ وذكراً } : أي موعظة .

{ يخشون ربهم بالغيب } : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل حرام .

{ وهم من الساعة مشفقون } : أي وهم أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون .

{ وهذا ذكر مبارك } : أي القرآن الكريم تنال بركته قارئة والعامل به .

{ أفأنتم له منكرون } : الاستفهام للتوبيخ يوبخ تعالى من أنكر أن القرآن كتاب الله .

وبين الباطل فرعون ، كما فرق بين التوحيد والشرك يوم بدر يوم الفرقان وآتاهما التوارة ضياء يستضاء بها في معرفة الحلال والحرام والشرائع والأحكام وذكراً أي موعظة للمتقين ، ووصف المتقين بصفتين : الأولى انهم يخشون ربهم أي يخافونه بالغيب أي وهم لا يرونه والثانية : أنهم مشفقون من الساعة أي مما يقع فيها من أهوال وعذاب وقوله تعالى : { وهذا ذكر مبارك } يشير الى القرآن الكريم ويصفه بالبركة فبركته لا ترفع فكل من قرأه وعمل بما فيه نالته بركته قراءة الحرف الواحد منه بشعر حسنات لا تنقضى عجائبه ولاتكتنه اسراره ولا تكتشف كل حقائقه ، هدى لمن استهدى ، وشفاء لمن استشفى وقوله تعالى : { أفأنتم له منكرون } يوبخ به العرب الذين آمنوا بكتاب اليهود إذ كانوا يسألونهم عما في كتابهم ، وكفروا بالقرآن الذي هو كتابهم فيه ذكرهم وشرفهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إظهار منه الله تعالى على موسى وقومه ومحمد وأمته بانزال التوارة على موسى والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم .

2- بيان صفات المتقين وهم الذين يخشون ربهم بالغيب فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل محرم : وهم دائماً في اشفاق وخوف من يوم القيامة .

3- الاشادة بالقرآن الكريم حيث أنزله تعالى مباركاً .

4- توبيخ وتقريع من يفكر بالقرآن وينكر ما فيه من الهدى والنور .

(475/2)

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)

شرح الكلمات :

{ رشده } : أي هداه بمعرفة ربه والإيمان به ووجوب طاعته والتقرب إليه .

{ التماثيل } : جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة على شبه إنسان أو حيوان .

{ التي أنتم لها عاكفون } : أي مقبلون عليها ملازمون لها تعبداً .

{ أم أنت من اللاعبين } : أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون .

{ الذي فطرهن } : أي أنشأهن خلقاً وإيجاد على غير مثال سابق .

{ لأكيدن أصنامكم } : أي لأحتالن على كسر أصنامكم وتحطيمها .

{ جذاذاً } : فتاتاً وقطعاً صغيرة .

{ إلا كبيراً لهم } : إلا أكبر صنم لهم فأنه لم يكسره .

{ لعلهم إليه يرجعون } : كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحّدوه بعد أن يظهر لهم عجز آلهتهم .

معنى الآيات :

على ذكر مامنّ به تعالى على موسى وهارون ومحمد صلى الله عليه وسلم من إيتائه التوارة والقرآن ذكر أنه امتن قبل ذلك على إبراهيم فآتاه رشده في صباه فعرفه به وبجلاله وكماله ووجوب الإيمان به تعالى وعبادته وحده ، وإن عبادة من سواه باطلة ، فقال تعالى : { ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل } وقوله : { وكنا به عالمين } أي بأهليته للدعوة والقيام بها لما علمناه { إذ قال } أي في الوقت الذي قال لأبيه أي آزر ، وقومه منكراً عليهم عبادة غير الله { وما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون } أي مقبلون عليها ملازمون لها فأجابوه بما أخبر تعالى به عنهم في قوله : { قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين } فاعلنوا عن جهلهم إذ لم يذكروا برهاناً على صحة او فائدة عبادتها واكتفوا بالتقليد الأعمى وشأنهم

في هذا شأن سائر من يعبد غير الله تعالى فإنه لا برهان له على صحة عبادة من يعبد إلا التقليد لمن رآه يعبده . فرد عليهم ابراهيم بما أخبره تعالى عنه في قوله { قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم } أي الذين قلدتموهم في عبادة الأصنام { في ضلال } أي عن الهدى الذي يجب أن تكونوا عليه { مبين } لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ، وردوا على إبراهيم قوله هذا فقالوا بما أخبر تعالى به عنهم { قالوا أجئتنا بالحق } أي فيما قلت لنا من أنا وآباءنا في ضلال مبين { أم أنت من اللاعبين } أي في قولك الذي قلت لنا فلم تكن جاداً فينا تقول وإنما أنت لاعب لا غير ورد إبراهيم عليهم بما أخبر تعالى به في قوله : { قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين } أي ليس ربكم تلك التماثيل بل ربكم الحق الذي يستحق عبادتكم الذي فطر السموات والأرض فأنشأهن خلقاً عجيباً من غير مثال سابق وأنا على كون ربكم رب السموات والأرض من الشاهدين إذ لا رب لكم غيره ، ولا إله حق لكم سواه ، { وتالله } قسماً به تعالى { لأكيدن أصنامكم } أي لأحتالن عليها فأكسرها { بعد أن تولوا مدبرين } أي بعد أن تراجعوا عنها وتتركوها وحدها .

(476/2)

وفعلاً لما خرجوا إلى عيد لهم يقضون يوماً خارج المدينة أتى تلك التماثيل فكسرها فجعلها قطعاً متناثرة هنا وهناك إلا صنماً كبيراً لهم تركه { لعلهم إليه يرجعون } أي يرجعون إلى إبراهيم فيعبدون معه ربه سبحانه وتعالى عندما يتبين لهم بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تستطع أن تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مظاهر إنعام الله وإكرامه لمن اصطفى من عباده .

2- تقرير النبوة والتوحيد ، والتنديد بالشرك والمشركين .

3- ذم التقليد وأنه ليس بدليل ولا برهان للمقلد على ما يعتقد أو يفعل .

4- مشروعية الشهادة وفضلها في مواطن تعز فيها ويحتاج إليها .

5- تغيير المنكر باليد لمن قدر عليه مقدم على تغييره باللسان بينهما أفضل .

(477/2)

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65)

شرح الكلمات :

{ بآلهتنا } : أي بأصنامكم التي سموها آلهة لأنهم يعبدونها ويؤلهونها .

{ فتى يذكرهم } : أي بالعيب والإنتقاص .

{ على أعين الناس } : أي ظاهراً يرونه بأعينهم .

{ يشهدون } : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة ، ويشهدون العقوبة التي ننزلها به .

{ أأنت فعلت هذا } : هذه صيغة الاستنطاق والاستجواب .

{ بل فعله كبيرهم هذا } : أشار الى أصبعه نحو الصنم الكبير الذي علق به الفاس قائلاً بل فعله كبيرهم هذا وَوَرّى بإصبعه تحاشيا للكذب .

{ فرجعوا إلى أنفسهم } : أي بعد التفكر والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم لعبادتهم مالا ينطق .

{ نسكوا على رؤوسهم } : أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى اقرار الباطل فكانوا كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى .

{ ما هؤلاء ينطقون } :

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما دار بين إبراهيم الخليل وقومه من حوار حول العقيدة انه لما استغل ابراهيم فرصة خروج القوم إلى عيدهم خارج البلد ودخل البهر فكسر الآلهة فجعلها قطعاً متناثرة وعلق الفأس بكبير الآلهة المزعومة وعظيمها وخرج فلما جاء المساء وعادوا الى البلد ذهبوا إلى الآلهة المزعومة لأخذ الطعام الموضوع بين يديها لتباركه في زعمهم واعتقادهم الباطل وجدوها مهشمة مكسرة صاحوا قائلين : { من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين } فأجاب بعضهم بعضاً قائلاً : { سمعنا فتى يذكرهم } أي شاباً يذكر الآلهة بعيب وازدراء ، واسمه إبراهيم ، وهنا قالوا إذاً { فأتوا به على أعين الناس } لنشاهده ونحقق معه فإذا ثبت أنه هو عاقبناه وتشهد الناس عقوبته فيكون ذلك نكالاً لغيره ، وجاءوا به عليه السلام وأخذوا في استنطاقه فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم : { أأنت فعلت هذا } أي التكسير والتحطيم { يا إبراهيم } ؟ فأجابهم بما أخبر تعالى به عنه بقوله : { قال بل فعله كبيرهم هذا } يشير بأصبعه الى كبير الآلهة تورية ، { فاسألوهم إن كانوا ينطقون } تقريعاً لهم وتوبيخاً وهنا رجعوا الى أنفسهم باللائمة فقالوا : { إنكم أنتم الظالمون } أي حيث تألهون مالا ينطق ولا يجيب ولا يدفع عن نفسه فكيف عن غيره ، وقوله تعالى : { ثم نكسو على رؤوسهم } أي قلبهم الله رأساً على عقب فبعد أن عرفوا الحق ولاموا على أنفسهم عادوا إلى الجدال بالباطل فقالوا : { لقد عملت } أي يا إبراهيم ما { هؤلاء ينطقون } فكيف تطلب منا أن نسألهم وأنت تعلم أنهم لا ينطقون . كما أن اعترافهم بعدم نطق الآلهة المدعاة إنتكاس منهم إذ اعترفوا ببطلان تلك الآلهة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الظلم معروف لدى البشر كلهم ومنكر بينهم ولولا ظلمة النفوس لما أقروه بينهم .

2- إقامة البيّنة على الدعاوي أمر مقرر في عوف الناس وجاءت به الشرائع من قبل .

3- أسلوب المحاكمة يعتمد على الاستنطاق والاستجواب اولاً .

4- مشروعية التورية خشية القول بالكذب .

(478/2)

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72)

شرح الكلمات

{ مالا ينفعكم شيئاً } : أي آلهة لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم إن أرادت ضركم .

{ أفٍ لكم } : أي قبحاً ولما تعبدون من دون الله .

{ قالوا : حرقوه } : أي أحرقوه بالنار إنتصاراً لآلهتكم التي كسرها .

{ برداً وسلاماً } : أي على إبراهيم فكانت كذلك فلم يحرق منه غير وثاقه « الحبل الذي وثق به » .

{ كيداً } : وهو تحريقه بالنار للتخلص منه .

{ فجعلناهم الأخسرين } : حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب كيدهم ولم يحصلوا عل شيء .

{ ونجيناه ولوطاً } : أي ابن أخيه هاران .

{ التي باركنا فيها } : وهي أرض الشام .

{ ويعقوب نافلة } : زيادة على طلبه الولد فطلب ولداً فأعطاه ما طلب وزاده آخر .

{ وكلاً جعلنا صالحين } : أي وجعلنا كل واحد منهم صالحاً من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه منكراً عليهم عبادة ألهتهم { أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم } أي أتعبدون آلهة دون الله علمتم أنها لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم ولا تنطق إذا استنطقت ولا تجيب إذا سئلت { أف لكم ولما تعبدون من دون الله } أي قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع { أفلا تعقلون } قبح عبادتها وباطل تأليهها وهي جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر وهنا أجابوا بما أخبر تعالى به عنهم فقالوا : { حرقوه } أي أحرقوا إبراهيم بالنار { وانصروا آلهتكم } التي أهانها وكسرها { إن كنتم فاعلين } أي مريدين نصرتها حقاً وصدقاً . ونفذوا ما أجمعوا عليه وجمعوا الحطب وأججوا النار في بنيان خاص وألقوه فيه بواسطة منجنيق لقوة لهبها وشدة حرها وقال تعالى للنار ما أخبر به في قوله : { قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم } فكانت كما طلب منها ولم تحرق غير وثاقه الحبل الذي شدت به يداه ، ورجلاه ، ولو لم يقل وسلاماً لكان

من الجائز أن تنقلب النار جبلاً من ثلج ويهلك به إبراهيم عليه السلام . روى أو والد إبراهيم لما رأى إبراهيم لم تحرقه النار وهو يتفصد عرقاً قال : نعم الرب ربك يا إبراهيم! وقوله تعالى : { وأرادوا به كيداً فجعلناهم هم الأخسرين } أي أرادوا بإبراهيم مكراً وهو إحراقه بالنار فخَيَّب الله مسعاهم وأنجى عبده وخليله من النار وأحبط عليهم ما كانوا يأملون فخسروا في كل أعمالهم التي أرادوا بها إهلاك إبراهيم ، وقوله تعالى : { ونجيناه ولوطاً } أي ونجينا إبراهيم وابن أخيه هاران وهو لوط (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) وهي أرض الشام فنزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي قرى قوم لوط التي بعد دمارها استحالت الى بحيرة غير صالحة للحياة فيها وقوله : { باركنا فيها للعالمين } أي بارك في أرزاقها بكثرة الاشجار والانهار والثمار لكل من ينزل بها من الناس كافرهم ومؤمنهم لقوله : { للعالمين } وقوله تعالى : { ووهبنا له } أي لإبراهيم اسحق حيث سأل الله تعالى الولد ، وزاده يعقوب نافلة وقوله : { وكلا جعلنا صالحين } أي وجعلنا كل واحد منهم من الصالحين الذين يعبدون الله بما شرع لهم فأدوا حقوق الربَّ تعالى كاملة ، وأدوا حقوق الناس كاملة وهذا نهاية الصلاح .

(479/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان قوة حجة إبراهيم عليه السلام ، ومتانة أسلوبه في دعوته وذلك مما آتاه ربه .

2- مشروعية توبيخ أهل الباطل وتأنيبهم .

3- آية إبطال مفعول النار فلم تحرق إبراهيم إلا وثاقه لما أراد الله تعالى ذلك .

4- قوة التوكل على الله كانت سبب تلك المعجزة إذ قال إبراهيم حسبي الله ونعم والوكيل .

فقال الله تعالى للنار : { كوني برداً وسلاماً على إبراهيم } فكانت ، وكفاه ما أهمه بصدق توكله عليه ، ويؤثر أن جبريل عرض له قبل أن يقع في النار فقال هل لك يا إبراهيم من حاجة ؟ فقال إبراهيم : أما إليك فلا ، حسبي الله ونعم الوكيل .

5- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين .

6- خروج إبراهيم من أرض العراق إلى أرض الشام كانت أول هجرة في سبيل الله في التاريخ .

(480/2)

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ

الصَّالِحِينَ (75) وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)

شرح الكلمات :

{ أئمة } : أي يقتدى بهم في الخير .

{ يهدون بأمرنا } : أي يرشدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم وسعادتهم بإذن الله تعالى لهم بذلك حيث جعلهم رسلاً مبلغين .

{ وكانوا لنا عابدين } : أي خاشعين مطيعين قائمين بأمرنا .

{ ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً } : أي أعطينا لوطاً حكماً أي فصلاً بين الخصوم وفقهاً في الدين وكل هذا يدخل تحت النبوة والرسالة وقد نبأه وأرسله .

{ تعمل الخبائث } : كاللواط وغيره من المفاسد .

{ فاسقين } : أي عصاه متمردين عن الشرع تاركين للعمل به .

{ ونوحاً إذ نادى من قبل } : أي واذكر نوحاً إذ دعا ربه على قومه الكفرة .

{ من الكرب العظيم } : أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح الأرض .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أفضال الله تعالى على إبراهيم وولده فقال تعالى : { وجعلناهم } أي إبراهيم واسحق ويعقوب أئمة هداة يقتدى بهم في الخير ويهدون الناس الى دين الله تعالى الحق بتكليف الله تعالى لهم بذلك حيث نبأهم وأرسلهم . وهو بمعنى قوله تعالى : { وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا } وقوله : { وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة } أي أوحينا إليهم لأن يفعلوا الخيرات جمع خير وهو كل نافع غير ضار فيه مرضاة لله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . وقوله تعالى : { وكانوا لنا عابدين } أي امتثلوا أمرنا فيما أمرناهم به وكانوا لنا مطعين خاشعين وهو ثناء عليهم بأجمل الصفات وأحسن الأحوال وقوله تعالى : { ولوطاً آتينا حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين } أي وكما آتينا إبراهيم وولديه ما آتيناهم من الإفضال والإنعام الذي جاء ذكره في هذا السياق آتينا لوطاً وقد خرج مهاجراً مع عمه إبراهيم آتيناه أيضاً حكماً وعلماً ونبوة ورسالة متضمنة حسن الحكم والقضاء وأسرار الشرع والفقه في الدين . هذه منة وأخرى أنا نجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث وأهلكنا أهلها لأنهم كانوا قوم سوء لا يصدر عنهم الا ما يسوء إلى الخلق فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا ، وقوله : { وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين } وهذا إنعام آخر أعظم وهو ادخاله في سلك المرحومين برحمة الله الخاصة لأنه من عباد الله الصالحين . وقوله تعالى : { ونوحاً } اي واذكرنا يا رسولنا في سلك هؤلاء الصالحين عبدنا ورسولنا نوحاً الوقت الذي نادى ربه من قبل إبراهيم فقال إني مغلوب فانتصر ، { فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم } حيث نجاه تعالى وأهله إلا امرأته وولده كنعان فإنهما لم يكونا من أهله لكفرهما وظلمهما فكانا من المغرقين . وقوله : { ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا } أي ونصرنا بإنجائنا له منهم فلم يمسوه بسوء ، وأغرقناهم أجمعين لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ظالمين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف القائمين بها .

2- فضل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات .

3- ثناء الله تعالى على أوليائه وصالحي عباده بعبادتهم ، وخشوعهم له .

4- الخبث إذا كثر في الأمة استوجبت الهلاك والدمار .

5- التنديد بالفسق والتحذير من عواقبه فإنها مدمرة والعياذ بالله .

6- تقرير النبوة المحمدية وتأكيدها إذ مثل هذا القصص لا يتأنى الا لمن يوحى إليه .

(481/2)

وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (82)

شرح الكلمات :

{ في الحرث } : أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلاً .

{ نفشت فيه } : أي رعته ليلاً بدون راع .

{ شاهدين } : أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفى علينا شيء من ذلك .

{ ففهمناها } : أي القضية التي جرى فيها الحكم .

{ وكلاً آتينا حكماً وعلماً } : أي كلاً من داود وولده سليمان أعطيناه حكماً أي النبوة وعلماً بأحكام الله وفقهها .

{ يسبحن } : أي معه إذا سبح .

{ وكنا فاعلين } : أي لما هو أغرب وأعجب من تسبيح الجبال والطير فلا تعجبوا .

{ صنعة لبوس لكم } : هي الدروع وهي لباس الحرب .

{ فهل أنتم شاكرون } : أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح .

{ إلى الأرض التي باركنا } : أي أرض الشام .

{ يغوصون } : أي في أعماق البحر لاستخراج الجواهر .

{ ويعلمون عملاً دون ذلك } : أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات .

{ وكنا لهم حافظين } : أي لأعمالهم حتى لا يفسدوها .

معنى الآيات : ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من يشاء من عباده ، وفي ذلك تقرير لنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم التي كذبت بها قريش فقال تعالى : { وداود وسليمان } أي واذكر يا نبينا داود

وسليمان { إذ يحكمان في الحرث } اي اذكرهما في الوقت الذي كانا يحكمان في الحرث الذي { نفشت فيه غنم القوم } أي رعت فيه ليلاً بدون راع فأكلته وأتلفته { وكنا لحكمهم شاهدين } حاضرين لا يخفى علينا ما حكم به كل منهما ، إذ حكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث الماشية مقابل ما أتلفته لأن المتلف يعادل قيمة الغنم التي أتلفته ، وحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الماشية الرزع يقوم عليه حتى يعود كما كان ، ويأخذ صاحب الحرث الماشية يستغل صوفها ولبنها وسخالها فإذا ردت إليه كرومة كما كانت أخدها ورد الماشية لصاحبها لم ينقص منها شيء هذا الحكم أخبر تعالى أنه فهم فيه سليمان وهو أعدل من الأول وهو قوله تعالى : { ففهمناها } أي الحكومة أو القضية أو الفتيا سليمان ، ولم يعاتب داود على حكمه ، وقال : { وكلا آتينا حكماً وعلماً } تلافياً لما قد يظن بعضهم أن داود دون ولده في العلم والحكم .

وقوله : { وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير } هذا ذكر لبعض ما أنعم به على داود عليه السلام وهو أنه سخر الجبال والطير تسبح معه إذا سبح سواء أمرها بذلك فأطاعته أو لم يأمرها فإنه إذا صلى وسبح صلت معه وسبحت ، وقوله : { وكنا فاعلين } أي لما هو أعجب من تسخير الجبال والطير تسبح مع سليمان لأنا لا يعجزنا شيء وقد كتب هذا في كتاب المقادير فأخرجه في حينه ، وقوله تعالى : { وعلمناه } أي داود { صنعة لبوس لكم } وهي الدروع السابغة التي تقي لا سبها طهن الرماح وضرب السيوف بإذن الله تعالى فهي آلة حرب ولذا قال تعالى { لتحصنكم من بأسكم } { فهل أنتم شاركون؟ } أمر لعباده بالشكر على إنعامه عليهم والشكر يكون بحمد الله تعالى والإعتراف بإنعامه ، وطاعته وصرف النعمة فيما من أجله أنعم بها على عبده ، وقوله (ولسليمان) أي وسخرنا لسليمان { الريح عاصفة } شديدة السرعة { تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها } إذ يخرج غازياً أول النهار وفي آخره تعود به الريح بساطه الذي هو كأكبر سفينة حربية اليوم إلى الأرض التي بارك الله وهي أرض الشام .

(482/2)

وقوله : { وكنا بكل شيء عالمين } يخبر تعالى أنه وما زال عليماً بكل شيء ما ظهر للناس وما غاب عنهم فكل أحداث الكون تتم حسب علم الله وإذنه وتقديره وحكمته فلذا وجبت له الطاعة واستحق الألوهة والعبادة .

وقوله : { ومن الشياطين من يغوصون له } أي وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوضون له في أعماق البحار لاستخراج الجواهر ، { ويعلمون عملا دون ذلك } كالبناء وصنع التماثيل والمحاريب والجفان وغير ذلك . وقوله تعالى : { وكنا لهم حافظين } أي وكنا لأعمال أولئك العاملين من الجن حافظين لها عالمين بها حتى لا يفسدوها بعد عملها مكراً منهم أو خديعة فقد روى أنهم كانوا يعملون ثم يفسدون ما عملوه حتى لا ينتفع به .

وهذا كله من إنعام الله تعالى على داود وسليمان وغيره كثير فسبحان ذي الأنعام والأفضال إله الحق ورب العالمين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب نصب القضاة للحكم بين الناس .

2- بيان حكم الماشية ترعى في حرث الناس وإن كان شرعنا على خلاف شرع من سبقنا فالحكم عندنا إن رعت

الماشية ليلاً قوم المتلف على صاحب الماشية ودفعه لصاحب الرزع ، وإن رعت نهاراً فلا شيء لصاحب الزرع لأن عليه أن يحفظ زرعه من أن ترعى فيه مواشي الناس لحديث العجماء ، جبار وحديث ناقة البراء بن عازب .

3- فضل التسبيح .

4-وجوب صنع آلة الحرب وإعدادها للجهاد في سبيل الله .

5- وجوب شكر الله تعالى على كل نعمة تستجد للعبد .

6- بيان تسخير الله تعالى الجن لسليمان يعملون له أشياء .

7- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ من أرسل هؤلاء أرسل وأنعم عليهم بما أنعم لا يستنكر عليه إرسال محمد رسولاً وقد أرسل من قبله رسلاً .

8- كل ما يحدث في الكون من أحداث يحدث بعلم الله تعالى وتقديره ولحكمة تقتضيه .

(483/2)

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (86)

شرح الكلمات :

{ وأيوب } : أي واذكر أيوب .

{ إذ نادى ربه } : أي دعاه لما ابتلى بفقد ماله وولده ومرض جسده .

{ مسني الضر } : هو ما ضر بجسمه أو ماله أو ولده .

{ وذكرى للعابدين } : أي عظة للعابدين ، ليصبروا فيثابوا .

{ وأدخلناهم في رحمتنا } : بأن نبأناهم فانخرطوا في سلك الأنبياء إنهم من الصالحين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر إفضالات الله تعالى وإنعامه على من شاء من عباده الصالحين فقوله تعالى في الآية الأولى (83) { وأيوب } أي واذكر عبدنا في شكره وصبره وسرعة أوْبتَه ، وقد ابتليناه بالعافية والمال والولد ، فشكر وابتليناه بالمرض وذهاب المال والأهل والولد فصبر . أذكره { إذ نادى ربه } أي داعياً ضارعاً بعد بلوغ البلاء منتهاه ربّ أي يا رب { أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين } { فاستجبنا له } دعاءه { فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله } من زوجة وولد { ومثلهم معهم } أي ضاعف له ما أخذه منه بالابتلاء بعد الصبر واما المال فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم انه أنزل عليه رَجْلاً من جَرَادٍ من ذهب فكان أيوب يحثو في ثوبه فقال له ربه في ذلك فقال من ذا الذي يستغنى عن بركتك يا رب . وقوله تعالى : { رحمة من عندنا } أي رحمناه رحمة خاصة ، وجعلنا قصته ذكرى وموعظة للعابدين لنا لما نبتليهم بالسراء والضراء فيشكرون ويصبرون ائتساء بعبدنا أيوب { إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب } وقوله

تعالى : { وإسماعيل وإدريس وذا الكفل } أي واذكر في عداد المصطفين من أهل الصبر والشكر اسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وادريس وهو اخنوخ وذا الكفل { كل من الصابرين } على عبادتنا الشاكرين لنعمائنا ، وادخلناهم في رحمتنا فنبأنا منهم من نبأنا وأنعمنا عليهم وأكرمناهم بجوارنا إنهم من الصالحين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- علو مقام الصبر ومثله الشكر فالأول على البأساء والثاني على النعماء .

2- فضيلة الدعاء وهو باب الاستجابة وطريقها من ألهمه ألهم الاستجابة .

3- في سير الصالحين مواعظ وفي قصص الماضيين عبر .

4- من ابتلى بفقد أو أهل أو ولد فَصَبَر كان له من الله الخلف وما يقال عند المصيبة « إنا لله وإنا إليه لراجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها » .

(484/2)

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91)

شرح الكلمات :

{ وذا النون } : هو يونس بن متى عليه السلام وأضيف الى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى { ولا تكن كصاحب الحوت } لأن حوتة كبيرة ابتلعته .

{ إذ ذهب مغاضباً } : أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلي قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب .

{ فظن أن لن نقدر عليه } : أي أن لن نحبسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته .

{ في الظلمات } : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل .

{ ونجيناه من الغم } : أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت .

{ لا تذرني فرداً } : أي بلاء ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة بقرينه ويرث من آل يعقوب .

{ رغباً ورهباً } : أي طعماً فينا ورهبناً منا أي خوفاً ورجاءاً .

{ أحصنت فرجها } : أي صانته وحفظته من الفاحشة .

{ من روحنا } : أي جبريل حيث نفخ في كم درعها عليها السلام .

{ آية العالمين } : أي علامة على قدرة الله تعالى ووجوب عبادته بذكره وشكره .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر افضال الله تعالى وإنعامه على من يشاء من عباده فقال تعالى : { وذا النون } أي واذكر ذا النون أي يونس بن متى { إذ ذهب معاضباً } لربه تعالى حيث لم يصبر على بقائه مع قومه يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله فسأل لهم العذاب ، ولما تابوا ورفع عنهم العذاب بتوبتهم وعلم بذلك فلم يرجع إليهم فكان هذا منه مغاضبة لربه تعالى وقوله تعالى عنه : { فظن أن لن نقدر عليه } أي ظن منه في ربه سبحانه وتعالى ، ولكن لمغاضبته ربه بعدم العودة إلى قومه بعد أن رفع عنهم العذاب أصابه ربه تطهيراً له من أمر المخالفة الخفيفة بأن ألقاه في ظلمات ثلاث ، ظلمة الحوت والبحر والليل ثم ألهمه الدعاء الذي به النجاة فكان يسبح في الظلمات الثلاث { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } فاستجاب الله تعالى له وهو معنى قوله : { وإذ النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم } الذي أصابة من وجوده في ظلمات محبوساً لا أنيس ولا طعام ولا شراب مع غم نفسه من جراء عدم عودته الى قومه وقد أنجاهم الله من العذاب . وهو سبب المصيبة ، وقوله تعالى : { وكذلك ننجي المؤمنين } مما قد يحل بهم من البلاء وقوله تعالى : { وزكريا } أي اذكر يا رسولنا زكريا في الوقت الذي نادى ربه داعياً ضارعاً قائلاً : { ربّ } أي يا رب { لا تذرني فرداً } أي لا تتركني فرداً لا ولد لي يرثني في نبوتي وعلمي وحكمتي ويرث ذلك من آل يعقوب حتى لا تنقطع منهم النبوة والصلاح وقوله : { وأنت خير الوارثين } ذكر هذا اللفظ توسلاً به الى ربه ليستجيب له دعاءه واستجاب له والحمد لله .

(485/2)

فوهبه يحيى وأصلح له زوجه بأن جعلها ولوداً بعد العقر حسنة الخلق والخُلق . وقوله تعالى : { أنهم كانوا يسارعون } أي زكريا ويحيى ووالدته كانوا يسارعون في الطاعات والقربات أي في فعلها والمبادرة إليها . وقوله : { ويدعوننا رغباً ووهباً } هذا ثناء عليهم أيضاً إذ كانوا يدعون الله رغبة في رحمته ورهبة وخوفاً من عذابه وقوله : { وكانوا لنا خاشعين } أي معطيعين ذليلين متواضعين وهم يعبدون ربهم بأنواع العبادات .

وقوله تعالى : { والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا } أي واذكر يا نبينا تلك المؤمنة التي أحصنت فرجها أي منعته مما حرم الله تعالى عليها وهي مريم بنت عمران اذكرها في عداد من أنعمنا عليهم وأكرمناهم وفضلناهم على كثير من عبادنا الصالحين ، حيث نفخنا فيها من روحنا إذ أمرنا جبريل روح القدس ينتفخ في كم درعها فسرت النفخة إلى فرجها فحبلت وولدت في ساعة من نهار ، وقوله تعالى : { وجعلنا وابنها } أي عيسى كلمة الله وروحه { آية } أي علامة كبرى على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا وإنعامنا وواجب عبادتنا وتوحيدنا فيها حيث لا يعبد غيرنا { للعالمين } أي للناس أجمعين يستدلون بها على ذكرنا آنفاً من وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ووجوب عبادته وتوحيده فيها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- فضيلة دعوة ذي النون : { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } . إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له ، وقوله تعالى : { وكذلك ننجي المؤمنين } يقوي هذا الخبر .

2- استحباب سؤال الولد لغرض صالح لا من أجل الزينة واللهو به فقط .

3- تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا .

4- فضيلة المسارعة في الخبرات والدعاء برغبة ورهبة والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء .

5- فضيلة العفة والاحصان للفرج .

6- كون مريم وابنها آية لأن مريم ولدت من غير محل ، ولأن عيسى كان كذلك وكلم الناس في المهد ، وكان يحيى الموتى بإذن الله تعالى .

(486/2)

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94) وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)

شرح الكلمات :

{ إن هذه أمتكم } : أي ملتكم وهي الإسلام ملة واحدة من عهد آدم إلى العهد المحمدي إذ دين الأنبياء واحد وهو عبادة الله تعالى وحده بما يشرع لهم .

{ وأنا ربكم فاعبدون } : أنا الهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة الا لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري .

{ وتقطعوا أمرهم بينهم } : أي وتفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنيات وما أكثرها .

{ كل إلينا راجعون } : أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة الينا وسوف نجزيها بكسبها .

{ فلا كفران لسعيه } : أي لا نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزى به وافياً .

{ وإنا له كاتبون } : إذ الكرام الكاتبون أعمال العباد خيرها وشرها .

{ وحرام } : أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا .

{ يأجوج ومأجوج } : قبيلتان وراء سدهما الذي سيفتح عند قرب الساعة .

{ حدب } : أي مرتفع من الأرض .

{ ينسلون } : أي يسرعون المشي .

{ الوعد الحق } : يوم القيامة .

{ في غفلة من هذا } : أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث .

معنى الآيات :

بعد ذكر أولئك الأنبياء وما أكرمهم الله تعالى به من افضالات وما كانوا عليه من كمالات قال تعالى مخاطباً الناس كلهم : { إن هذه أمتكم } أي ملتكم { أمة واحدة } أي ملة واحدة من عهد أول الرسل إلى خاتمهم وهو الإسلام القائم على الإخلاص لله في العبادة والخلوص من الشرك وقوله تعالى : { وتقطعوا أمرهم بينهم } ينعي تعالى على الانس تقطيعهم الإسلام إلى ملل شتى كاليهودية والنصرانية وغيرهما ، وتمزيقه إلى طوائف ونحل ، وقوله { وكل إلينا راجعون } إخبار منه تعالى أنهم راجعون إليه لا محالة بعد موتهم وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون ومن ذلك تقطيعهم للدين الإسلامي وتمزيقهم له فذهبت كل فرقة بقطعة منه . وقوله تعالى : { فمن يعمل من الصالحات } والحال أنه مؤمن ، والمراد من الصالحات ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية وقولية وفعلية { فلا كفران لسعيه } أي لعمله فلا يجحد ولا ينكر بل يراه ويجزى به كاملاً . وقوله تعالى : { وإنا له كاتبون } يريد أن الملائكة تكتب أعماله الصالحة بأمرنا ونجزيه بها أيضاً أحسن جزاء وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم .

وقوله تعالى : { وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون } يخبر تعالى أنه ممتنع امتناعاً كاملاً أن يهلك أمة بذنوبها في الدنيا ثم يردها إلى الحياة في الدنيا ، وهذا بناء على أن { لا } مزيدة لتقوية الكلام ويحتمل الكلام معنى آخر وهي ممتنع على أهل قرية قضى الهل تعالى بعذابهم في الدنيا أو في الآخرة أنهم يرجعون إلى الإيمان والطاعة والتوبة الصادقة وذللك بعد أن كذبوا وعاندوا وظلموا وفسقوا فطبع على قلوبهم فهم لا يرجعون إلى التوبة بحال ، ومعنى ثالث وهو حرام على أهل قرية أهلكههم الله بذنوبهم فأبادهم إنهم لا يرجون إلى الله تعالى يوم القيامة بل يرجعون للحساب والجزاء فهذه المعاني كلها صحيحة ، والمعنى الأخير لا تكلف فيه بكون { لا } صلة بل هي نافية ويرجع المعنى الأخير قوله تعالى : { حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج } فهوبيان لطريق رجوعهم إلى الله تعالى وذلك يوم القيءامة وبدايته بظهور علاماته الكبرى ومنها إنكسار سد يأجوج ومأجوج وتدفقهم في الأرض يخربون ويدمرون { وهم من كل حدب } وصوب { ينسلون } مسرعين .

(487/2)

وقوله تعالى : { واقترب الوعد الحق } وهوي وم الدين والحساب والجزاء وقوله : { فإذا هي شاخصة أبصارهم الذين كفروا } وذلك بعد قيامهم من قبورهم وحشرهم إلى أرض المحشر وهم يقولون في تأسف وتحسر { يا ويلنا } أي يا هلاكنا { قد كنا في غفلة } أي في دار الدنيا { بل كنا ظالمين } فاعترفوا بذنبهم حيث لا ينفعهم الاعتراف إذ لا توبة تقبل يومئذ .

هداية الآيات

من هداية الآيات

1- وحجة الدين وكون الإسلام هو دين البشرية كافة لأنه قائم على أساس توحيد الله تعالى في عبادته التي شرعها ليعبد بها .

2- بيان ما حدث للبشرية من تمزيق الدين بينها بحسب الأهواء والأطماع والأغراض .

3- وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح بالجزاء الحسن وهو الجنة .

4- تقرير حقيقة وهي إذا قُضِي بهلاك أمة تعذرت عليها التوبة ، وأن أمة يهلكها الله تعالى لا تعود إلى الحياة الدنيا بحال وإن البشرية عائدة إلى ربها فممتنع عدم عودة الناس إلى ربهم ، وذلك لحسابهم وجزائهم يوم القيامة .

(488/2)

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (100) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)

شرح الكلمات :

{ وما تعبدون من دون الله } : أي من الأوثان والأصنام .

{ حصب جهنم } : أي ما توقد به جهنم .

{ لو كان هؤلاء آلهة } : أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قريش .

{ ما وردوها } : أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار لأنهم آلهة قادرون على ذلك ولكنهم ليسوا آلهة حق فلذا لا يمنعون عابديهم من دخول النار .

{ وكل فيها خالدون } : أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان .

{ لهم فيها زفير } : أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير .

{ سبقت لهم منا الحسنى } : أي كتب الله تعالى أزلاً أنهم أهل الجنة .

{ حسيسها } : أي حِسّ صوتها .

{ لا يحزنهم الفزع الأكبر } : أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين .

{ كطي السجل للكتب } : أي يطوي الجبار سبحانه وتعالى السماء طيّ الورقة لتدخل في الظرف .

{ كما بدأنا أول خلق نعيده } : أي يعيد الله الخلائق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا ، كما ولدوا لم ينقص منهم شيء .

معنى الآيات :

يقول تعالى لمشركين الذين بدأت السورة الكريمة بالحديث عنهم ، وهم مشركوا قريش يقول لهم مُوعداً : { إنكم وما تعبدون من دون الله } من أصنام وأوثان { حصب جهنم } أي ستكونون أنتم وما تعبدون من أصنام وقوداً لجهنم التي أنتم واردوها لا محالة ، وقوله تعالى : { لو كان هؤلاء آلهة } لو كان هؤلاء التماثيل من الأحجار التي يعبدها المشركون لو كانوا آلهة حقاً ما ورد النار عابدوها لأنهم يخلصونهم منها ولما ورد النار المشركون ودخلوها دل ذلك على أن آلهتهم كانت آلهة باطلة لا تستحق العبادة بحال . وقوله تعالى : { كل فيها خالدون } أي المعبودات الباطلة

وعابدوهات الكل في جهنم خالدون . وقوله : { لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون } يخبر تعالى أن للمشركين في النار زفيراً وهو الأنبين الشديد من شدة العذاب وأنهم فيها لا يسمعون لكثرة الانين وشدة الأصوات وفظاعة ألوان العذاب وقوله تعالى : { إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون } نزلت هذه الآية رداً على ابن الزِّبَعْرَى عندما قال إن كان ما يقوله محمد حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم ، وأن عيسى والعزيز في جهنم لأن اليهود عبدوا العزيز والنصارى عبدوا المسيح ، فأخبر تعالى أن من عبد بغير رضاه بذلك وكانا يعبدنا ويتقرب إلينا بالطاعات فهو ممن سبقت لهم منا الحسنى بأنهم من أهل الجنة هؤلاء عنها أي عن جهنم مبعدون { لا يسمعون حسيسها } أي حس صوتها وهم في الجنة ولهم فيها ما يشتهون خلادون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر عند قيامهم من قبورهم بل هم آمنون { تتلقاهم الملائكة } عند القيام من قبورهم بالتحية والتهنئة قائلة لهم : { هذا يومكم الذي كنتم توعدون } وقوله تعالى : { يوم نطوي السماء } أي يتم لهم ذلك يوم يطوي الجبار جل جلاله السماء بيمينه { كطى السجل } أي الصحيفة للكتب .

(489/2)

وذلك يوم القيامة حيث تبدل الرض غير الأرض والسموات غير السموات . وقوله تعالى : { كما بدأنا أول خلق نعيده } أي يعيد الإنسان كما بدأ خلقه فيخرج الناس من قبورهم حفاتة عراة غرلا . وقوله : { وعداً علينا إنا كنا فاعلين } أي وعدنا بإعادة الخلق بعد فنائهم وبلاهم وعداً ، إنا كنا فاعلين فأنجزنا ما وعدنا ، وإنا على ذلك لقادرون .

هداية الآيات

من هداية الآيات

1- تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء .

2- من عبد من دون الله بأمره أو برضاه سيكون ومن عَبَدَه وقوداً لجهنم ومن لم يأمر ولم يرض فلا يدخل النار مع من عبده بل العابد له وحده في النار .

3- بيان عظمة الله وقدرته إذ يطوي السماء بيمينه ، والأرض في قبضته يوم القيامة .

4- بعث الناس حفاة عراة غرلا لم ينزع منهم شيء ولا غلفة الذكر إنجاز الله وعده في قوله : { كما بدأكم تعودون } فسبحان الواحد القهار العزيز الجبار .

(490/2)

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (106) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107) قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (109) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ

(110) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (111) قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112)

شرح الكلمات :

{ ولقد كتبنا في الزبور } : أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن .

{ من بعد الذكر } : أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ .

{ أن الأرض } : أي أرض الجنة .

{ عبادي الصالحون } : هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع الرسل عامة .

{ إن في هذا لبلاغنا } : أي إن في القرآن لبلاغاً أي لكفاية وبلغة لدخول الجنة فكل من آمن به وعمل بما فيه دخل الجنة .

{ لقوم عابدين } : أي مطيعين الله ورسوله .

{ رحمة للعالمين } : أي الإنس والجن فالمؤمنون المتقون يدخلون الجنة والكافرون ينجون . من عذا الاستئصال والابادة الذي كان يصيب الامم السابقة .

{ فهل أنتم مسلمون } : أي أسلموا فالاستفهام للأمر .

{ وان ادرى } : أي ما أدري .

{ فتنة لكم } : أي اختبرا لكم .

{ على ما تصفون } : من الكذب من أن النبي ساحر ، وأن الله اتخذ ولداً وأن القرآن شعر .

معنى الآيات : يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بوعده الكريم الذي كتبه المنزلة بعد كتابته في الذكر الذي هو كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (105) وقوله تعالى : { إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين } أي في هذا القرآن علظيم لبلاغاً لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه لكفاية في الوصول به إلى بغيته وهي رضوان الله والجنة وقوله تعالى { وما أرسلناك الا رحمة للعالمين } يخبر تعالى انه ما ارسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للعالمين إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون باتباعه يدخلون رحمة الله وهي الجنة والكافرون يأمنون من عذاب الإبادة والاستئصال في الدنيا ذلك العذاب الذي كان ينزل بالأمم والشعوب عندما يكذبون رسلهم وقوله تعالى { قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون } يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه ولمن يبلغهم خطابه إن الذي يوحى إلى هو أن إلهكم إله واحد أي معبودكم الحق واحد وهو الله تعالى ليس غيره وعليه { فهل أنتم مسلمون } أي أسلموا له قلوبكم ووجوهكم فاعبدوه ولا تعبدوا معه سواه فبلغهم يا رسولنا هذا { فإن تولوا } أي أعرضوا عن هذا الطلب ولم يقبلوه { فقل اذنتكم } أي اعلمتكم { على سواء } أنا وأنتم انه لا تلاقي بيننا فأنا حرب عليكم وأنتم حرب عليَّ وقوله تعالى : { وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون } أي وق للهم يا رسولنا : إني ما أدري أقريب ما توعدون من العذاب أم بعيد فالعذاب كائن لا محالة ما لم تسلموا إلا أني لا أعلم وقته . وفي الآية وعيد واضح وتهديد شديد وقوله : { إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون } أي يعلم طعنكم العلني في الإسلام وكتابه ونبيه ، كما يعلم ما تكتمونه في نفوسكم من عداوتي وبغضي وما تخفون من إحَنٍ وفي هذا إنذار لهم وتهديد ، وهم مستحقون لذلك .

(491/2)

وقوله : { وإن أدري } أي وما أدري { لعله } أي تأخير العذاب عنكم بعد استحقاقكم له يحرِبكم للإسلام ونبيه { فتنة لكم } أي اختبار لعلكم تتوبون فيرفع عنكم العذاب أو هو متاع لكم بالحياة إلى آجالكم ، ثم تعذبون بعد موتكم . فهذا علمه إلى ربي هو يعلمه ، وبهذا أمرني بأن أقوله لكم . وقوله تعالى : { قال رب احكم بالحق } وفي قراءة قُلْ رب احكم بالحق أي قال الرسول بعد أمر الله تعالى بذلك يا رب احكم بينى وبين قومى المكذبين لي المحاربين لدعوتك وعبادك المؤمنين . بالحق وذلك بنصري عليهم أو بإنزال نقمتك بهم ، وقوله : { وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون } أي وربنا الرحمن عز وجلّ هو الذي يستعان به على إبطال باطلكم أيها المشركون حيث جعلتم لله ولداً ، وشركاء ، ووصفتم رسوله بالسحر والكذب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- المؤمنون المتقون وهم الصالحون هم ورثة الجنة دار النعيم المقيم .

2- في القرآن الكريم البُلعة الكافية لمن آمن به وعمل بما فيه بتحقيق ما يصبوا إليه من سعادة الدار الآخرة .

3- بيان فضل النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته على ربه حيث جعله رحمة للعالمين .

4- وجوب المفاصلة بين أهل الشرك وأهل التوحيد .

5- وجوب الاستعانة بالله على كل ما يواجه العبد من صعاب وأتعاب .

(492/2)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4)

شرح الكلمات :

{ اتقوا ربكم } : أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوى .

{ إن زلزلة الساعة } : أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة .

{ تذهل كل مرضعة } : أي من شدة الهول والخوف تنسى رضيعها وتغفل عنه .

{ وتضع كل ذات حمل حملها } : أي تسقط الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفزع .

{ سكارى وما هم بسكارى } : أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارى وما هم بسكارى .

{ يجادل في الله بغير علم } : أي يقول إن الملائكة بنات الله وإن الله لا يحيي الموتى .

{ شيطان مريد } : أي متجرد من كل خير لا خير فيه البتة .

{ كتب عليه أنه من تولاه } : فرض فيه أن من تولاه أي اتبعه يضله عن الحق .

معنى الآيات :

بعد ذلك البيان الإلهي في سورة الأنبياء وما عرَض تعالى من أدلة الهداية وما بين من سبل النجاة نادى تعالى بالخطاب العام الذي يشمل العرب والعجم والكافر والمؤمن انذاراً وتحذيراً فقال في فاتحة هذه السورة سورة الحج المكية المدنية لوجود آي كثير فيها نزل في مكة وآخر نزل بالمدينة : { يا أيها الناس اتقوا ربكم } أي خافوا عذابهُ ، وذلك بطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه فآمنوا به وبرسوله وأطيعوهما في الأمر والنهي وبذلك تقوا أنفسكم من العذاب . وقوله : { إن زلزلة الساعة شيء عظيم } فكيف بالعذاب الذي يقع فيها لأهل الكفر والمعاصي ، إن زلزلة لها تتم قبل قيامها تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت أي تنسى فيها الأم ولدها ، { وتضع كل ذات حمل حملها } فتسقط من شدة الفزع لتلك الزلزلة المؤذنة بخراب الكون وفناء العوالم ويرى الناس فيها سكارى أي فاقدين لعقولهم وما هم بسكارى بشرب سكر { ولكن عذاب الله شديد } فخافوه لظهور أماراته ووجود بوادره .

هذا ما دلت عليه الآيتان (1) و (2) وأما الآية الثالثة فينعى تعالى على النضر بن الحارث وأمثاله ممن يجادلون في الله بغير علم فينسبون لله الولد والبنت ويزعمون أنه ما أرسل محمداً رسولاً ، وأنه لا يحيي الموتى بعد فناء الأجسام وتفتتها قال تعالى : { ومن الناس من يجادل في الله بغير علم } بجلال الله وكماله ولشرائعه وأحكامه وسننه في خلقه ، { ويتبع } أي في جداله وما يقوله من الكذب والباطل { كل شيطان مريد } أي متجرد من الحق والخير ، { كتب عليه } أي على ذلك الشيطان في قضاء الله أن من تولاه بالطاعة والاتباع فإنه يضله عن الحق ويهديه بذلك إلى عذاب السعير في النار .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالهما وأهوالهما .

2- حرمة الجدال بالباطل لإدحاض الحق وإبطاله .

3- حرمة الكلام في ذات الله وصفاته بغير علم من وحي إلهي أو كلام نبوي صحيح .

4- مولاة الشياطين واتباعهم يفضِى بالموالي المتابع لهم إلى جهنم وعذاب السعير .

(493/2)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7)

شرح الكلمات :

{ في ريب من البعث } : الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها ، والبعث الحياة بعد الموت .

{ من نطفة } : قطرة المنّي التي يفرزها الزوجان .

{ علقة } : أي قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين يوماً .

{ مضغة } : أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة اليها بعد أربعين يوما .

{ وغير مخلقة } : أي مصورة خلقاً تاماً ، مخلقة وغير مخلقة هي السقط يسقط قبل تمام خلقه .

{ لنبين لكم } : أي قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون .

{ ونقر في الأرحام ما نشاء } : أي ونبقي في الرحم نمن نريد له الحياة والبقاء إلى نهاية مدة الحمل ثم نخرجه طفلاً سوياً .

{ لتبلغوا أشدكم } : أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم .

{ إلى ارذل العمر } : أي سن الشيخوخة والهرم فيخرف .

{ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً } : أي فيصير كالطفل في معارفة إذ ينسى كل علم علمه .

{ هامدة } : خامدة لا حراك لها ميتة .

{ اهتزت وربت } : أي تحركت بالنبات وارتفعت ترتبها وأنبتت .

{ زوج يهيج } : أي من كل نوع من أنواع النباتات جميل المنظر حسنه .

{ ذلك بأن الله هو الحق } : أي الإله الحق الذ لا إله سواه ، فعبادة الله حق وعبادة غير الله باطل .

{ وان الساعة آتية } : أي القيامة .

{ يبعث من في قبور } : أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم احياء كما كانوا قبل موتهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى بعض أحوال القيامة وأهوالها ، وكان الكفر بالبعث الآخر هو العائق عن الاستجابة للطاعة وفعل الخير نادى تعالى الناس مرة أخرى ليعرض عليهم أدلة البعث العقلية لعلهم يؤمنون فقال : { يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث } أي في شك وحيرة وقلق نفسى من شأن بعث الناس أحياء من قبورهم بعد موتهم وفنائهم لأجل حسابهم ومجازاتهم على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا فاليكم ما يزيل شككم ويقطع حيرتم فى هذه القضية العقدية وهو أن الله تعالى قد خلقكم من تراب أي خلق أصلكم وهو أبوكم آدم من تراب وبلا شك ، ثم خلقكم أنتم من نطفة أي ماء الرجل ماء المراة وبلا شك ، ثم من علقة بعد تحول النطفة إليها ثم من مضغة بعد تحول العلقة إليها وهذا بلا شك أيضاً ، ثم المضغة إن شاء الله تحويلها إلى طفل خلقها وجعلها طفلاً ، وإن لم يشأ ذلك لم يخلقها وأسقطها من الرحم كما هو معروف و مشاهد ، وفعل الله ذلك من اجل أن يبين لكم قدرته وعلمه وحسن تدبيره لترهبوه تعظموه وتحبوه وتطيعوه وقوله : { ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً } أ يونقر تلك المضغة الملخقة في الرحم إلى أجل مسمى وهو ميعاد ولادة الولد وانهاء حمله ونخرجكم طفلاً أي اطفالاً صغاراً لا علم لكم ولا حلم ، ثم ننميكم ونربيكم بما تعلمون من سننا في ذلك { ثم لتبلغوا أشدكم } أي تمام نماء أبدانكم وعقولكم { ومنكم من يتوفى } قبل بلوغه أشده لأن الحكمة الإلهية اقتضت وفاته ومنكم من يعيش ولا يموت حتى يرد إلى ارذل العمر فيهرم ويخرف ويصبح كالطفل لا يعلم بعد علمٍ كان له قبل هرمه إذ الذي خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة يوجب العقل قدرته على إحيائهم بعد موتهم ، إذ ليست الإعادة بأصعب من البداية .

(494/2)

ودليل عقلي آخر هو ما تضمنه قوله تعالى : { وترى الأرض } أيها الإنسان { هامدة } خامدة ميتة لاحراك فيها ولا حياة فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء من السماء { اهتزت } أي تحركت { وربت } أي ارتفعت وانتفخت تربتها وأخرجت من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح { من كل زوج بهيج } جميل المنظر حسنه ، أليس وجود تربة صالحة كوجود رحم صالحة وماء المطر كماء الفحل وتخلق النطفة في الرحم كتخلق البذرة في التربة وخروج الزرع حياً نامياً كخروج الولد حياً نامياً وهكذا إلى حصاد الزرع وموت الإنسان فهذان دليلان عقليان على صحة البعث الآخر وأنه كائن لا محالة وفوق ذلك كله إخبار الخالق وإعلامه خلقه بأنه سيعيدهم بعد موتهم فهل من العقل والمنطق أو الذوق أن نقول له لا فإنك لا تقدر على ذلك قوله كهذه قذرة عفنة لا يود أن يسمعها عقلاء الناس وأشرافهم . ولما ضرب تعالى هذين المثالين أو ساق هذين الدليلين على قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لإعادة الناس أحياء بعد الموت والفناء للحساب والجزاء قال وقوله الحق { ذلك بأن الله هو الحق } أي الرب الحق والإله المعبود الحق ، وما عداه فباطل { وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور } ومن شك فليراجع الدليلين السابقين في تدبر وتعقل فانه يسلم لله تعالى ما أخبر به عن نفسه في قوله ذلك { بأن الله هو الحق } الخ .

هداية الآيات

من هداية الآيات

1- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الأعمال يوم القيامة .

2- بيان تطور خلق الإنسان ودلالته على قدرة الله وعلمه وحمته .

3- الاستدلال على الغائب بالحاضر المحسوس وهذا من شأن العقلاء فإن المعادلات الحسابية والجبرية قائمة على مثل ذلك .

4- تقرير عقيدة التوحيد وهي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(495/2)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (10) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (13)

شرح الكلمات

{ يجادل في الله } : أي في شأن الله تعالى فينسب إلى الله تعالى ما هو منه براء كالشريك والولد والعجز عن إحياء الموتى ، وهذا المجادل هو أبو جهل .

{ بغير علم } : أي بدون علم من الله ورسوله .

{ ولا كتاب منير } : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق ويبطل الباطل .

{ ثاني عطفه } : أي لآوى عنقه تكبراً ، لأن العطف الجانب من الإنسان .

{ له في الدنيا خزي } : وقد أذاقه الله تعالى يوم بدر إذ ذبح هناك واحتز رأسه .

{ بظلام للعبيد } : أي بذي ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم .

{ يعبد الله على حرف } : أي على شك في الإسلام هل هو حق أو باطل وذلك لجهلهم به وأغلب هؤلاء أعراب البادية .

{ اطمأن به } : اي سكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به .

{ وإن أصابته فتنة } : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه .

{ إنقلب على وجهه } : أي رجع عن الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر الجاهلي .

{ مالا يضره ولا ينفعه } : أي صنماً لا يضره إن لم يعبده ، ولا ينفعه إن عَبَدَه .

{ لبئس المولى } : أي قبح هذا الناصر من ناصر .

{ ولبئس العشير } : أي المعاشر وهو الصاحب الملازم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { ومن الناس من يجادل في الله بغير علم } هذه شخصية ثانية معطوفة على الأولى التي تضمنها قوله تعالى : { ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد } وهي شخصية النضر بن الحارث أحد رؤساء الفتنة في مكة ، وهذِه الشخصية هي فرعون هذه الأمة عمرو بن هشام الملقب بأبي جهل يخبر تعالى عنه فيقول : { ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير } بل يجادل بالجهل وما أقبح جدال الجهل والجهَّال ويجادل في الله عز وجل يا للعجب أفيريد ان يثبت لله تعالى الولد والبنت والعجز والشركاء والشفعاء ، ولا علم من وحي عنده ، ولا من كتاب إلهي موحى به إلى أحد أنبيائه . وقوله تعالى : { ثاني عطفه } وصف له في حال مشيه وهو يجر رداءه مصعراً خده مائلا إلى أحد جنبيه كبراً وغروراً ، وجداله لا لطلب الهدى أو لمجرد حب الإنتصار للنفس بل ليضل غيره عن سبيل الله تعالى الذي هو الإسلام حتى لا يدخلوا فيه فيكملوا ويسعدوا عليه في لحياتين . وقوله تعالى : { له في الدنيا خزى } أي ذل وهوان وقد ناله حيث قتل في بدر شر قتلة فقد احتز رأسه وفُصل عن جثته ونال منه الذين كان يسخر منهم ويعذبهم من ضعفة المؤمنين ، وقوله تعالى : { ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق } وقد أذاقه ذلك بمجرد أن قتل فروحه في النار ويوم القيامة يدخلها بجسمه وروحه وقوله تعالى : { وذلك بما قدمت يداك } أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والهوان وعذاب الحريق بما قدمت يداك من الشرك والظلم والمعاصي ، { وأن الله ليس بظلام للعبيد } ، وأنت منهم والله ما ظلمك بل ظلمت نفسك ، والله متنزه عن الظلم لكمال قدرته وغناه وقوله تعالى : { ومن الناس من يعبد الله على حرف } أي على شك هذه شخصية ثالثة عطفت على سابقتيها وهي شخصية بعض الاعراب كانوا يدخلون في الإسلام لا عن علم واقتناع بل عن شك وطمع وهو معنى على حرف فإن أصابهم خير من مال وصحة وعافية اطمأنوا إلى الإسلام وسكنت نفوسهم واستمروا لعيه ، وإن أصابتهم فتنة أي اختبرا في نفس أو مال أو ولد انقلبوا على وجوههم أي ارتدوا عن الإسلام ورجعوا عنه فخسروا بذلك الدنيا والآخرة فلا الدنيا حصلوا عليها ولا الآخرة فازوا فيها ، قال تعالى : { ذلك هو الخسران المبين } أي البين الواضح إذ لو بقوا على الإسلام لفازوا بالآخرة ، ولأخلف الله عليهم ما فقدوه من مال أو نفس ، وقوله تعالى { يدعو من دون الله } أي ذلك المنقلب على وجهه المرتد يدعوا { مالا يضره } أي صنماً لا يضره لو ترك عبادته { وما لا ينفعه } إن عبده وقوله تعالى : { ذلك هو الضلال البعيد } أي دعاء وعبادة مالا يضر ولا ينفع ضلال عن الهدى والخير والنجاح والربح وبعيدٌ أيضاً قد لا يرجع صاحبه ولا يهتدي .

(496/2)

وقوله : { يدعو لمن ضره أقرب من نفعه } أي يدعو ذلك المرتد عن التوحيد إلى الشرك من ضره يوم القيامة أقرب من نفقعه فقد يتبرأ منه ويحشر معه في جهنم ليكونا معاً وقوداً لها ، قال تعالى : { لبئس المولى ولبئس العشير } المعاشر والصاحب الملازم فذم تعالى وقبح ما كان المشركون يؤملون فيهم ويرجون شفاعتهم يوم القيامة ، تنفيراً لهم من الشرك وعبادة غير سبحانه وتعالى .

هداية الآيات

من هداية الآياة :

1- قبح جدال الجاهل فيام ليس له به علم .

2- ذم الكبر والخيلاء وسواء من كافر أو من مؤمن .

3- عدم اجدوى عِبَادةٍ صاحبُها شاك في نفعها غير مؤمن بوجوبها ومشروعيتها .

4- لا يصح دين مع الشك .

5- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين .

(497/2)

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (14) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)

شرح الكلمات :

{ وعملوا الصالحات } : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير .

{ يفعل ما يريد } : من إكرام المطيع وإهانة العاصي وغير ذلك ممن رحمة المؤمن وعذاب الكافر .

{ أن لن ينصره الله } : أي محمداً صلى الله عليه وسلم .

{ فليمدد بسبب } : أي بحبل .

{ إلى السماء } : اي سقف بينه وليختنق غيظاً .

{ هل يذهبن كيده } : أي في عدم نصرة النبي صلى الله عليه وسلم الذى يغيظه .

{ وكذلك أنزلناه } : أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن .

{ هادوا } : أي اليهود .

{ والصابئين } : فرقة من النصارى .

{ والمجوس } : عبدة النار والكواكب .

{ على كل شيء شهيد } : أي عالم به حافظ له .

معنى الآيات : بعدما ذكر تعال جزاء الكافرين والمترددين بين الكفر والإيمان أخبر أنه تعالى يدخل الذين آمنوا به وبرسوله ولقاء ربهم ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض التي افترضها الله عليهم والنوافل التي رغبهم فيها يدخلهم جزاء لهم على إيمانهم وصالح أعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقوله تعالى : { إن الله يفعل ما يريد } ومن ذلك تعذيبه من كفر به وعصاه ورحمة من آمن به وأطاعةه وقوله تعالى : { من كان يظن أن لن ينصره الله } أي من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه وعباده المؤمنين فلذا هو يتردد ولم يؤمن ولم ينخرط في سلك المسلمين كبني أسد وغطفان فإنا نرشده إلي ما يذهب عنه غيظه حيث يسوءه نصر الله تعالى لرسوله وكتابه ودينه وعباده المؤمنين وهو أن يأتي بحبل وليربطه بخشبة في سقف بيته ويشده على عنقه ثم ليقطع الحبلن وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل

كيده هذا يذهب عنه الذي يغيظه؟

وقوله تعالى : { وكذلك أنزلناه آيات بينات } أي ومثل ذلك الإنزال للآيات التي تقدمت في بيان قدرة الله وعلمه في الخلق وإحياء الأرض وإعادة الحياة بعد الفناء أنزلنا القرآن آيات واضحات تحمل الهدى والخير لمن آمن بها وعمل بما فيها من شرائع وأحكام وقوله تعالى : { وإن الله يهدي من يريد } أي هدايته بأن يوفقه للنظر والتفكر فيعرف الحق فيطلبه ويأخذ به عقيدة وقولاً وعملاً .

وقوله تعالى : { إن الذين آمنوا } وهم المسلمون { والذين هادوا } وهم اليهود { والصابئين } وهم فرقة من النصارى يقرأون الزبور ويعبدون الكواكب { والنصارى } وهم عبدة الصليب { والمجوس } وهم عبدة النار والكواكب { والذين أشركوا } وهم عبدة الأوثان هؤلاء جميعا سيحكم الله بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل أهل تلك الملل الباطلة النار هذا هو الفصل الحق فالأديان ستة دين واحد للرحمن وخمسة للشيطان فأهل دين الرحمن يدخلهم في رحمته ، وأهل دين الشيطان يدخلهم النار مع الشيطان وقوله : { إن الله على كل شيء شهيد } أي علامل بكل شيء لا يخفى عليه شيء وسيجزى كل عامل بما عمل ، ولا يهلك على الله إلا هالك فقد أنزل كتابه وبعث رسوله ورغب ورهب وواعد وأوعد والناس يختارون ما قدر لهم أو عليهم وسبحان الله العظيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- كل الأديان هي من وحي الشيطان وأهلها خاسرون إلا الإسلام فهو دين الله الحق وأهله هم الفائزون ، أهله هم القائمون عليه عقيدة وعبادة وحكماً وقضاء .

2- ان الله ناصر دينه ، ومكرم أهله ، ومن غاظه ذلك ولم يرضه فليختنق .

3- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

4- تقرير إرادة الله ومشيئته فهو تعالى يفعل ما يشاء ويهدي من يريد .

(498/2)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)

شرح الكلمات :

{ ألم تر } : أي ألم تر بقلبك فتعلم .

{ يسجد له } : أي يخضع ويذل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى .

{ من في السموات } : من الملائكة .

{ والدواب } : من سائر الحيوانات التي تدب على الأرض .

{ حق عليه العذاب } : وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به .

{ ومن يهن الله } : أي يُشقِهِ في عذاب مهين .

{ فماله من مكرم } : أي ليس له من مركم أي مسعد ليسعده ، وقد أشقاه الله .

معنى الآية الكريمة :

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم { ألم تر } أيها الرسول بقلبك فتلعم { أن الله يسجد له من في السموات } من الملائكة { ومن في الأرض } من الجن والدواب { والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس } وهم المؤمنون المطيعون وكثير أي من الناس حق عليهم العذاب اي وجب لهم العذاب وثبت ، فهو لا يسجد سجوده عبادة وقربة لنا أما سجود الخضوع فظلالهم تسجِد لنا بالصباح والمساء ، وقوله تعالى : { ومن يهن الله فماله من مكرم } أي ومن أراد الله إشقاءه وعذابه فما له من مركم يكرمه برَفْع العذاب عنه واسعاده في دار السعادة وقوله : { إن الله يفعل ما يشاء } فمن شاء أهانه ومن شاء أكرمه فالخق خلقه وهو المتصرف فيهم مطلق التصرف فمن شاء أعزه ، ومن شاء أذله فعلى عباده أن يرجعوا إليه بالتوبة بائلين رحمته مشفقين من عذابه فهذا أنجى لهم من عذابه وأقرب الى رحمته .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

1- تقرير ربوبية الله وألوهيته .

2- سجود المخلوقات بحسب ذواتها ، وما أراد الله تعالى منها .

3- كل شيء خاضع لله إلا الإنسان فاكثر افراده عصاة له متمردون عليه وبذلك استوجبوا العذاب المهين .

4- التالي لهذه الآية والمستمع لتلاوته يسن لهم أن يسجدوا لله تعالى إذا بلغوا قوله تعالى : { إن الله يفعل ما يشاء } .

(499/2)

هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (24)

شرح الكلمات

{ خصمان } : خصم مؤمن وخصم كافر كل واحد يريد أن يخصم صاحبه .

{ اختصموا في ربهم } : أي في دينه .

{ قطعت لهم ثياب } : أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم .

{ يصهر به ما في بطونهم } : أي يذاب بالحميم وهوالماء الحار من شحوم وغيرها .

{ مقامع من حديد } : جمع مقمعة وهي آلة من حديد كالمجن .

{ وذوقوا عذاب الحريق } : أي يقال لهم توبيخاً وتقريعاً : ذوقوا عذاب النار .

{ ولؤلؤا } : أي أساروا من لؤلؤ محلاة بالذهب .

{ إلى الطيب من القول } : هو الإشهاد أن لا إله إلا الله .

{ إلى صراط الحميد } : أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل الى رضاه وجنته .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { هذان خصمان } الخصم الأول المسلمون والثاني أهل الشرك والكفر { اختصموا في ربهم } أي في دينه تعالى كل خصم يدعي أنه على الدين الحق ، وماتوا على ذلك وفصل الله تعالى بينهم يوم القيامة { فالذين كفروا } وهم أهل الدين الباطل ادخلوا النار وفصلت لهم ثياب من نار { يصب من فوق رؤوسهم الحميم } أي الماء الحار المنتهي في الحراة ، { يصهر به ما في بطونهم والجلود } من لحم وشحم ، { ولهم مقامع من حديد } يضربون بها و { كلما أرادوا أن يخرجوا منها } أي من النار بسبب ما ينالهم من غم عظيم { أعيدوها فيها } أي تجبرهم الزبانية على العودة إليها ولم تمكنهم من الخروج منها ، ويقولون لهم : { وذوقوا عذاب الحريق } أي لا تخرجوا منها وذوقوا عذاب الحريق . فهذا جزاء الخصم الكافر ، وأما الخصم المؤمن فهذا جزاؤه وهو في قوله تعالى : { إن الله أساور من ذهب ولؤلؤا } أي أإور من لؤلؤ محلاة بالذهب { ولباسهم فيه } أي في الجنة { حرير } وقوله تعالى : { وهدوا إلى الطيب من القول } في الدنيا وهو لا إله إلا الله وسائر الأذكار والتسابيح وكل كلام طيب ، { وهدوا إلى صراط الحميد } وهذا الطريق الموصل إلى رضا ربهم وهو الإسلام ، وكل ذلك بتوفيق ربهم الذي آمنوا له وبرسوله وأطاعوه بفعل محابه وترك مساخطه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إثبات حقيقة هي أن المؤمن خصم الكافر والكافر خصم المؤمن في كل زمان ومكان حيث إنّ الآية نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث هذا الخصم المؤمن ، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وهذا الخصم الكافر وذلك أنهم تقاتلوا يوم بدر بالمبارزة ونصر الله الخصم المؤمن على الكافر .

2- بيان جزاء كل من الكافرين والمؤمنين في الدار الآخرة .

3- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الآخرة وما للناس فيها .

4- بيان الطيب من القول وهو كلمة التوحيد وذكر الله تعالى .

5- بيان صراط الحميد وهو الإسلام جعلنا الله من أهله .

(500/2)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (25)

شرح الكلمات :

{ كفروا } : جحدوا توحيد الله وكذَّبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم .

{ ويصدون عن سبيل الله } : يمنعون الناس من الإسلام ، ويصرفونهم عنه .

{ والمسجد الحرام } : مكة المكرمة والمسجد الحرام ضمنها .

{ العاكف } : المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام .

{ والباد } : الطارىء عن مكة النازح إليها .

{ بإلحاد بظلم } : أي إلحاداً أي ميلاً عن الحق مُلتبساً بظلم لنفسه أو لغيره .

معنىلآية الكريمة : قوله تعالى : { إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله } هذه الآية الكريمة تحمل تهديداً ووعيداً شديداً لكل م نكفر بتوحيد الله وكذب رسوله وما جاء به من الهدى والدين الحق وصدَّ عن سبيل الله أي صرف الناس عن الدخول في الإسلام ، وعن دخول المسجد الحرام للطواف بالبيت والإقامة بمكة للتعبد في المسجد الحرام والآية وإن تناولت المشركين الذين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن دخول مكة عام الحديبية فإنها عامة في كل من كفر وصدَّ إلى يوم القيامة وقوله تعالى : { الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادِ } هو وصف للمسجد الحرام إذ جعله الله تعالى موضع تنسُك لكل من أتاه وأقام به أو يأتيه للعبادة ثم يخرج منه ، فالعاكف أي المقيم فيه كالبادي الطارىء القدوم إليه هم سواء في حق الإقامة في مكة والمسجد الحرام للتعبد .

وقوله تعالى : { ومن يرد فيه بإلحاد بظلم } أي يرد بمعنى يعتزم الميل عن الحق فيه بظلم يرتكبه كالشرك وسائر الذنوب والمعاصي القاصرة على الفاعل أو المتعدية إلى غيره . وقوله تعالى : { نذقه من عذاب أليم } هذا جزاء من كفر وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام ومن أراد فيه إلحاداً بظلم لنفسه أو لغيره .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

1- التنديد بالكفر والصدَّ عن سبيل الله والمسجد الحرام والظلم فيه والوعيد الشديد لفاعل ذلك .

2- مكة بلد الله وحرمه من حق كل مسلم أن يقيم بها للتعبد والتنسك ما لم يظلم وينتهك حرمة الحرم بالذنوب والمعاصي ، وخاصة الشرك والظلم والضلال .

3- عظيم شأن الحرم حيث يؤاخذ فيه على مجرد العزم على الفعل ولو لم يفعل .

(1/3)

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)

شرح الكلمات

{ وإذ بوأنا لإبراهيم } : أي أذكر يا رسولنا إذ بوأنا : أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين له مكان البيت .

{ أن لا تشرك بي شيئاً } : أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئاً من الشرك والشركاء .

{ وطهر بيتي } : ونظف بيتي من أقذار الشرك وأنجاس المشركين .

{ وأذن في الناس بالحج } : أعلن في الناس بأعلى صوتك .

{ رجالاً وعلى كل ضامر } : مشاة وركباناً على ضوامر الإبل .

{ فج عميق } : طريق واسع بعيد الغور في قارات الأرض .

{ في أيام معلومات } : هي أيام التشريق .

{ بهيمة الأنعام } : أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدى إلا منها .

{ البائس الفقير } : أي الشديد الفقر .

{ ليقضوا تفثهم } : أي ليزيلوا أوساخهم المترتبة على مدة الإحرام .

{ وليوفوا نذورهم } : أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا .

معنى الآيات : قوله تعالى : { وإذ بوأنا لإبراهيم } أي اذكر يا رسولنا لقومك المنتسبين إلى ابراهيم باطلاً وزوراً حيث كان موحداً وهم مشركون اذكر لهم كيف بوأه ربُّه مكان اليبت لِيَبْنِيه ويرفع بناءه وكيف عهد الله إليه ووصاه بأن يطهره من الأقذار الحسية كالنجاسات من دماء وأوساخ والمعنوية كالشرك والمعاصي وسائر الذنوب وذلك من أجل الطائفين به والقائمين في الصلاة والراكعين والساجدين فيه إذ الرُّكع جمع راكع والسجد جمع ساجد حتى لا يتأذوا بأي أذى معنوي أو حسيّ وهم حول بيت ربهم وفي بلده وحرمه ، ليذكر قومك هذا وهم قد نصبوا حول البيت التماثيل والأصنام ، ويحاربون كل من يقول لا إله إلا الله وقد صدوك وأصحابك في المسجد الحرام ومنعوك من الطواف بالبيت العتيق ، فأين يذهب بعقولهم عندما يدعون أنهم على دين إبراهيم وإسماعيل . هذا ما دل عليه قوله تعالى : { وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود } .

وقوله تعالى { وأذن في الناس بالحج } أي وعهدنا إليه آمرين إياه أن يؤذن في الناس بأن ينادي معلنا معلماً : أيها الناس إن ربك قد بنى لكم بيتاً فحجوه ففعل ذلك فأسمع الله صوته من شاء ن عباده ممن كتب لهم أزلا أن يحُجوا وسهل طريقهم حجوا فعلاً ولله الحمد والمنة .

وقوله تعالى : { يأتوك رجالاً } أي عليك النداء وعلينا البلاغ فنادِ { يأتوك رجالاً } أي مشاة { وعلى كل ضامر } من النوق المهازيل { يأتين من كل فج عميق } أي طريق بعيد في أغوار الأرض وأبعادها كالأندلس غرباً وأندونيسيا شرقاً .

وقوله تعالى : { ليشهدوا منافع لهم } أي يأتوك ليشهدوا منافع لهم دينيَّة كمغفرة ذنوبهم واستجابة دعائهم والفوز برضا ربهم ، وتعلم دينهم من علمائهم ، ودينويّة كربح تجارة ببيع وشراء وعرض سلع وأنواع صناعات ، وقوله تعالى : { ويذكروا اسم الله } شاكرين لله تعالى إنعامه عليهم وإفضاله وذلك في أيام الحج كلها من العشر الأول من ذي الحجة إلى نهاية أيام التشريق بالصلاة والذكر والدعاء ، كما يذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند نحر الإبل وذبح البقر والغنم بأن يقول الناحر أو الذابح بسم الله والله أكبر وقوله تعالى : { فكلوا منها } أي من بهيمة الأنعام التي

نحرتموها أو ذبحتموها تقرباً إلينا كهدى التمتع أو التطوع ، { واطعموا البائس الفقير } وهو من اشتد به الفقر وقوله تعالى : { ثم ليقضوا تفثهم } بإزالة التسعث والوسخ الذي لازمهم طيلة مدة الإحرام .

(2/3)

وقوله : { وليوفوا نذورهم } أن من كان منهم قد نذر هدياً بذبحه في الحرم فليوف بذلك إذ هذا أوان الوفاء بما نذر أن ينحره أو يذبحه بالحرم . وقوله { وليطوفوا بالبيت العتيق } أي وليطوفوا طواف الإفاضة وهو ركن الحج ولا يصح الا بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة صباح العيد عيد الأضحى .

هداية الآيات

من هداية الآيات

1- وجوب بناء البيت وإعلائه كلما سقط وتهدم ووجوب تطهيره من كل ما يؤذي الطائفين والعاكفين في المسجد الحرام من الشرك والمعاصي وسائر الذنوب ومن الأقذار كالأبوال والدماء ونحوها .

2- مشروعية فتح مكاتب للدعاية للحج .

3- جواز الاتجار أثناء إقامته في الحج .

4- وجوب شكر الله تعالى ذكره .

5- جواز الأكل من الهدي ومن ذبائح التطوع بل استحبابه .

6- وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي حمة العقبة .

7- وجوب الوفاء بالنذور الشرعية أما النذور للأولياء فهي شرك ولايجوز الوفاء بها .

8- تقرير طواف الإفاضة وبيان زمنه وهو بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة .

(3/3)

ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (33)

شرح الكلمات

{ ذلك } : أي ألمر هذا مثل قول المتكلم هذا أي ما ذكرت . . وكذا وكذا . .

{ حرمات الله } : جمع حرمة ما حرَّم الله إنتهاكه من قول أو فعل .

{ فهو خير له عند ربه } : أي خير في الآخرة لمن يعظم حرمات الله فلا ينتهكها .

{ إلا ما يتلى عليكم } : أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلِ لغير الله به .

{ فاجتنبوا الرجس } : أي اجتنبوا عبادة الأوثان .

{ واجتنبوا قول الزور } : وهو الكذب وأعظم الكذب ما كان على الله تعالى والشرك وشهادة الزور .

{ حنفاء لله } : موحدين له مائلين عن كل دين إلى الإسلام .

{ خرَّ من السماء } : أي سقط .

{ فتخطفه الطير } : أي تأخذه بسرعة .

{ شعائر الله } : أعلام دينه وهي هنا البُدْن بأن تختار الحسنة السمينة منها .

{ فإنها منت تقوى القلوب } : أي تعظيمها ناشيء من تقوى قلوبهم .

{ لكم فيها منافع } : منها ركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وشرب لبنها .

{ إلى أجل مسمى } : أي وقت معين وهو نحرها بالحرم أيام التشريق .

{ ثم محلها إلى البيت } : أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرم العتيق .

معنى الآيات :

ما زال السياق في مناسك الحج قوله تعالى (ذلك) أي لمر ذاك الذي علمتم من قضاء التفث أي إزالة شعر الرأس وقص الشارب وقلم الأظافر ولباس الثياب ونحر وذبح الهدايا والضحايا ، { ومن يعظم } منكم { حرمات الله } فلا ينهكها { فهو خير له } أي ذلك التعظيم لها باحترامها وعدم انتهاكها خير له عند ربّه يوم يلقاه وقوله تعالى : { وأحلت لكم الأنعام } أي الإبل والقر والغعنم أحل الله تعالى لكم أكلها والانتفاع بها وقوله تعالى : { إلا ما يتلى عليكم } تحريمه كما جاء في سورة البقرة والمائدة والأنعام ، ومن ذلك قوله تعلى : { حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكَيَّتُمْ وما ذبح على النصب } وقوله : { فاجتنبوا الرجس من الأوثان } أي اجتنبوا عبادة الأوثان فإناه رجس فلا تقربوها بالعبادة ولا بغيرها غضبا لله وعدم رضاً بها وبعبادتها ، وقوله : { واجتنبوا قول الزور } وهو الكذب مطلقاً وشهادة الزور وأعظم الكذب ما كان على الله بوصفه بما هو منزه عنه أو بنسبه شيء إليه كالولد والشريك وهو عنه منزه ، أو وصفه بالعجز أو بأي نقص وقوله ، { حنفاء لله غير مشرِكين } أي موحدين لله تعالى في ذاته وصفاته وعباداته مائلين عن كل الأديان إلى دينه الإسلام ، غير مشركين به أي شيء من الشرك أو الشركاء وقوله تعالى : { ومن يشرك بالله } إلهاً آخر فعبده أو صرف له بعض العبادات التي هي لله تعالى فحاله في خسرانه وهلاكه هلاك من خرَّ من السماء أي سقط منها بعدما رفع إليها فتخطفه الطير أي تأخذه بسرعة وتمزقه أشلاء كما تفعل البازات والعقبان بصغار الطيور ، وتهوى به الريح في مكان سحيق بعيد فلا يعثر عليه أبداً فهو بين أمرين إما اختطاف الطير له أو هوى الريح به فهو خاسر هالك هذا شأن من يشرك بالله تعالى فيعبد معه غيره بعد أن كان في سماء الطهر والصفاء الروحي بسلامة فطرته وطيب نفسه فانتكس في حمأة الشرك والعياذ بالله وقوله تعالى : { ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب } أي الأمر ذلك من تعظيم حرمات الله واجتناب قول الزور والشرك وبيان خسران المشرك ومن يعظم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر المناسك وبخاصة البدن التي تهدى للحرم وتعظيمها باستحسانها واستسمانها ناشيء عن تقوى القلوب فمن عظمها طاعة لله تعالى وتقرباً إليه دل ذلك على تقوى قلبه لربه تعالى والرسول يشير الى صدره ويقول التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاث مرات وقوله تعالى : { لكم فيها

منافع إلى أجل مسمى } أي أذن الله تعالى للمؤمنين أن ينتفعوا بالهدايا وهم سائقوها إلى الحرم بأن يركبوها ويحملوا عليها ما لا يضرها ويشربوا من ألبانها وقوله تعالى : { ثم محلها إلى البيت العتيق } أي محلها عند البيت العتيق وهو الحرم حيث تنحر إن كان مما ينحر أو تذبح إن كان مما يذبح .

(4/3)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم .

2- تقرير حلِّيَّة بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم الله عند ذبحها أو نحرها .

3- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت شهادة الزور الشرك بالله .

4- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة .

5- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك .

6- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها .

7- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم .

(5/3)

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (35) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)

شرح الكلمات :

{ منسكاً } : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى ، ومكان الذبح يقال له منسك .

{ فله اسلموا } : أي انقادوا ظاهراً وباطنياً لأمره ونهيه .

{ وبشر المخبتين } : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين .

{ وجلت قلوبهم } : أي خافت من اله تعالى أن تكون قصَّرتْ في طاعته .

{ والبدن } : جمع بدنة وهو ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى الله تعالى .

{ من شعار الله } : أي من أعلام دينه ، ومظاهر عبادته .

{ صوآف } : جمع صافَّة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى .

{ فإذا وجبت جنوبها } : أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها .

{ القانع المعتمر } : القانع السائل والمعتر الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياء وعفة .

{ كذلك سخرناهم } : أي مثل هاذ التسخير سخرناهم لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا .

{ لعلكم تشكرون } : أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته .

{ لن ينال الله لحومها } : أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم ، ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه .

{ لتكبروا الله على : أي تقولون الله أكبر بعد الصوات الخمس أيام التشريق ما هداكم } شكراً له على هدايته اياكم .

{ وبشر المحسنين } : أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع .

معنى الآيات : ما زال السياق في توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين فقوله تعالى : { ولكل أمة جعلنا منسكاً } اي ولكل أمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان والإسلام جعلنا لهم مكان نسك يتعبدوننا فيه ومنسكاً أي ذبح قربان ليتقربوا به إلينا ، وقوله : { ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام } أي فمعبودكم أيها الناس معبود القربان لحكمة : وهو أن يذكروا اسمنا على ذبح ما يذبحون ونحر ما ينحرون بأن يقولوا بسم الله والله أكبر . وقوله تعالى : { فإلهكم إله واحد } أي فمعبودكم أيها الناس معبود واحد { فله أسلموا } وجوهكم وخصوه بعبادتكم ثم قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { وبشر المختبين } برضواننا ودخول دار كرامتنا ووصف المخبتين معرفاً بهم الذين تنالهم البشرى على لسان رسول الله فقال { الذين اذا ذكر الله } لهم أو بينهم { وجلت قلوبهم } أي خافت شعوراً بالتقصير في طاعته وعدم أداء شكره والغفلة عن ذكره { والصابرين على ما أصابهم } من البلاء فلا يجزعون ولا يتسخطون ولكن يقولون إنا لله وإنا إليه راجعون { والمقيمي } الصلاة أي بأدائها في أوقاتها في بيوت الله مع عباده المؤمنين ومع كامل شرائطها وأركانها وسننها { ومما رزقناهم ينفقون } مما قل أو كثيرينفقون في مرضاة ربهم شكراً لله على ما آتاهم وتسليماً بما شرع لهم وفرض عليهم .

وقوله تعالى : { والبدن جعلناها لكم من شعائر الله } أي الإبل والبقر مما يُهدى إلى الحرم جعلنا ذلك من شعائر ديننا ومظاهر عبادتنا ، { لكم فيها خير } عظيم وأجر كبير عند ربكم يوم تلقوه إذا ما تقرب متقرب يوم عيد الأضحى بأفضل من دم يهرقه في سبيل الله وعليه { فاذكروا اسم الله عليها } اي قولوا بسم الله والله أكبر عند نحرها ، وقوله : { صوآف } أي قائمة على ثلاثة معقولة اليد اليسرى ، فإذا نحرتموها ووجبت أي سقطت على جنوبها فوق الأرض ميتة { فكلوا منها وأطعموا القانع } الذي يسألكم { والمعتر } الذي يتعرض لكم ولا يسألكم حياءاً ، وقوله تعالى : { سخرناهم لكم } أي مثل ذلك التسخير الذي سخرناهم لكم فتركبوا وتحلبوا وتذبحوا وتأكلوا سخرناهم لكم من أجل أن تشكرونا بالطاعة والذكر .

(6/3)

وقوله تعالى في آخر آية في هذا السياق وهي (37) قوله : { لن ينال الله لحومها ولا دماؤها } أي لن يرفع إلأيه لحم ولا دم ولن يبلغ الرضا منه ، ولكن التقوى بالإخلاص وفعل الواجب والمندوب وترك الحرام والمكروه هذا الذي يرفع

إليه ويبلغ مبلغ الرضا منه .

وقوله تعالى : { كذلك سخرها لكم } أي كذلك التسخير الذي سخرها لكم لعلَّة أن تكبروا الله على ما هداكم إلأيه من الإيمان والإسلام فتكبروا الله عند نحر البدن وذبح الذبائح وعند أداء المناسك وعقب الصلوات الخمس أيام التشريق .

وقوله تعالى : { وبشر المحسنين } أمر الله تعالى رسوله والمبلغ عنه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يبشر باسمه المحسنين الذين أحسنوا الإيمان والإسلام فوحدوا الله وعبدوه بما شرع وعلى نحو ما شرع متبعين في ذلك هدى رسوله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

هداية الآيات

من هداية الآيات

1- ذبح القربان مشروع في سائر الأديان الإلهية وهو دليل على أنه لا غله إلا الله إذا وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع .

وسر مشروعية ذبح القربان هو أن يذكر الله تعالى ، ولذا وجب ذكر اسم الله عند ذبح ما يذبح ونحر ما ينحر بلفظ بسم الله والله أكبر .

2- تعريف المخبتين أهل البشارة السارة برضوان الله وجواره الكريم .

3- وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام .

4- بيان كيفية نحر البدن ، وحرمة الأخذ منها قبل موتها وخروج روحها .

5- الندب إلى الأكل من الهدايا ووجوب إطعام الفقراء والمساكين منها .

6- وجوب شكر الله على كل إنعام .

7- مشروعية التكبير عند أداء المناسك كرمي الجمار وذبح ما يذبح وبعد الصلوات الخمس ايام التشريق .

8- فضيلة الإحسان وفوز المحسنين ببشرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(7/3)

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)

شرح الكلمات

{ يدافع } : قُرِىء يدفع أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين .

{ خوان } : كثير الخيانة لأمانته وعهوده .

{ كفور } : أي جحود لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه .

{ بأنهم ظلموا } : أي بسبب ظلم المشركين لهم .

{ بغير حق } : أي بسبب ظلم المشركين لهم .

{ إلا أن يقولوا ربنا الله } : أي الا قولهم : ربنا الله والله احق ، وهل قول الحق يُسَرغ إخراج قائله؟

{ صوامع وبيع } : معابد الرهبان وكنائس النصارى .

{ وصلوات } : معابد اليهود ، باللغة العبرية مفردها صلوثا .

{ ومساجد } : أي بيوت الصلاة للمسلمين .

{ من ينصره } : أي ينصر دينه وعباده المؤمنين .

{ قوي عزيز } : قادر على ما يريد عزيز لا يمانع فيما يريد .

{ إن مكناهم في الأرض } : أي نصرناهم على عدوهم ومكنا لهم في البلاد بأن جعلنا السلطة بأيديهم .

{ ولله عاقبة الأمور } : أي آخر أمور الخلق مردها إلى الله تعالى الذي يثيب ويُعاقب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد المؤمنين وتعليمهم وهدايتهم قوله تعالى : { إن الله يدافع عن الذين آمنوا } أي يدفع عنهم غوائل المشركين ويحميهم من كيدهم ومكرهم . وقوله : { إن الله لا يجب كل خوَّان كفور } تعليل وهم المشركين الذين صدوا رسول الله والمؤمنين وبما جاء به ، ولما كان لا يحبهم فهو عليهم ، وليس لهم ، ومقابلة أنه يحب كل مؤمن صادق في إيمانه محافظ على أماناته وعهوده مطيع لربه ، ومن أحبَّهُ دافع عنه وحماه من أعدائه .

وقوله تعالى : { أُذن للذين يقاتلون } باسم للفاعل أي القادرين على القتال ويقاتلون باسم المفعول وهما قراءاتان أي قاتلهم المشركون هؤلاء أذِ الله تعالى لهم في قتال أعدائهم المشركين بعدما كانوا ممنوعين من ذلك لحكمة يعلمها ربهم ، وهذه أول آية في القرآن تحمل طابع الحرب بالإذن فيه للمؤمنين ، وقوله : { وإن الله على نصرهم لقدير } طمأنهم على أنه معهم بتأييده ونصره وهو القدير على ذلك وقوله تعالى : { الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق } أي بدون موجب إخراجهم اللهم إلا قولهم : ربنا الله وهذا حق وليس بموجب لإخراجهم من ديارهم وطردهم من منازلهم وبلادهم هذه الجملة بيان لمقتضى الإذن لهم بالقتال ، ونصرة الله تعالى لهم . وقوله تعالى : { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض } أي يدفع بأهل الحق أهل الباطل لولا هذا لتغلب أهل الباطل و { لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا } وهذا تعليل أيضاً وبيان لحكمة الأمر بالقتال أي لولا أن الله تعالى يدفع بأهل الإيمان أهل الكفر لتغلب أهل الكفر وهدموا المعابد ولم يسمحوا للمؤمنين أن يعبدوا الله – وفي شرح الكلمات بيان للمعابد المذكورة فليرجع اليها .

وقوله تعالى : { ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي } أي قدير { عزيز } غالب فمن أراد نصرته نَصَرهُ ولو اجتمع عليه من بأقطار الأرض ، والذي يريد الله نصرته هو الذي يقاتل من أجل الله بأن يُعبد في الأرض ولا يُعبد معه سواه فذلك وجه نصر الله فليعلم وقوله { الذين إن مكناهم } أي وطأنا لهم في الأرض وملكناهم بعد قهر أعدائهم المشركين فحكموا وسادوا أقاموا الصلاة على الوجه الملطوب منهم ، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالهم ، وأمروا بالمعروف أي بالإسلام والدخول فيها وإقامته ، ونهوا عن المنكر وهو الشرك والكفر ومعاصِي الله ورسوله هؤلاء الأحقون بنصر الله تعالى لهم لأنهم يقاتلون لنصرة الله عز وجل ، وقوله تعالى : { ولله عاقبة الأمور } يخبر تعالى بأن مرد كل أمر إليه تعالى

يحكم فيه بما هو الحق والعدل فيثيب على العمل الصالح ويعاقب على العمل الفاسد ، وذلك يوم القيامة ، وعليه فليراقب الله وليُتق في السر والعلن وليُتوكل عليه ، وليُنب إليه ، فإن مرد كل أمر إليه .

(8/3)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وعد الله الصادق بالدفاع عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم .

2- كره الله تعالى لأهل الكفر والخيانة .

3- مشروعية القتال لإعلاء كلمة الله بأن يعبد وحده ولا يضطهد أولياؤه .

4- بيان سر الإذن بالجهاد ونصرة الله لأوليائه الذين يقاتلون من أجله .

5- بيان أسس الدولة التي ورثَ الله أهلها البلاد وملكهم فيها وهي :

إقام الصلاة - إيتاء الزكاة - الأمر بالمعروف - النهي عن المنكر .

(9/3)

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (44) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)

شرح الكلمات

{ وإن يكذبوك } : أي إن يكذبك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح إذاً فلا تأس إذا لست وحدك المكذب .

{ وأصحاب مدين } : هم قوم شعيب لعيه السلام .

{ وكذب موسى } : أي كذبة فرعون وآله الأقباط .

{ فأمليت للكافرين } : أي أملهتهم فلم أُعجل العقوبة لهم .

{ ثم أخذتهم } : أي بالعذاب المستأصل لهم .

{ فكيف كان نكير } : أي كيف كان إنكاري عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعاً موقعه؟ نعم إذ الإستفهام للتقرير .

{ فهي خاوية على : أي ساقطة على سقوفها .

عروشها } { بئر معطلة } : أي متروكة لا يستخر منها ماء لموت أهلها .

{ وقصر مشيد } : مرتفع مجصص بالجص .

{ فإنها لا تعمى } : أي فانها أي القصة لا تعمى الأبصار فإن الخلل ليس في { الأبصار } : أبصارهم ولكن في قلوبهم حيث أعماها الهوى وأفسدتها الشهوة والتقليد لأهل الجهل والضلال .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد وإن تخللته إرشادات للمؤمنين فإنه لما أَذِن للمؤمنين بقتال المشركين بين مقتضيات هذا الإذن وضمن النصرة لهم وأعلم أن عاقبة الأمور إليه لا إلى غيره وسوف يقضي بالحق والعدل بين عباده يوم يلقونه . قال لرسوله صلى الله عيله وسلم مسلياً عن تكذيب المشركين له : { وإن يكذبوك } أيها الرسول فيما جئت به نم التويحد والرسالة والبعث والجزاء يوم القيامة فلا تأس ولا تحزن { فقد كذبت قبلهم } أي قبل مُكَذِّبيك من قريش والعرب واليهود { قوم نوح وعاد } قوم هود { وثمود } قوم صالح { وقوم إبراهيم وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وكُذِّب موسى } أيضاً مع ما آتيناه من الآيات البينات ، وكانت سنتي فيهم أني أمليت ألهم أي مددت لهم في الزمن وأرخيت لهم الرسن حتى إذا بلغوا غاية الكفر والعناد والظلم والاستبداد وحقت عليهم كلمة العذاب أخذتهم أخذ العزيز المقتدر { فكيف كان نكير } ، أي انكاري عليهم؟ كان وربّك واقعاً موقعه ، وليس المذكورون أخذت فقط . . { فكأين من قرية } عظيمة غانية برجالها ومالها وسلطانها { أهلكناها وهي ظالمة } أي ضالغة في الظلم أي الشرك والتكذيب { فهي خاوية على عروشها } أي ساقطة على سقوفها ، وكم من بئر ماء عذب كانت سقيا لهم في الآن معطلة ، وكم من قصر مشيد أي رفيع مشيد بِالجص إذ مات أهله وتركوه هذا ما تضمنته الآيات الأربع (42 ، 43 ، 44 ، 45) أما الآية الأخيرة من هذا السياق فالحق عز وجل يقول { أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها } حاثاً المكذبين من كفار قريش ولاعرب على السير في البلاد ليقفوا على آثار الهالكين فلعل ذلك يكسبهم حياة جديدة في تفكيرهم ونظرهم فتكون له قلوب حية واعية يعقلون بها خطابنا إليهم نحن ندعوهم إلى نجاتهم وسعادتهم أو تكون لهم آذان يسمعون بها نداء النصح ولاخير الذي نوجهه إليهم بواسطة كتابنا ورسولنا ، وما لهم من عيون مبصرة بدون قلوب واعية وآذان صاغية فإن ذلك غير نافع { فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } وهذا حاصل القول ألا فليسيروا لعلهم يسكبون عبراً وعظات تحيي قلوبهم وسائر حواسهم المتبلدة .

(10/3)

هداية الآيات

من هداية الآيات

1- تكذيب الرسل والدعاة إلى الحق والخير سنة مطردة في البشر لها عواملها من أبرزها التقليد والمحافظة على المنافع المادية ، وظلمات القلب النائشة عن الشرك والمعاصي .

2- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك الأمم والشعوب الظالمة بعد الإمهال والإعذار .

3- مشروعية طلب العبر وتصيدها من ثار الهالكين .

4- العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد . ومن هنا

كان المفروض على العبد أن يحافظ على بصيرته أكثر من المحافظة على عبينيه ، وذلك بأن يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات ، والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله .

(11/3)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (48) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (49) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (50) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (51)

شرح الكلمات :

{ يستعجلونك بالعذاب } : أي يطالبونك مستعجلينك بما حذّرتهم منه من عذاب الله .

{ كألف سنة مما تعدون } : أي من أيام الدنيا ذات الأرشع والعشرين ساعة .

{ وكأين من قرية } : أي وكثير من القرى أي العواصم والحواضر الجاخعة لكل أسباب الحضارة .

{ أمليت لها } : أي أملهتها فمدَّدت أيام حياتها ولم استعجلها بالعذاب .

{ نذير مبين } : منذر أي مخوِّف عاقبة الكفر والظلم بيِّنُ النذارة .

{ لهم مغفرة ورزق كريم } : أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة .

{ سمعوا في آياتنا معاجزين } : أي عملوا بجد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا وما تحمله من دعوة إلى التوحيد وترك الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في إرشاد الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهه في دعوته إلى الصبر والتحمل فيقول له : { ويستعجلونك بالعذاب } أي يستعجلك المشركون من قومك بالعذاب الذي خوفتهم به وحذرتهم منه ، { ولن يخلف الله وعده } وقد وعدهم فهو واقع بهم لا بد وقد تم ذلك في بدر وقوله تعالى : { وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون } فلذا تعالى لا يستعجل وهم يستعجلون فيوم الله بألف سنة ، وأيامهم بأربع وعشرين ساعة فإذا حدد تعالى لعذابهم يوماً معناه أن العذاب لا ينزل بهم إلا بعد ألف سنة ، ونصف يوم بخمسمائة سنة ، وربع يوم بمائتين وخمسين سنة وهكذا فلذا يستعجل الإنسان ويستبطيء ، والله عز وجل ينجز وعده يف الوقت الذي حدده فلا يستخفه استعجال المجرمين العذاب ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : { ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب } من سورة العنكبوت هذا ما دلت عليه الآية الأولى (47) وقوله تعالى : { وكأين من قرية } أي مدينة كبرى { أمليت لها } أي أملهتها وزدت لها في أيام بقائها والحال أنها ظالمة بالشرك والمعاصي ثم بعد ذلك الإملاء والإمهال وأخذتها { وإليّ المصير } أي مصير كل شيء ومرده إلي فلا إله غيري ولا رب سواي فلا معنى لإستعجال هؤلاء المشركين العذاب فإنهم عذبوا في الدنيا أو لم يعذبوا فإن مصيرهم إلى الله تعالى وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون الجزاء العادل في دار الشقاء والعذاب الأبدي وقوله تعالى : { قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين } ، فلست بإله ولا رب بيدي عذابكم إن عصيتموني وإنعامكم

إن أطعتموني ، وإنما أنا عبد مأمور بأن أنذر عصاة الرب بعذابه ، وابشر أهل طاعته برحمته ، وهو معنى الآية (50) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازِمه أنهم تركوا الشرك والمعاصي لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم عند ربهم وهو الجنة دار النعيم { والذين سعوا ي آياتنا معاجزين } أي عملوا جادين مسرعين في صرف الناس عن آيات الله حتى لا يؤمنوا بها ويعملوا بما فيها من هدى ونور معاجزين لله يظنون أنهم يعجزونه والله غالب على أمره ناصر دينه وأوليائه ، أولئك البعداء في الشر والشرك أصحاب الجحيم الملازمون لها أبد الآبدين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- العجلة من طبع الإنسان ولكن استعجال الله ورسوله بالعذاب حمق وطيش وضلال وكفر .

2- ما عند الله في الملكوت الأعلى يختلف تماماً عما في هذا الملكوت السفلي .

3- عاقبة الظلم وخيمة وفي الخبر الظلم يترك الديار بلاقع أي خراباً خالية .

4- بيان مهمة الرسل وهي البلاغ مع الإنذار والتبشير ليس غير .

5- بيان مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة .

(12/3)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (55) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (57)

شرح الكلمات :

{ من رسول ولا نبي } : ألرسول ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بابلاغه والنبي مقرر لشرع من قبله .

{ تمنى في أمنيته } : أي قرأ في أمنيته ، أي في قراءته .

{ ثم يُحكم الله آياته } : أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة بحُكم الله آياته أي يثبتها .

{ فتنة الذين في قلوبهم مرض } : أي اختباراً للذين في قلوبهم مرض الشرك والشك .

{ والقاسية قلوبهم } : هم المشركون .

{ فتخبت له قلوبهم } : أي تتطامن وتخشع له قلوبهم .

{ في مرية منه } : أي في شك منه وريب من القرآن .

{ عذاب يوم عقيم } : هو عذاب يوم بدر إذ كان يوماً عقيماً لا خير فيه .

{ في جنات النعيم } : أي جنات ذات نعيم لا يبلغ الوصف مداه .

{ فلهم عذاب مهين } : أي يهان فيه صاحبه فهو عذاب جثماني نفساني .

معنى الآيات : بعد التسلية الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم التي تضمنها قوله تعالى : { وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح . . الخ } ذكر تعالى تسلية ثانية وهي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ حول الكعبة في صلاته سورة النجم والمشركون حول الكعبة يسمعون فلما بلغ قوله تعالى : { أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى } ألقى الشيطان في مسامع المشركين الكلمات التالية : « تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهم لترتجى » ففرج المشركون بما سمعوا ظناً منهم أن يقدر على السجود فأخذ حيثة من تراب وسجد عليها وشاع أن محمداً قد اصطلح مع قومه حتى رجع المهاجرون من الحبشة فكرب لذلك رسول الله وحزن فأنزل الله تعالى هذه الآية تسلية له فقال : { وما أرسلنا من قبلك من رسول } ذي رسالة يبلغها ولا نبيّ مقرر لرسالة نبي قبله { إلا إذا تمنى } أي قرأ { ألقى للشيطان في أمنيته } أي في قراءته { فينسخ الله } أي يزيل ويبطل { ما يلقي الشيطان } من كلمات في قلوب الكافرين أوليائه { ثم يُحكم الله آياته } بعد إزالة ما قاله الشيطان فيثبتها فلا تقبل زيادة ولا نقصانا ، والله عليم بخلقه وأحوالهم وأعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك حكيم في تدبيره وشرعه هذه سنته تعالى في رسله وأنبيائه ، فلا تأس يا رسول الله ولا تحزن ثم بين تعالى الحكمة في هذه السنة فقالك : { ليجعل ما يلقى للشياطين } أي من كلمات في قراءة النبي أو الرسول { فتنة للذين في قلوبهم مرض } الشك والنفاق { والقاسية قلوبهم } وهم المشركون ومعنى فتنة هنا محنة يزدادون بها ضلالاً على ضلالهم وبُعداً عن الحق فوق بعدهم إذ ما يلقى الشيطان في قلوب أوليائه إلا للفتنة أي زيادة في الكفر والضلال .

وقوله تعالى : { وإن الظالمين لفي شقاق بعيد } هو إخبار منه تعالى عن حال المشركين بأنهم في خلاف لله ورسوله ، بعيدون فميا يعتقدونه وما يعملونه وما يقولونه ، وما يتصورونه مخالف تمام المخالفة لما يأمر تعالى به ويدعوهم إليه من الاعتقاد والقول والعمل والتصور والإدراك .

(13/3)

وقوله تعالى : { وليعلم الذين أُوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم } هذا جزء العلة التي تضمنتها سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي فالجزء الأول تضمنه قوله تعالى : { ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم } وهذا هو الجزء الثاني أي { وليعلم الذين أوتوا العلم } بالله وآياته وتدبيره { أنه الحق من ربك } أي ذلك الإلقاء والنسخ وإحكام الآيات بعده { فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم } أي تطمئن وتسكن عنده وتخشع فيزدادون هدى . وقوله تعالى : { وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم } هذا إخبار منه تعالى عن فعله مع أوليائه المؤمنين به المتقين له وأنه هعاديهم في حياتهم وفي كل أحوالهم إلى صراط مستقيم يفضي بهم إلى رضاه وجنته ، وذلك بحمايتهم من الشيطان وتوفيقهم وإعانتهم على طاعة الرحمن سبحانه وتعالى . وقوله تعالى : { ولا يزال الذين كفروا في مرية منه } أي من القرآن هل هو كلام الله هل هو حق هل اتباعه نافع وتستمر هذه المرية والشك بأولئك القساة القلوب أصحاب الشقاق البعيد { حتى تأتيهم الساعة بغتة } أي فجأة وهي القيامة { أو يأتيهم عذاب يوم عقيم } أي لا خير فيه لهم وهو يوم بدر وقد تم لهم ذلك وعندها زالت ريبتهم وعلموا أنه الحق حيث لا ينفع العلم

.

وقوله تعالى : { الملك يومئذ لله } أي يوم تأتي الساعة يتمحض الملك لله وحده فلا يملك معه أحد فهو الحاكم العدل الحق يحكم بين عباده بما ذكر في الآية وهو أن الذين آمنوا به وبرسوله وبما جاء به وعملوا الصالحات من فرائض ونوافل بعد تخليهم عن الشرك والعاصي يدخلهم جنات النعيم ، والذين كفروا به وبرسوله وبما جاء به ، وكذبوا بآيات الله المتضمنة شرائعه وبيان طاعاته فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعملوا العكس وهون السيئات فأولئك البعداء في الحطة والخسة لهم عذاب مهين يكسر أنوفهم ذلة لهم ومهانة لأنفسهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي للفتنة .

2- بيان أن الفتنة يهلك فيها مرضى القلوب وقساتها ، ويخرج منها المؤمنون أكثر يقيناً وأعظم هدىً .

3- بيان حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة بإكرام أهل الإيمان والتقوى وإهانة أهل الشرك والمعاصي .

4- ظهور مصداق ما أخبر به تعالى عن مجرمي قريش فقد استمروا على ريبهم حتى هلكوا في بدر .

(14/3)

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (58) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (59) ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (60) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (61) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62)

شرح الكلمات :

{ والذين هاجروا } : أي هجروا ديار الكفر وذهبوا الى دار الإيمان المدينة المنورة .

{ في سبيل الله } : أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله وينصروا دينه وأولياءه .

{ ليرزقهم رزقاً حسناً } : أي في الجنة إذ أرواحهم ي حواصل طير خضر ترعى في الجنة .

{ ليدخلنهم مدخلا يرضونه } : أي الجنة يوم القيامة .

{ ذلك } : أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه .

{ ثم بغى عليه } : أي ظُلم بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به .

{ يولج الليل في النهار } : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس بحسب فصول السنة كما أنه يومياً يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل .

{ بأن الله هو الحق } : أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه .

{ من دونه } : أي من أصنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان حكم الله تعالى بين عباده فذكر تعالى ما حكم به لأهل الإيمان والعمل الصالح وما حكم به لأهل الكفر والتكذيب ، وذكر هنا ما حكم به لأهل الهجرة والجهاد فقال عز وجل : { والذين هاجروا في سبيل الله } أي خرجوا من ديارهم لأجل طاعة الله ونصرة دينه { ثم قتلوا } من قِبلِ أعداء الله المشركين { أو ماتوا } حتف أنوفهم بدون قتل { ليرزقنهم الله رزقاً حسناً } في الجنة إذا أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش { ليدخلنهم } يوم القيامة { مدخلاً يرضونه } وهو الجنة ، وقوله تعالى : { وإن الله لهو خير الرازقين } أي لخير من يرزق فما رزقهم به هو خير زرق وأطيبه وأوسعه . وقوله : { وإن الله لعليم حليم } عليم بعباده وبأعمالهم الظاهرة والباطنة حليم يعفو ويصفح عن بعض زلات عباده المؤمنين فيغفرها ويسترها عليهم إذ لا يخلو العبد من ذنب الا من عصمهم الله من أنبيائه ورسله .

وقوله تعالى : { ذلك ومن عاقب } أي الأمر ذلك الذي بينت لكم ، { ومن عاقب بمثل ما عوقب به } أي ومن أخذ من ظالمه بقدرما أخذ منه قصاصاً ، ثم المعاقب ظلم بعد ذلك من عاقبة فإن المظلوم أولاً وآخراً تعهد الله تعالى بنصره ، وقوله : { إن الله لعفو غفور } فيه إشارة إلى ترغيب المؤمن في العفو عن أخيه إذا ظلمه فإن العفو خير من المعاقبة وهذا كقوله تعالى { وجزاء سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيلهم } وقوله : { ذلك بأن الله يولج الليل والنهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير } أي أن القادر على ادخال الليل في النهار والنهار في الليل بحيث إذ جاء أحدهما غاب الآخر ، وإذا قصر أحدهما طال الآخر والسميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم قادر على نصرة من بُغي عليه من أوليائه ، وقوله تعالى : { ذلك بأن الله هو الحق } أي المعبود الحق المستحق للعبادة ، وإن ما يدعون من دونه من أصنام وأوثان هو الباطل أي ذلك المذكور من قدرة الله وعلمه ونصرة أوليائه كان لأن الله هو الإله الحق وأن ما يعبدون من دونه من آلهة هو الباطل ، وأن الله هو العلى على خلقه القاهر لهم عليهم الكبير العظيم الذي ليس شيء أعظم منه .

(15/3)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان فضل الهجرة في سبيل الله حتى إنها تعدل الجهاد في سبيل الله .

2- جواز المعاقبة بشرط المماثلة ، والعفو أولى من المعاقبة .

3- بيان مظاهر الربوبية من العلم والقدرة الموجبة لعبادة الله تعالى وحده وبطلان عبادة غيره .

4- إثبات صفات الله تعالى : العلم والحلم والمغفرة والسمع والبصر والعفو والعلو على الخلق والعظمة الموجبة لعبادته وترك عباده من سواه .

(16/3)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66)

شرح الكلمات

{ ألم تر } : أي ألم تعلم .

{ مخضرة } : أي بالعشب والكلأ والنبات .

{ الغني الحميد } : الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسمائه .

{ سخر لكم ما في الأرض } : أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به .

{ أحياكم } : أي أوجدكم أحياء بعدما كنتم عدما .

{ لكفور } : أي وكثير الكفر والجحود لرَّبه ونعمه عليه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر القدرة والعلم والحكمة قال تعالى : { ألم تر } يا رسولنا { أن الله أنزل من السماء ماءاً } أي مطراً فتصبح الأرض بعد نزول المطر عليها مخضرة بالعشب والنباتات والزروع ، وقوله : { إن الله لطيف } بعباده { خبير } بما يصلحهم ويضرهم وينفعهم .

وقوله : { به ما في السموات وما في الأرض } من الدواب والبهائم على إنعامه وقوله تعالى : { ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض } من الدواب والبهائم على اختلافها { والفلك } أي وسخر لكم الفلك أي السفن { تجري في البحر بأمره } أي بإذنه وتسخيره ، { ويمسك السماء أن تقع على الأرض } أي كيلا تقع على الأرض { إلا بإذنه } أي لا تقع إلا إذا أذن لها في ذلك وقوله : { إن الله بالناس لرؤوف رحيم } من مظاهر رأفته ورحمته بهم تلك الرحمة المتجلية في كل جانب من جوانب حياتهم في حملهم في ارضاعهم في غذائهم في نومهم في يقظتهم في تحصيل أرزاقهم في عفوه عن زلاتهم في عدم تعجيل العقوبة لهم بعد استحقاقهم لها في إرسال الرسل في إنزال الكتب فسبحان الله والحمد لله ولا إله الله والله أكبر ، وقوله تعالى : { وهو الذي أحياكم } بالإنشاء والإيجاد من العدم ، ثم يميتكم عند انتهاء آجالكم { ثم يحييكم } ويبعثكم ليجزيكم بكسبكم كل هذه النعم يكفرها الإنسان فيترك ذكر ربه وشكره ويذكر غيره ويشكر سواه فهذه المظاهرلقدرة الرب وعلمه وحكمته وتلك الآلاء والنعم الظاهرة والباطنة توجب الإيمان بالله وتحتم عبادته وتوحيده وذكره وشكره ، وتجعل عبادة غيره سُخفاً وضلالاً عقلياً لا يُقادر قدره ولا يُعرف مداه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير التوحيد بذكر مقتضياته من القدرة والنعمة .

2- إثبات صفات الله تعالى : اللطيف الخبير الغني الحميد الرؤوف الرحيم المحيي المميت .

3- بيان إنعام الله وإفضاله على خلقه .

4- مظاهر قدرة الله تعالى في إمساك السماء أن تقع على الأرض ، وفي الإحياء والأماتة والبعث .

(17/3)

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (67) وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (69) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (70) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (71) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (72)

شرح الكلمات :

{ جعلنا منسكاً } : أي مكاناً يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها .

{ فلا ينازعنك } : أي لا ينبغي أن ينازعوك .

{ هدىً مستقيم } : أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق .

{ في كتاب } : هو اللوح المحفوظ .

{ ما لم ينزل به سلطاناً } : أي حجة وبرهاناً .

{ المنكر } : أي الإنكار الدال عليه عبوس الوجه وتقطيبه .

{ يسطون } : يبطشون .

{ بشر من ذلكم } : هو النار .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في بيان هداية الله تعالى لرسوله والمؤمنين ودعوة المشركين الى ذلك قال تعالى : { ولكل أمة جعلنا منسكاً } أي ولك أمة من الأمم التي مضت والحاضرة أيضاً جعلنا لهم منسكاً أي مكاناً يتنسكون فيه ويتعبدون { هم ناسكوه } أي الآن ، فلا تلتفت إلى ما يقوله هؤلاء المشركون ، ولا تقبل منهم منازعة في أمر واضح لا يقبل الجدل ، وذلك أن المشركين انتقدوا ذبائح الهدى والضحايا أيام التشريق ، واعترضوا على تحريم الميتة وقالوا كيف تأكلون ما تذبحون ولا تأ : لون ما ذبح الله بيمينه وقوله تعالى لرسوله : { وادع إلى ربك } أي أعرض عن هذا الجدل الفارغ وادع إلى توحيد ربك وعبادته { إنك لعلى هدى مسقيم } أي طريق قاصد هاد إلى الإسعاد والاكمال وهو الإسلام وقوله : { وإن جادلوك } في بيان بعض المناسك والنسك فاتركهم فإنهم جهلة لا يعلمون وقل : { الله أعلم بما تعملون } أي وسيجزيكم بذلك حسنة وسيئة { والله يحكم بينكم } أي يقضي بينكم أيها المشركون فيما كنتم فيه تختلفون وعندها تعرفون المحق من المبطل منا وذلك يوم القيامة .

وقوله تعالى : { ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض } بلى إن الله يعلم كل ما في السموات والأرض من جليل

ودقيق وجليّ وخفي وكيف لا وهو اللطيف الخبير . { إن ذلك في كتاب } وهو اللوح المحفوظ فكيف يجهل أو ينسى ، و { إن ذلك } أي كتبه وحفظه في كتاب المقادير { على الله يسير } أي هين سهل ، لأنه تعالى على كل شيء قدير . هذا ما دلت عليه الآيات الآربع (67 ، 68 ، 69 ، 70) وقوله تعالى : { ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سطاناً } أي ويعبد أولئك المشركون المجادلون في بعض المناسك أصناماً لم ينزل الله تعالى في جواز عبادتها حُجَّة ولا برهاناً بل ما هو إلا إفك افتروه ، ليس له مبه علم ولا لآبائهم ، وسوف يحاسبون على هذا الإفك ويجزون به في ساعة لا يجدون فيها ولياً ولا نصيراً إذ هم ظالمون بشركهم بالله آلهة مفتراة ويوم القيامة ما للظالمين من نصير . هذا ما دلت عليه الآية (71) وأما قوله تعالى : { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات } يخبر تعالى عن أولئك المشركين المجادلين بالباطل أنهم إذا قرأ عليهم أحد المؤمنين آيات الله وهي بينات في مدلوها تهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم { تعرف } يا رسولنا { في وجوه الذين كفروا المنكر } أي تتغيّر وجوههم ويظهر عليها الإنكار على التالي عليهم الآيات { يكادون يسطون } أي يبطشون ويقعون بمن يتلون عليهم آيات الله لهدايتهم وصلاحهم .

(18/3)

وقوله تعالى : { قل أفأُنبئكم بِشرٍ من ذلكم } أي قل لهم ييا رسولنا أفأنبكم بشر من ذلك الذي تكرهون وهو من يتلون عليكم آيات الله أنه النار التى وعدها الله الذيين كفروا أي من أمثالكم ، وبئس المصير تصيرون إليه النار إن لم تتوبوا من شرككم وكفركم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير حقيقة وهي أن كل أمة من الأمم بعث الله فيها رسولاً وشرع لها عبادات تعبده بها .

2- استحسان ترك الجدال في البدهيات والإعراض عن ما فيها .

3- تقرير علم الله تعالى بكل خفي وجلي وصغير وكبير في السموات والأرض .

4- تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير الكتاب الحاوي لذلك وهو اللوح المحفوظ .

5- بيان شدة بغض المشركين للموحدين إذا دعوهم إلى التوحيد وذكروهم بالآيات .

6- مشروعية إغاظة الظالم بما يغيظيه من القول الحق .

(19/3)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (76)

شرح الكلمات :

{ ضرب مثل } : أي جعل مثل هو ما تئمنه قوله تعالى : { إن الذين تدعون . . الخ } .

{ لن يخلقوا ذباباً } : أي لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر الحيوانات تتخلق من العفونات .

{ ولو اجتمعوا } : أي على خلقه فإنهم لا يقدرون ، فغكيف إذا لم يتجمعوا فهم أعجز .

{ لا يستنقذوه منه } : أي لا يستردوه منه وذلك لعجزهم .

{ ضعف الطالب والمطلوب } : أي العابد والمعبود .

{ ما قدروا الله حق قدره } : أي ما عظم المشركون الله تعالى حق قدره أي عظمته .

{ يصطفي من الملائكة رسلاً } : أي يجتبي ويختار كجبريل .

{ ومن الناس } : كمحمد صلى الله عليه وسلم .

معنى الآيات : ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين يقول تعالى : { يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له } أي يا أيها المشركون بالله آلهة أصناماً ضرب لآلهتكم في حقارتها وضعفها وقلة نفعها مثل رائع فاستمعوا له . وبينه بقوله : { إن الذين تدعون من دون الله } من أوثان وأصنام { لن يخلقوا ذباباً } وهو أحقر حيوان وأخبث أي اجتمعوا واتحدوا متعاونين على خلقه ، ألو يم يجتمعوا له فإنهم لا يقدرون على خلقه وشيء آخر وهو إن يسلب الذاب الحقير شيئاً من طيب آلهتكم التي تضمّخونها به ، لا تستطيع آلهتكم أن تسترده منه فما أضعفها إذاً وما أحقرها إذا كان الذباب أقدر منها وأعز وأمنع .

وقوله تعالى : { ضعف الطالب والمطلوب } أي ضعف الصنم والذباب معاً كما ضعف العابد المشرك والمعبود الصنم { إن الله لقويٌ عزيز } أي قوي قادر على كل شيء عزيز غالب لا يمانع في أمر يريده فكيف ساغ للمشركين أن يؤلهوا غيره ويعبدونه معه ويجعلونه له مثلاً . هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (73) والثانية (74) وقوله تعالى : { الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس } هذا رد على المشركين عندما قالوا : { أأنزل عليه الذكر من بيننا } وقالوا : { أبعث الله بشراً رسولاً } فأخبر تعالى أنه يصطفي أي يختار من الملائكة رسلاً كما اختار جبرائيل وميكائيل ، ومن الناس كما اختار نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم ، { إن الله سميع } لأقوال عباده طيبها وخبيثها { بصير } بأعمالهم صالحاً وفاسدها وعلمه بخلقه وبصره بأحوالهم وحاجاتهم اقتضى أن يصطفي منهم رسلاً وقوله : { يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم } أي ما بين أيدي رسله من الملائكة ومن الناس وما خلفهم ماضياً ومستقبلاً إذ علمه أحاط بكل شيء فلذا حق له أن يختار لرسالاته من يشاء فكيف يصح الإعتراض عليه لولا سفه المشركين وجهالاتهم وقوله تعالى : { وإلى الله ترجع الأمور } هذا تقرير لما تضمنته الجملة السابقة من ان الله الحق المطلق في إرسال الرسل من الملائكة أو من الناس ولا إعتراض عليه في ذلك إذ مرد الأمور كلها إليه بدءاً ونهاية إذا هو ربّ كل شيء ومليكه لا إله غيره ولا رب سواه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان .

2- التنديد بالشرك وبطلانه وبيان سفه المشركين .

3- ما قدر الله حق قدره من سوى به أحقر مخلوقاته وجعل له من عباده جزاءاً وشبهاً ومثلاً .

4- إثبات الرسالات للملائكة وللناس معاً .

5- ذكر صفات الجلال والكمال لله تعالى المقتضية لربوبيته والموجبة لألوهيته وهى القوة والعزة ، والسمع والبصر لكل شيء وبكل شيء والعلم بكل شيء .

(20/3)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)

شرح الكلمات :

{ واعبدوا ربكم } : أي أطيعوه في أمره ونهيه في تعظيم هو غاية التعظيم وذل له هو غاية الذل .

{ وافعلوا الخير } : أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورغبكم فيه من صالح الأقوال والأعمال .

{ لعلكم تفلحون } : أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة .

{ حق جهاده } : أي الجهاد الحق الذي شرعه الله تعالى وأمر به وهو جهاد الكفر والشيطان والنفس والهوى .

{ اجتباكم } : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلى الناس كافة .

{ من حرج } : أي من ضيق وتكليف لا يطاق .

{ ملة أبيكم } : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له . { وفي هذا } : أي القرآن .

{ اعتصموا بالله } : أي تمسكوا بدينه وثقوا في نصرته وحسن مثوبته .

{ ونعم النصير } : أي هو تعالى نعم النصير أي الناصر لكم .

معنى الآيات :

بعد تقرير العقيدة بأقسامها الثلاث : التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ، نادى الربّ تبارك وتعالى المسلمين بعنوان الإيمان فقال : { يا أيها الذين آمنوا } أي ما من آمنتم بالله رباَ وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً ، { اركعوا واسجدوا } أمرهم بإقام الصلاة { واعبدوا ربكم } أي أطيعوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه معظمين له غاية التعظيم خاشعين له غاية الخشوع { وافعلوا الخير } من كل ما انتدبكم الله إلأيه ورغبكم فيه من أنواع البر وضروب العبادات { لعلكم تفلحون } أي لتتأهلوا بذلك للفلاح هو الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار .

وقوله : { وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده } أي أمرهم أيضاً بأمر هام وهو جهاد الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ومعنى حق جهاده أي كما ينبغي الجهاد من استفزاغ الجهد والطاقة كلها نفساً ومالاً ودعوة وقوله : { وما جعل عليكم في الدين من حرج } هذه مِنَّة ذكَر بها تعالى المؤمنين حتى يشكروا الله بفعل ما أمرهم به أي لم يضيق

عليكم فيما أمركم به بل وسع فجعل التوبة لكل ذنب ، وجعل الكفارة لبعض الذنوب ، ورخص للمسافر والمريض في قصر الصلاة والصيام ، ولمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله في التيمُم .

وقوله : { ملة أبيكم ابراهيم } أي الزموا ملة أبيكم وقوله : { هو سماكم المسلمين } أي الله جل جلاله هو الذي سماهم المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن وهو معنى قوله : { هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا } أي القرآن وقوله : { ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس } أي اجتباكم أيها المؤمنون لدينه الإسلامي وسماكم المسلمين ليكون الرسول شهيداً عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجميعين أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسل به إليهم وعليه فاشكروا هذا الإنعام والإكرام لله تعالى { فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله } أي تمسكوا بشرعه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباًً وقضاءاً وحكماً ، وقوله تعالى : { هو مولاكم } أي سيدكم ومالك أمركم { فنعم المولى } هو سبحانه وتعالى { ونعم النصير } أي الناصر لكم ما دمتم أولياءه تعيشون على الإيمان والتقوى .

(21/3)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- فضيلة الصلاة وشرف العبادة وفعل الخير .

2- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية { وافعلوا الخير لعلكم تفلحون } .

3- فضل الجهاد في سبيل الله وهو جهاد الكفار ، وان لا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم .

4- فضيلة هذه الأمة المسلمة حيث أعطيت ثلاثاً لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي عليه السلام اذهب فليس علك حرج فقال الله لهذه الأمة : { وما جعل عليكم في الدين من حرج } وكان يقال للنبي عليه السلام أنت شهيد على قومك وقال الله : { لتكونوا شهداء على الناس } وكان يقال للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الأمة : { ادعوني استجب لكم } دل على هذا قوله تعالى : { هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج } 5- فرضية الصلاة ، والزكاة ، والتمسك بالشريعة .

(22/3)

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)

شرح الكلمات :

{ قد أفلح المؤمنون } : أي فاز قطعاً بالنجاة من النار ودخول الجنة المؤمنون .

{ في صلاتهم خاشعون } : أي ساكنون متطامنون لا يتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي ربهم .

{ عن اللغو معرضون } : اللغو كل ما لا رِضىً فيه لله من قول وعمل وتفكير ، معرضون أي منصرفون عنه .

{ للزكاة فاعلون } : أي مؤدون .

{ لفروجهم حافظون } : أي صائنون لها عن النظر إليها لا يكشفونها وعن إتيان الفاحشة .

{ أو ما ملكت أيمانهم } : من الجواري والسَّراري إن وجد .

{ فمن ابتغى وراء ذلك } : أي طلب ما دون زوجته وجاريته المملوكة شرعياً .

{ فأولئك هم العادون } : أي الظالمون المعتدون على حدود الشرع .

{ راعون } : أي حافظون لأماناتهم وعهودهم .

{ الفردوس } : أعلى درجة في الجنة في أعلى جنة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { قد أفلح المؤمنون } يخبر تعالى وهو الصادق الوعد بفلاح المؤمنين وقد بين تعالى في آية آل عمران معنى الفلاح وهو الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة ووصف هؤلاء المؤمنين المفحلين بصفات من جمعها متصفاً بها فقد ثبت له الفلاح وأصبح من الوارثين الذين يؤثون الفردوس يخلدون فيها وتلك الصفات هي :

(1) الخشوع في الصلاة بأن يسكن فيها المصلي فلا يلتفت فيها برأسه ولا بطرفه ولا بقلبه مع رقة قلب ودموع عين وهذه أكمل حالات الخشوع في الصلاة ، ودونها أن يطمئن ولا يتلفت برأسه ولا بعينه ولا بقلبه في أكثرها . هذه الصفة تتضمنها قوله تعالى : { الذين هم في صلاتهم خاشعون } .

(2) أعراضهم عن اللغو وهو كل قول وعمل وفكر لم يكن فيه لله تعالى إذن به ولا رضى فيه ومعنى إعراضهم عنه : إنصرافهم عنه وعدم التفاتهم إليه ، وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : { والذين هم عن اللغو معرضون } .

(3) فعلهم الزكاة أي أداؤهم لفريضة الزكاة الواجبة من أموالهم الناطقة كالمواشي والصامتة كالنقدين والحبوب والثمار ، وفعلهم لكل ما يزكي النفس من الصالحات وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : { والذين هم للزكاة فاعلون } .

(4) حفظ فروجهم من كشفها ومن وطء غير الزوج أو الجارية المملكة بوجه شرعي وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : { والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين } في إتيان أزواجهم وما ملكت أيمانهم ، ولكن الدوم والعقوبة على ما طلب هذا المطلب من غير زوجه وجاريته { فأولئك هم العادون } أي الظالمون المعتدون حيث تجاوزوا ما أحل الله لهم ما حرم عليهم .

(5) مراعاة الأمانات والعهود بمعنى محافظتهم على ما ائتمنوا عليه من قول أو عمل ومن ذلك سائر التكاليف الشرعية حتى الغسل من الجنابة فإنه من الأمانة وعلى عهودهم وسائر عقودهم الخاصة والعامة فلا خيانة ولا نكث ولا خُلْف وقد تضمن هذا قوله تعالى : { والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون } أي حافظون .

(23/3)

---

(6) المحافظة على الصلوات الخمس بأدائها ي أوقاتها المحددة لها فلا يقدمونها ولا يؤخرونها مع المحافظة على شروطها من طهارة الخبث وطهارة الحدث وإتمام ركوعها وسجودها واستكمال أكثر سننها وآدابها وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى : { والذين هم على صلاتهم يحافظون } .

فهذه ست صفات إجمالاً وسبع صفات تفصيلاً فمن اتصف بها كمل إيمانه وصدق عليه اسم المؤمن وكان من المفلحين الوارثين للفردوس الأعلى جعلنا الله تعالى منهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب الخشوع في الصلاة .

2- تحريم نكاح المتعة لأن المتمتع بها ليست زوجة لأنها لا ترث ولا تورث بخلاف الزوجة فإنها لها الربع والثمن ، ولزوجها النصف والربع ، لأن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل معين قد يكون شهراً أو اكثر أو أقل .

3- تحريم العادة السريّة وهي نكاح اليد وسحاق المرأة لأن ذلك ليس بنكاح زوجة ولا جارية مملوكة .

4- وجوب أداء الزكاة ووجوب حفظ الأمانات ووجوب الوفاء بالعهود ووجوب المحافظة على الصلوات .

5- تقرير حكم التوارث بين أهل الجنة وأهل النار فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة اللهم اجعلنا من الوارثين الذين يرثون الفردوس .

(24/3)

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)

شرح الكلمات :

{ من سلالة } : السلالة ما يستل من الشيء والمراد بها هنا ما استل من الطين لخلق آدم .

{ نطفة في قرار مكين } النطفة قطرة الماء أي المني الذي يفرزه الفحل ، والقرار المكين الرحم المصون .

{ العلقة } : الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه بأصبعه كمح البيض .

{ والمضغة } : قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل .

{ خلقاً آخر } : أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنساناً .

{ أحسن الخالقين } : أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن خلقه الإنسان آدم وذريته وفي ذلك تتجلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته والتي أوجبت عبادته وطاعته ومحبته وتعظيمه وتقديره فقال : { ولقد خلقنا الإنسان } يعني آدم عليه السلام { من سلالة من طين } أي من خلاصة طين جمعه فأصبح كالحمإ المسنون فاستل منه خلاصته ومنها خلق آدم ونفخ فهي من روحه فكان بشراً سوياً ولله الحمد والمنة قوله : { ثم جعلناه نطفة في قرار مكين } أي ثم جعلنا الإنسان الذي هو ولد آدم نطفة من صُلْبِ آدم { في قرار مكين } هو رحم حواء { ثم خلقنا النطفة } المنحدرة من صلب ادم { علقة } أي قطعة دم جامدة تعلق بالإِصبع لو حاول الإنسان أن يرفعها بإصبعه ، { فخلقنا العلقة مضغة } وهي قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل ، { فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً شيئاً آخر } أي إنساناً آخر غير آدم الأب ، وهكذا خلق الله عز وجل آدم وذريته ، { فتبارك الله أحسن الخالقين } . وقد يصدق هذا على كون الإنسان هو خلاصة عناصر شتى استحالت إلى نطفة الفحل ثم استحالت إلى علقة فمضغة فنفخ فيها الروح فصارت إنساناً آخر بعد أن كانت جماداً لا روح فيها وقوله تعالى : { فتبارك الله أحسن الخالقين } فأنثى الله تعالى على نفسه بما هو أهله أي تعاظم أحسن الصانعين ، إذ لا خالق إلا هو ويطلق لفظ الخلق على الصناعة فحسن التعبير بلفظ أحسن الخالقين .

وقوله تعالى : { ثم إنكم بعد ذلك لميتون } أي بعد خلقنا لكم تعيشون المدة التي حددناها لكم ثم تموتون ، { ثم إنكم يوم القيامة بتعثون } أحياء للحساب والجزاء لتحيوا حياة أبدية لا يعقبها موت ولا فناء ولا بلاء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته .

2- بيان خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها .

3- بيان مآل الإنسان بعد خلقه .

4- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرهاالملاحدة والمشركون .

(25/3)

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (17) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (20) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (22)

شرح الكلمات :

{ سبع طرائق } : أي سبع سموات كل سماء يقال لها طريقة لأن بعضها مطروق فوق بعض .

{ ماء بقدر } : أي بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص .

{ من طور سيناء } : جبل يقال له جبل طور سيناء .

{ تنبت بالدهن } : أي تنبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت .

{ وصبغ للآكلين } : أي يغمس الآكل فيه اللقمة ويأكلها .

{ في الأنعام لعبرة } : الأنعام الإبل والبقر والغنم والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها ومنافعها .

{ مما في بطونها } : أي من اللبن .

{ منافع كثيرة } : كالوبر والصوف واللبن والركوب .

{ ومنها تأكلون } : أي من لحومها .

{ تحملون } : أي تركبون الإبل في البر وتركبون السفن في البحر .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر نعمه تعالى على الإنسان لعل هذا الإنسان يذكر فيشكر فقال تعالى : { ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق } أي سموات سماء فوق سماء أي طريقة فوق طريقة وطبقاً فوق طبق وقوله تعالى : { وما كنا عن الخلق غافلين } أي ولم نكن غافلين عن خلقنا وبذلك انتظم الكون والحياة ، وإلا لخرب كل شيء وفسد وقوله تعالى : { وأنزلنا من السماء ما ءً بقدر } هو ماء المطر أي بكميات على قدر الحاجة وقوله { فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات } أي أوجدنا لكم به بساتين من نخيل وأعناب { لكم فيها } أي في تلك البساتين { فواكه كثيرة ، ومنها تأكلون } أي ومن تلك الفواكه تأكلون وذكر النخيل والعنب دون غيرهما لودودهما بين العرب فهم يعرفونهما أكثر من غيرهما فالنخيل بالمدينة والعنب بالطائف .

وقوله : { وشجرة تخرج من طور سيناء } أي وأنتب لكم به شجرة الزيتون وهي { تنبت بالدهن وصبغ للآكلين } فبزيتها يدهن ويؤتدم فتصبغ اللقمة به وتؤكل . وقوله : { وإن لكم في الأنعام لعبرة } فتأملوها في خلقها وحياتها ومنافعها تعبرون بها إلى الإيمان والتوحيد والطاعة . وقوله : { نسقيكم مما في بطونها } من ألبان تخرج من بين فرث ودم ، وقوله : { ولكن فيها منافع كثيرة } كصوفها ووبرها ولبنها وأكل لحومها . وقوله : { وعليها وعلى الفلك تحملون } وعلى بعضها كالإبل تحملون في البر وعلى السفن في البحر ، أفلا تشكرون لله هذه النعم فتذكروه وتشكروه أليست هذه النعم موجبة لشكر المنعم بها فيُعبد وبوحد في عبادته؟ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- لبيان قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات طرائق وعدم غفلته عن سائر خلقه فسار كل شيء لما خلق له فثبت الكون وانتظمت الحياة .

2- بيان إفضال الله تعالى في إنزال الماء بقدر وإسكانه في الأرض وعدم إذهابه مما يوجب الشكر لله تعالى على عباده .

3- بيان منافع الزيت حيث هو للدهن والائتدام والإستصباح .
4- فضل الله على العباد في خلق الأنعام والسفن للانتفاع بالأنعام في جوانب كثيرة منها ، وفي السفن للركوب عليها وحمل السلع والبضائع من إقليم إلى إقليم .
5- وجوب شكر الله تعالى على انعامه وذلك بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها .

(26/3)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26)

شرح الكلمات :
{ اعبدوا الله } : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله غيره .
{ افلا تعقلون } : أي أتعبدون معه غيره فغلا تخافون غضبه وعقابه .
{ الملأ } : أي أعيان البلاد وكبراء القوم .
{ ما هذا إلا بشر مثلكم } : أي مانوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول ما يدعوكم إليه .
{ ولو شاء الله لأنزل ملائكة } : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلا .
{ رجل به جنة } : أي مصاب بمس من جنون .
{ فتربصوا به حتى حين } : أي فلا تسمعوا له ولا تطيعوه وانتظروا به هلاكه أو شفاءه .
معنى الآيات :
هذا السياق بداية عدة قصص ذكرت على إثر قصة بدأ خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام فقال تعالى : { ولقد أرسلنا نوحاً } أي قبلك يا رسولنا فكذبوه . كما كذبك قومك وإليك قصته إذ قال يا قوم ابعدوا الله أي وحدوه في العبادة ، ولا تعبدوا معه غيره { مالكم من إله غيره } أي إذ ليس لكم من إله غيره يتسحق عبادتكم . وقوله : { أفلا تتقون } أي أتعبدون معه غيره أفلا تخافون غضبه عليكم ثم عقابه لكم؟ .
فأجابه قومه المشركون بما أخبر تعالى به عنهم في قوله : { فقال الملأ الذين كفروا من قومه } أي فرد عليه قوله أشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم من أغنياء وأعيان ممن كفروا من قومه { ما هذا } أي نوح { إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم } أي يسود ويشرف فادعى أنه رسول الله إليكم { ولو شاء الله } أي أن لا نعبد معه سواه { لأنزل ملائكة } تخبرنا بذلك { ما سمعنا بهذا } أي بالذي جاء به نوح ودعا إليه من ترك عبادة آلهتنا { في آبائنا الأولين } أي لم يقل به أحد من أجدادنا السابقين { إن هو إلا رجل به جنة } أي ما نوح إلا رجل به مس من جنون ، وإلا لما قال هذا الذي يقول من تسفيهنا وتسفيه آبائنا { فتربصوا به حتى حين } أي انتظروا به أجله حتى يموت ، ولا تتركوا دينكم لأجله وهنا وبعد قرون طويلة بلغت ألف سنة إلا خمسين شكا نوح إلى ربه وطلب النصر منه فقال ما أخبر تعالى به عنه

{ قال ربّ انصرني بما كذبون } أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي وانصرني عليهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إثبات النبوة المحمدية بذكر أخبار الغيب التي لا تعلم إلا من طريق الوحي .

2- تقرير التوحيد بذكر دعوة الرسل أقوامهم إليه .

3- بيان سنة نم سنن البشر وهي أن دعوة الحق أول من يردها الكبراء من أهل الكفر .

4- بيان كيف يرد لاالمون دعوة الحق بإتهام الدعاة بما هم براء منه كالجنون وغيره من الاتهامات كالعمالة لفلان والتملق لفلان . .

(27/3)

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (27) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (29) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)

شرح الكلمات :

{ فأوحينا إليه أن اصنع } : أي أعلمناه بطريق سريع خفي أي اصنع الفلك .

{ بأعيننا ووحيينا } : أي بمرأى منا ومنظر ، وبتعليمنا إياك صنعها .

{ وفار التنور } : تنور الخباز فاز منه الماء آيية بداية الطوفان .

{ فاسلك فيها } : أي أدخل في السفينة .

{ وأهلك } : أولادك ونساءك .

{ ولا تخاطبنى في الذين ظلموا } : أي لا تكلمني في شأن الظالمين فإني حكمت بإغراقهم .

{ وقل رب } : أي وادعني قائلاً يا رب أنزلني منزلاً مباركاً من الأرض .

{ إن في ذلك لآيات } : أى لدلائل وعبر .

{ وإن كنا لمبتلين } : أي لمختبرين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه فقد جاء في الآيات السابقة أن نوحاَ عليه السلام دعا ربه مستنصراً إياه لينصره على قومه الذين كذبوه قائلاً : { رب انصرني بما كذبوا } فاستجاب الله تعالى دعاءه فأوحى إليه أي أعلمه بطريق الوحي الخاص { أن أصنع الفلك } أي السفينة { بأعيننا ووحينا } أي بمرأى منا ومنظر وبتعليمنا إياك وجعل له علامة على بداية هلاك القوم أن يفور التنور تنور طبخ الخبز بالماء وأمره إذا راى تلك العلامة أن يدخل في

السفينة من كل زوج أي ذكر وأنثى اثنين من سائر الحيوانات التي أمكنه ذلك منه وأن يركب فهيا أيضاً أهله من زوجة وولد إلا من قضى الله بهلاكه ونهاه أن يكلمه في شأن الظالمين لأنهم مغرقون قطعاً . هذا ما تضمنته الآية الأولى (27) { فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا } أي بإهلاك الظالمين المشركين { وفار التنور ، فاسلك فيها } أي في السفينة { من كل زوجين اثنين ، وأهلك } أي أزواجك وأولادك { إلا من سبق عليه القول منهم } أَي بإهلاكهم كامرأته ، { ولا تخاطبين في الذين ظلموا } أي لا تسألني عنهم فإني مهلكهم .

وقوله تعالى : { فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك } أي إذا ركبت واستقرْت على متن السفينة أنت ومن معك من المؤمنين فاحمدنا فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وادعنا ضارعاً إلينا قائلاً { رب أنزلني منزلاً مباركاً } أي من الأرض ، وَأثْن علينا خيراً فقل { وأنت خير المنزلين } وقوله تعالى : { إن في ذلك لآيات } أي المذكور من قصة نوح لدلائل على قدرة الله تعلمه ورحمته وحكمته ووجوب الإيمان به وتوحيده في عبادته . وقوله : { وإن كنا لمبتلين } أي مختبرين عبادنا بالخير والشر ليرى الكافر من المؤمن ، والمطيع من العاصي ويتم الجزاء حسب ذلك بإظهار للعدالة الإلهية والرحمة الربانية .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- إثبات الوحي الإلهي وتقرير النبوة المحمدية .

2- تقرير حادثة الطوفان المروفة لدى المؤرخين .

3- بيان عاقبة الظلم وأنه هلاك للظالمين .

4- سنية قول بسم الله والحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون عند ركوب الدابة أو السفينة ونحوها كالسيارة والطيارة .

5- استحباب الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه من خير الدنيا .

6- بيان سر ذكر قصة نوح وهو ما فيها من العظات والعبر .

(28/3)

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (31) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (34) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (35) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38)

شرح الكلمات :

{ ثم أنشأنا من بعدهم قَرْناً آخرين } : أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم هود .

{ رسولاً منهم } : هو هود عليه السلام .

{ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } : أي قولوا لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده .

{ وأترفناهم } : أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش .

{ أنكم مخرجون } : أي أحياء من قبوركم بعد موتكم .

{ هيهات هيهات } : أي بَعُدَ بُعْداً كبيراً وقوعُ ما يعدكم .

{ إن هي إلا حياتنا الدنيا } : أي ما هي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة أخرى .

{ إن هو إلا رجل } : أي ما هو إلا رجلٌ افترى على الله كذباً أي كذب على الله تعالى .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة هود عليه السلام بعد قصة نوح عليه السلام أيضاً فقال تعالى : { ثم أنشأنا من بعدهم } أي خلقنا وأوجدنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم هود { فأرسلنا فيهم رسولاً منهم } هو هود عليه السلام بأن قال لهم : { أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } أي اعبدوا الله بطاعته وإفراده بالعبادة إذا لا يوجد لكم إله غير الله تصح عبادته إذ الخالق لكم الرازق الله وحده فغيره لا يستحق العبادة بحال من الأحوال وقوله : { أفلا تتقون } يحثهم على الخوف من الله ويأمرهم به قبل أن تنزل بهم عقوبته .

وقوله تعالى : { وقال الملأ من قومه الذين كفروا } أي وقال أعيان البلاد وأشرافها من قوم هود ممن كفروا بالله ورسوله وكذبوا بالبعث والجزاء في الدار الآخرة وقد أترفهم الله تعالى : بالمال وسعة الرزق فأسرفوا في الملاذ والشهوات : قالوا : وماذا قالوا؟ :

قالوا ما أخبرنا تعالى به عنهم بقوله : { ما هذا إلا بشر مثلكم } أي ما هذا الرسول إلا بشر مثلكم { يأكل مما تأكلون منه } من أنواع الطعام { ويشرب مما تشربون } من ألوان الشراب أي فلا فرق بينكم وبينه فكيف ترضون بسيادته عليكم يأمركم وينهاهم . وقالوا : { ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون } أي خاسرون حياتكم ومكانتكم ، وقالوا : { أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً } أي فنيتم وصرتم تراباً { أنكم مُخْرِجون } أي أحياء من قبوركم . وقالوا : { هيهات هيهات } أي بَعُد بُعْداً كبيراً ما يعدكم به هود إنهاما { هي إلا حياتنا الدنيا } أي { نموت ونحيا } جبل يموت وجيل يحيا { وما نحن بمبعوثين } وقالوا : { إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً } أي اختلق الكذب على الله وقال عنه أنه يبعثكم ويحاسبكم ويجزيكم بكسبكم . { وقالوا ما نحن بمبعوثين } هذه مقالتهم ذكرها تعالى عنهم وهي مصرحة بكفرهم وتكذيبهم وإلحادهم وما سيقوله هود عليه السلام سيأتي في الآيات بعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل ، وما تبتدىء به دعوتهم وهو لا إله إلا الله .

2- أهل الكفر لا يصدر عنهم إلا ما هو شر وباطل لفساد قلوبهم .

3- الترف يسبب كثيراً من المفاسد والشرور ، ولهذا يجب أن يُحذَرْ بالاقتصاد .

4- تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها وهي ما ينكره الملاحدة هروباً من الاستقامة .

5- تُكأة عامة المشتركين وهي كيف يكون الرسول رجلاً من البشر ، دفعاً للحق وعدم قبوله .

قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (39) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (40) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (41) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (42) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (43) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44)

شرح الكلمات :

{ عما قليل } : أي عن قليل من الزمن .

{ ليصبحن نادمين } : ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم .

{ فأخذتهم الصيحة } : أي صيحة العذاب والهلاك .

{ فجعلناهم غثاء } : كغثاء السيل وهو ما يجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس . { فبعداً } : أي هلاكاً لهم .

{ ثم أنشأنا } : أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين كقوم صالح وإبراهيم . ولوط وشعيب .

{ تترا } : أي يتبع بعضها بعضاً الواحدة عقب الأخرى .

{ وجعلناهم أحاديث } : أي أهلكناهم وتركناهم قصصاً تقص وأخباراً تتناقل .

معنى الآيات :

هذا ما قال هود عليه السلام بعد الذي ذكر تعالى من أقوال قومه الكافرين { قال رب } أي يا رب { انصرني بما كذبون } أي بسبب تكذيبهم لي وردهم دعوتي وإصرارهم على الكفر بك وعبادة غيرك فأجابه الرب تبارك وتعالى بقوله : { عما قليل ليصبحن نادمين } أي بعد قليل من الوقت وعزتنا وجلالنا ليصبحن نادمين أي ليصيرن نادمين على كفرهم بي وإشراكهم في عبادتي وتكذيبهم إياك ولم يمض إلا قليل زمن حتى أخذتهم الصيحة صيحة الهلاك ضمن ريح صرصر في أيام نحسات فإذا هم غثاء كغثاء السبيل لا حياة فيهم ولا فائدة ترجى منهم { فبعداً للقوم الظالمين } أي هلاكاً للظالمين بالشرك والتكذيب والمعاصي وقوله تعالى : { ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين } أي ثم أوجدنا بعد إهلاكنا عاداً أهل قرون آخرين كقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب . وقوله تعالى : { وما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون } أي أن كل أمة حكمنا بهلاكها لا يمكنها أن تسبق أجلها أي وقتها المحدود لها فتتقدمه كما لا يمكنها أن تتأخر عنه بحال .

وقوله تعالى : { ثم أرسلنا رسلنا تترا } أي يتبع بعضها بعضاً { كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً } أي في الهلاك فكلما كذبت أمة روسلها ورفضت التوبة إلى الله والإنابة إليه أهلكها ، وقوله تعالى { وجعلناهم أحاديث } أي لمن بعدهم يذكرون أحوالهم ويروون أخبارهم { فبعداً } أي هلاكاً منا { لقوم لا يؤمنون } في هذا تهديد قوي لقريش المصرة على الشرك والتكذيب والعناد . وقد مضت فيهم سنة الله فأهلك المجرمين منها .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- استجابة الله دعوة المظلومين من عباده لا سيما إن كانوا عبادنا صالحين .

2- الآجال للأفراد أو الأمم لا تتقدم ولا تتأخر سنة من سنن الله تعالى في خلقه .

3- تقرير حقيقة تاريخية علمية وهي أن الأمم السابقة كلها هلكت بتكذيبها وكفرها ولم ينج منها عند نزول العذاب بها إلا المؤمنون مع رسولهم .

4- كرامة هذه الأمة المحمدية أن الله تعالى لا يهلكها هلاكاً عاماَ بل تبقى بقاء الحياة تقوم بها الحجة لله تعالى على الأمم والشعوب المعاصرة لها طيلة الحياة .

(30/3)

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50)

شرح الكلمات :

{ بآياتنا وسلطان مبين } : الآيات هي التسع الآيات وهي الحدة والسلطان المبين .

{ وكانوا قوماً عالين } : أي علوا أهل تلك البلاد قهراً واستبداداً وتحكماً .

{ وقومهما لنا عابدون } : أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء وكيف نشاء .

{ ولقد آتينا موسى الكتاب } : أي التوراة .

{ وجعلنا ابن مريم } : أي عيسى حجة وبرهاناً على وجود الله وقدرته وعلمه ووجوب توحيده .

{ إلى ربوة ذات فرار معين } : إلى مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب وفواكه وخضر .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر نبذ من قصص الأولين للعظة والاعتبار ، ولإقامة الحجة على مشركي قريش فقال تعالى : { ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين } أي بعد تلك الأمم الخالية أرسلنا موسى بن عمران وأخاه هارون بسلطان مبين أي بحجج وبراهين بينة دالة على صدق موسى وما يدعو إليه من عبادة الله وتوحيده فيها والخروج بيني إسرائيل إلى الأرض المباركة أرض الشام إلى فرعون ملك مصر يومئذ وملئه من أشراف قومه وعليتهم فاستكبروا عن قبول دعوة الحق وكانوا عالين على أهل تلك البلاد فاهرين لها مستبدين بها وقالوا رداً على دعوة موسى وهارون ما أخبر تعالى به في قوله : { فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون } أي خاضعون مطيعون . هكذا أعلنوا متعجبين من دعوة موسى وهارون إلى الإيمان برسالتهما فقالوا : أنؤمن لبشر من مثلنا أي كيف يكون هذا أنتبع رجلين مثلنا فنصبح نأتمر بأمرهما وننتهي بنهيهما وكيف يتم ذلك وقومهما يعنون بني إسرائيل لنا عابدون . أي خاضعون لنا ومطيعون لأمرنا ونهينا . قال تعالى : { فكذبوهما } ، فيما دعواهما إليه من الإيمان والتوحيد وإرسال بني إسرائيل إلى أرض الميعاد فترتب على تكذيبهم لرسولي الله موسى وهارون هلاكهم فكانوا من المهلكين حيث أغرقهم الله أجمعين ، وقوله تعالى : { ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون } ، ويخبر تعالى أنه بعد إهلاك فرعون ونجاة بني غسرائيل آتى موسى التوراة من أجل

هداية بني إسرائيل عليها لأنها تحمل النور والهدى . هذه أيدى الله على خلقه وآياته فيهم فسبحانه من إله عزيز رحيم . وقوله تعالى : { وجعلنا ابن مريم وأمه } أي جعل عيسى ووالدته مريم { آية } حيث ونجاة بني إسرائيل آتى موسى التوراة من أجل هداية بني إسرائيل عليها لأنها تحمل النور والهدى . هذه أيادي الله علىخلقه وآياته فيهم فسبحانه من إله عزيز رحيم . وقوله تعالى : { وجعلنا ابن مريم وأمه } أي جعل عيسى ووالدته مريم { آية } حيث خلق عيسى من غير أب فهي آية دالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته وهذه موجبة الإيمان به عبادته وتوحيده والتوكل عليه والإنابة والتوبة إليه . قوله تعالى : { وآويناهما إلى ربوة ذات قرار وَ معين } أي أنزلنا مريم وولدها بعد اضطهاد اليهود لهما ربوة عالية صالحة للإستقرار عليها بها فاكهة وماء عذب جار إكرام الله تعالى له ولوالدته فسبحان المنعم على عباده المكرم لأوليائه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوة كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام .

2- التنديد بالإستكبار ، وأنه علة مانعة من قبول الحق .

3- مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته في إرسال الرسل بالآيات وفي إهلاك المكذبين .

4- آية ولادة عيسى من غير أب مقررة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، وبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء .

(31/3)

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (54) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56)

شرح الكلمات :

{ كلوا من الطيبات } : أي من الحلال .

{ واعلموها صالحاً } : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل .

{ وإن هذه أمتكم } : أي ملتكم الإسلامية .

{ فاتقون } : أي بامتثال أمري واجتناب نهيي .

{ فتقطعوا أمرهم } : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف هذه يهودية وتلك نصرانية .

{ في غمرتهم } : أي في ضلالتهم .

{ نسارع لهم } : أي نعجل .

{ بل لا يشعرون } : أن ذلك استدراج منا لهم .

معنى الكلمات :

بعد أن أكرم الله تعالى عيسى ووالدته بما أكرمهما به من إيوائهما إلى ربوة ذات قرار ومعين خاطب عيسى عبده ورسوله قائلاً : { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات } أي الحلال فكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه إذا كانت تغزل الصوف بأجرة فكانا يأكلان من ذلك أكلا من الطيب كما أمرهما الله تعالى وقوله : { واعملوا صالحاً } كلوا من الحلال واعملوا صالحاً بأداء الفرائض والإكثار من النوافل ، وقوله : { إني بما تعملون عليم } فيه وعد بأن الله تعالى سيثيبهم على ما يعلمون من الصالحات . وقوله : { وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون } أعلمهم أن ملتهم وهي الدين الإسلامي دين واحد فلا ينبغي الاختلاف فيه واعلمهم أيضاً أنه ربهم أي مالك أمرهم والحاكم عليهم فليبتغوه بفعل ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه ، لينجوا من عذابه ويظفروا برحمته ودخول جنته .

وقوله تعالى : { فتقطعوا أمرهم بينهم } أي دينهم { زبراً كل حزب بما لديهم فرحون } أي فرقوا دينهم فرقاً فذهب كل فرقة بقطعة منه وقسموا الكتاب إلى كتب فهذه يهودية وهذه نصرانية واليهودية فرق والنصرانية فرق والإنجيل أصبح أناجيل متعددة وصارت كل جماعة فرحة بما عندها مسرورة به لا ترى الحق إلاَّ فيه . . { كل حزب بما لديهم فرحون } وهنا أمر الله رسوله أن يتركهم في غمرة ضلالتهم إلى حين أن ينزل بهم ما قضى به الرب تعالى على أهل الاختلاف في دينه { فذرهم في غمرتهم حتى حين } إذ قال له في سورة الأنعام { إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيىء } وفيه من التهديد ما فيه . وهذا الذي نعاه تعالى على تلك الأمم قد وقعت فيه أمة الإسلام فاختلفوا في دينهم مذاهب وطرقاً عديدة ، وياللأسف وقد حلت بهم المحن ونزل بهم البلاء نتيجة ذلك الخلاف . وقوله : { أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين } مع اختلافهم وانحرافهم مسارعة لهم منا في الخيرات لا بل ذلك استدراج لهم ليهلكوا ولكنهم لا يشعرون بذلك . لشدة غفلتهم واستيلاء غمرة الضلالة عليهم .

هداية الآيات .

من هداية الآيات :

1- وجوب الأكل من الحلال ، ووجوب الشكر بالطاعة لله ورسوله .

2- الإسلام دين البشرية جمعاء ولا يحل الاختلاف فيه بل يجب التمسك به وترك ما سواه .

3- حرمة الاختلاف في الدين وأنه سبب الكوارث والفتن والمحن .

4- إذا انحرفت الأمة عن دين الله ، ثم رزقت المال وسعة العيش كان ذلك استدراجاً لها ، ولم يكن إكراماً من الله لها دالاَ على رضى ربها عنها بل ما هو إلا فتنة ليس غير .

(32/3)

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62)

شرح الكلمات :

{ مشفقون } : أي خائفون .

{ لا يشركون } : أي بعبادته أحداً .

{ يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة } : أي خائفون أن لا يقبل منهم ذلك .

{ أنهم إلى ربهم راجعون } : أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم .

{ وهم لها سابقون } : أي بإذن الله وفي علمه .

{ ولا نكلف نفساً إلاَّ وسعها } : إلا طاقتها وما تقدر عليه .

{ ولدينا كتاب ينطق بالحق } : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق .

{ وهم لا يظلمون } : أي بنقض حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة على سيآتهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال الذين فرقوا الذين فرقوا دينهم فذهبت كل فرقة منهم بكتاب ومذهب ولقب ونعى عليهم ذلك التفرق وأمر رسوله أن يتركهم في غمرة خلافاتهم ويدعهم إلى حين يلقون جزاءهم عاجلاً أو آجلاً : أثنى تبارك وتعالى على عباده المؤمنين من أهل الخشية ، فقال وقوله الحق : { إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون } أي من عذابه خائفون من الوقوف بين يديه فهذه صفة لهم وآخرى { والذين هم بآيات ربهم يؤمنون } أي بحجج الله تعالى التي تضمنتها آياته يؤمنون أي يوقنون وثالثة : { والذين هم بربهم لا يشركون } أى في ذاته ولا صفاته ولاعباداته فيعبدونه بما شرع لهم موحدينه في ذلك ورابعة : { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون } . أي يؤتون الزكاة وسائر الحقوق والواجبات وقلوبهم خائفة من ربهم أن يكونوا قد قصروا فيما أوجب عليهم وخائفة أن لا يقبل منهم عملهم ، وذلك ناجم لهم من قوة إيمانهم برجوعهم إلى ربهم ووقوفهم بين يديه ومساءلته لهم : لم قدمت؟ لم أخرت؟ وقوله تعالى : { أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون } في هذا بشرى لهم إذ أخبر تعالى أنهم يسارعون في الخيرات ، وأنهم سبق ذلك لهم في الأزل فهنيئاً لهم . وقوله تعالى : { ولا نكلف نفساً إلا وسعها } فيه قبول عذر من بذل جهده في المسارعة في الخيرات ولم يلحق بغيره أعذره ربه فإنه لا خوف عليه ما دام قد بذلك جهده إذ هو تعالى { لا يكلف نفساً إلا وسعها } أي طاقتها وما يتسع له جهده .

وقوله : { ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون } فيه وعدٌ لأولئك المسارعين بالخيرات بأنَّ أعمالهم مكتوبة لهم في كتاب ينطق بالحق لا يخفى حسنة من حسناتهم ويستوفونها كاملة وفيه وعيد لأهل الشرك واللمعاصي بأنَّ أعمالهم محصاة عليهم قد ضمها كتاب صادق وسوف يجزون بها وهم لا يظلمون فلا تكتب عليهم سيئة لم يعملوها قط ولا يجزون إلاَّ بما كانا يكسبون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- فضيلة الخشية والإيمان والتوحيد والتواضع والمراقبة لله تعالى .

2- بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى .

3- تقرير قاعدة رفع الحرج في الدين .

4- تقرير كتابة أعمال العباد وإحصاء أعمالهم ومجازاتهم العادلة .

(33/3)

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (65) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (68) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (70)

شرح الكلمات :

{ في غمرة من هذا } : أي جهالة من القرآن وعمى .

{ ولهم أعمال من دون ذلك } : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي الخشية والإيمان بالآيات والتوحيد والمراقبة .

{ هم لها عاملون } : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله تعالى بها .

{ إذا هم يجأرون } : أي يصرخون بأعلى أصواتهم ضاجينّ مستغيثين ممَّا حلَّ تعالى بهم .

{ تنكصون } : أي ترجعون على أعقابكم كراهة سماعة القرآن .

{ مستكبرين به } : أي بالحرم أي كانوا يقولون : لا يظهر علينا فيه أحد لأنّا أهل الحرم .

{ سامراً تهجرون } : اي تسمرون بالحرم ليلاً هاجرين الحق وسماعه على قراءة فتح التاء وعلى قراءة ضمها تهجرون أي تقولوا الهجر من القول كالفحش والقبح .

{ رسولهم } : أي محمداً صلى الله عليه وسلم .

{ به جنّة } : أي مجنون .

معنى الآيات : { بل قلوبهم في غمرة من هذا } أي ليس الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون أنّا نمدهم بالمال مسارعة منا لهم في الخيرات لرضانا عنهم لا بل إن قلوبهم في غمرة وعمى من القرآن { ولهم أعمال من دون ذلك } أي دون عمل المؤمنين { هم لها عاملون } حتى تنتهي بمترفيهم إلى هلاكهم ودمارهم وقوله تعالى : { حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون } أي استمرت الأعمال الشركية الإجرامية حتى أخذ الله تعالى مترفيهم في بدر بعذاب القتل والأسر { إذا هم يجأرون } يضجون بالصراخ مستغيثين ، والله تعالى يقول لهم : { لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون } وذكر تعالى لهم ما كانوا عليه من التكذيب والاستكبار وقول الهجر موبخاً إياهم { قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون } هروباً من سماعها حال كونكم { مستكبرين به } أي بالحرم زاعمين أنكم أهل الحرم ، وأن أحداً لا يظهر عليكم فيه لأنكم أهله وقوله : { سامراً تهجرون } أي تسمرون بالليل تهجرون بذلك سماع الحق ودعوة الحق التي تُتلى بها عليكم آيات الله . وقد قرىء تُهجرون بضم التاء وكسر الجيم أي تقولن أنثاء سمركم في الليل الهجر من القول كالكفر وقول الفحش وما لا خير فيه من الكلام ، وكانوا كذلك .

وقوله تعالى : { أفلم يدبروا القول } الذي يسمعونه من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم { أم جاءهم } من الدين والشرع { ما لم يأت أباءهم الأولين } فقد جاءت رسل ونزلت كتب وهم يعرفون ذلك . أم لم يعرفوا رسولهم محمداً صلى الله عليه وسلم فهم له منكرون إنهم يعرفونه بصدقه وطهارته وكماله منذ نشأته وصباه إلى يوم أن دعاهم إلى الله { أم يقولون به جنّة } أي جنون وأين الجنون من رجل ينطق بالحكمة ويعمل بها ويدعو إليها { بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون } ، وهذا هو سرُّ إعراضهم واستكبارهم – إنه كراهيتهم للحق لطول ما ألفوا الباطل وعاشوا عليه ، وهذه سنة البشر في كل زمان ومكان .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1– غمرة الجهل والتعصب وعمى التقليد هي سبب إعراض الناس عن الحق ومعارضتهم له .

2– لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب أو نزوله .

3– بيان الذنوب التي أخذ بها مترفو مكة ببدر وهي هروبهم من سماع القرآن ونكوصهم عند سماعه على أعقابهم حتى لا يسمعوه واستكبارهم بالحرم واعتزازهم به جهلاً وضلالا واجتماعهم في الليالي الطوال يسمرون على اللهو وقول الباطل هاجرين سماع القرآن وما يدعو إليه من هدى وخير .

(34/3)

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77)

شرح الكلمات :

{ لو اتبع الحق أهواءهم } : أي ما يهوونه ويشتهونه .

{ أتيناهم بذكرهم } : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم فيه يذكرون ويُذكرون .

{ أم تسألهم خرجاً } : أي مالاً مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم .

{ فخراج ربك خير } : أي ما يرزقكه الله خير وهو خير الرازقين .

{ إلى صراط مستقيم } : أي إلى الإسلام .

{ عن الصراط لناكون } : أي عن الإسلام أي متنكبونه جاعلوه على منكب أي جانب عادلون عنه .

{ للجوُّا في طغيانهم يعمهون } : لتمادوا في طغيانهم مصرين عليه .

{ فما استكانوا } : أي ماذلوا ولا خضعوا .

{ إذا هم فيه مبلسون } : أي آيسون قنطون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقوله تعالى : { ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن } هذا كلام مستأنف لبيان حقائق أخرى منها أن هؤلاء المشركين لو اتبع الحقُّ النازل من عند الله والذي يمثله القرآن أهواءهم أي ما يهوونه ويشتهونه فكان يوافقهم عليه لأدى ذلك إلى فساد الكون كلع علويه وسفليه ، وذلك لأنهم أهل باطل لا يرون إلا الباطل ويصبح سيرهم معاكساً للحق فيؤدي حتما إلى خراب الكون وقوله تعالى : { بل أتيناهم بذكرهم } أي جئناهم بذكرهم الذي هو القرآن الكريم إذ به يذكرون وبه يُذكرون لأنه سبب شرفهم ، وقوله ك { فهم عن ذكرهم معرضون } ، فهم لسوء حالهم وفساد قلوبهم معرضون عما به يذكرون ويذكرون ، وقوله تعالى : { أم تسألهم خرْجاً } أي أجراً ومالاً { فخراج ربّك خير } أي ثواب ربِّك الذي يثيبك به خير وهو تعالى خير الرازقين وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسألهم عن التبليغ أجراً وقوله تعالى : { وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم } أي إلى الإسلام طريق السعادة والكمال في الدنيا والآخرة ، وقوله تعالى : { وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط الناكبون } أي علة تنكبَهم أي ابتعادهم عن الإسلام هو عدم إيمانهم بالآخرة ، وهو كذلك فالقلب الذي لا يعمره الإيمان بلقاء الله والجزاء يوم القيامة صاحبه ضد كل خير ومعروف ولا يؤمل منه ذلك لعلة كفره بالآخرة .

وقوله تعالى : { ولو رحمنا وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون } يخبر تعالى أنه لو رحم أولئك المشركين المكذبين بالآخرة ، وكشف ما بهم من ضر أصابهم من قحط وجدب وجوع ومرض لا يشكرون الله ، بل يتمادون في عتوهم وضلالهم وظلمهم يعمهون حيارى يترددون ، وقوله تعالى : ولقد أخذناهم بالعذاب } وهي سنوات الجدب والقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابهم من قتل وجراحات وهزائم في بدر . وقوله : { فما استكانوا لربهم وما يتضرعون } فما ذلوا لربهم وما دعوه ولا تضرعوا إليه بل بقوا على طغيانهم في ضلالهم ومرد هذا ظلمة النفوس الناتجة عن الشرك والمعاصي .

(35/3)

وقوله تعالى : { حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد } وهو معركة بدر وما أصاب المشركين من القتل { إذ هم فيه ملبسون } أي آيسون من كل خير حزنون قنطون وذلك لظلمة نفوسهم بالشرك والمعاصى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- خطر اتباع الهوى وما يفضي إليه من الهلاك والخسران .

2- الصراط المسقيم الموصل إلى السعادة والكمال هو الإسلام لا غير .

3- التكذيب بيوم القيامة وما يتم فيه من حساب وجزاء هو الباغث على كل شر والمانع من كل خير .

4- من آثار ظلمة النفس نتيجة الكفر اليأس والقنوط والتمادي في الشر والفساد .

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (78) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (79) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (81) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (83)

شرح الكلمات :

{ أنشأ لكم السمع } : أي خلق وأوجد لكم الأسماع والأبصار .

{ والأفئدة } : جمع فؤاد وهو القلب .

{ قليلا ما تشكرون } : أي ما تشكرون إلاّ قليلا .

{ ذرأكم } : أي خلقكم .

{ وإليه تحشرون } : أي تجمعون إليه بعد إحيائكم وخروجكم من قبوركم .

{ وله اختلاف الليل والنهار } : أي إليه تعالى إيجاد الليل والنهار وظلمة الليل وضياء النهار .

{ أفلا تعقلون } : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق .

{ إلا أساطير الأولين } : أي ما تقولون من البعث والحياة الثانية ما هو إلا حكايات وأساطير وأخبار الأولين ، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية مسطرة مكتوبة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيمان به بعرض الأدلة العقلية عليهم لعلهم يؤمنون فقال تعالى لهم : { وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة } أي الله الذي خلق لكم أسماعكم وأبصاركم وقلوبكم قادر على إحيائكم بعد موتكم وحشركم إليه تعالى ليحاسبكم ويجزيكم ، وقوله : { قليلاً ما تشكرون } يوبخهم تعالى على كفرانهم نعمه عليهم ، إذ أوجد لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم يحمدوه على ذلك ولم يشكروه بالإيمان به وبطاعته ، وقوله تعالى : { وهو الذي ذرأكم في الأرض } أي خلقكم في الأرض ، { وإليه تحشرون } إذ الذي قدر على خلقكم في الأرض قادر على خلقكم في أرض أخرى بعد أن يميتكم ويحشركم أي يجمعكم إليه ليحاسبكم ويجزيكم . وقوله : { وهو الذي يحيي ويميت } أي يحيي النطفة بجعلها مضغة لحم ثم ينفخ فيها الروح فتكون بشراً ، ويميتكم بعد انقضاء آجالكم أليس هذا قادراً على إحيائكم بعد موتكم .

وقوله تعالى : { وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون } أي ولله تعالى اختلاف الليل والنهار بإيجادهما وتعاقبهما وإدخال أحدهما في الآخر أفلا تعقلون أنَّ من هذه قدرته وتصاريفه في خلقه قادر على بعثكم بعد إماتتكم وقوله تعالى : { بل مقالوا مثل ما قال الأولون } أي بدل أن يؤمنوا باليوم الآخر لِما دَلْ عليه من هذه الأدلة التي لا يردها عاقل ولا ينكرها عقل عادوا فقالوا قوله المنكرين من الأمم قبلهم : { قالوا أإذا متنا وكنا تراباً إنا لمبعوثون } وهو انكار صريح منهم للبعث الآخر . وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى عنهم ، وهم يعلنون تكذيبهم لله تعالى ورسوله : { ولقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين } أي لقد وعد هذا آباؤبا من قبل ولم يحصل ما هذا الذي يقال إلا

أساطير أي حكايات سطرها الأولون في كتبهم فهي تروى ويتناقلها الناس ولا حقيقة لها ولا وجود .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب الشكر لله تعالى بطاعته على نعمه ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب .

2- تقرير عقدية البعث والجزاء بما تضمنت الآيات من الأدلة العديدة على ذلك .

3- سوء التقليد وآثارة في السلوك الإنساني بحيث ينكر المقلد عقله .

(37/3)

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92)

شرح الكلمات :

{ قل أفلا تذكرون } : فتعلمون أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً قادر على البعث وأنه لا إله إلا هو .

{ قل أفلا تتقون } : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء .

{ من بيده ملكوت كل شيء } : أي ملك كل شيء يتصرف فيه كيف يشاء .

{ وهو يجير ولا يجار عليه } : يحفظ وحيمي من يشاء ولا يُحمى عليه ويحفظ من أراده بسوء .

{ فأنى تسحرون } : أي كيف تخدعون وتصرفون عن الحق .

{ بل أتيناهم بالحق } : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء .

{ ولعلا بعضهم على بعض } : أي قهراً وسطاناً .

{ عما يصفون } : أي من الكذب كزعمهم أن لله ولداً وأن له شريكاً وأنه غير قادر على البعث .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقال تعالى لرسوله قل لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث والجزاء { لمن الأرض ومن فيها } من المخلوقات { إن كنتم تعلمون } من هي له فسموه . ولما لم يكن لهم من بُدٍّ أن يقولوا { لله } أخبر تعالى أنهم سيقولون لله . إذاً قل لهم : { أفلا تذكرون } فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يصلح أن يكون له شريك من عباده ، وهو رب كل شيء ومليكه ، وقوله : { قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم } أي سَلْهُمْ من هو رب السموات السبع وربّ العرش العظيم . الذي أحاط بالملكوت كله ، أي من هو خالق السموات السبع ، ومن فيهن ومن خالق العرش العظيم ومالك ذلك كله والمنصرف

فيه ، ولما لم يكن من جواب سوى الله أخبر تعالى أنهم سيقلون الله أي خالقها وهي لله ملكا وتدبيرا وتصريفا إذا قل لهم يا رسولنا { أفلا تتقون } أي الله وأنتم تنكرون عليه قدرته في إحياء الناس بعد موتهم وتجعلون له أندادا تعبدونها معه ، أما تخافون عقابه أما تخشون عذابه وقوله تعالى : { قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه } أي سلهم يا رسولنا فقل لهم من بيده ملكوت كل شيء أي ملك كل شيء وخزائنه؟ وهو يجير من يشاء أي يحمي ويحفظ من يشاء فلا يستطيع أحد أن يمسه بسوء ولا يجار عليه ، أي ولا يستطيع أحد أن يجير أي يحمي ويحفظ عليه أحداً أراده بسور وقوله : { إن كنتم تعلمون } أي إن كنتم تعلمون أحداً غير الله بيده ملكوت كل شيء ويجير ولا يجار عليه فاذكروه ، ولما لم يكن لهم أن يقولوا غير الله ، أخبر تعالى أ ، هم سيقلون الله أي هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهي لله خلقاً وملكاً وتصرفاً إذاً قل لهم { فأنى تسحرون؟ } أي كيف تخدعون فتصرفون عن الحق فتعبدون غير الخالق الرازق ، وتنكرون على الخالق إحياء الأموات وبعثهم وهو الذي أحياهم أولاً ثم أماتهم ثانياً فكيف ينكر عليه إحياءهم مرة أخرى وقوله تعالى : { بل أتيناهم بالحق } أي ليس الأمر كما يتوهمون ويخيل إليهم بل أتيناهم بذكرهم الذي هو القرآن به يذكرون لأنه ذكرى وذكر ، وبه يذكرون لأنه شرف لهم وإنهم لكاذبون في كل ما يدعون ويقولون .

(38/3)

{ ما اتخذ الله من ولد } ولا بنت ، { وما كان معه من إله } ولا ينبغي ذلك ، والدليل المنطقي العقلي الذي لا يرد و أنه لو كان مع الله إله آخر لقاسمه الملك وذهب كل إله بما خلق ، ولحارب بعضهم بعضاً وعلا بعضهم على بعض غلبة وقهراً وقوله تعالى : { سبحان الله } تنزيهاً لله تعالى عما يصفه به الواصفون من صفات العجز كاتخاذ الولد والشريك ، والعجز عن البعث ، وقوله تعالى : { عالم الغيب والشهادة } أي ما ظهر وما بطن ، وما غاب وما حضر فلو كان معه آلهة أخرى لعرفهم وأخبر عنهم ولكن هيهات هيهات أن يكون مع الله إله آخر وهو الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء { فتعالى عما يشركون } علواً كبيراً وتنزه تنزهاً عظيماً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل وتأنيب المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته .

2- تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته .

3- تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد وإبطال ترهات المفترين .

4- الإستدلال العقلي ومشروعيته والعمل به لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

(39/3)

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (95) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (96) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)

شرح الكلمات :

{ إما تريني ما يوعدون } : أي إن تُريني من العذاب .

{ ادفع بالتي هي أحسن } : اي ادفع بالخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم .

{ من همزات الشياطين } : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده .

{ أن يحضرون } : أي في أموري حتى لا يفسدوها علي .

{ جاء أحدهم الموت } : أي رأى علاماته ورآه .

{ برزخ } : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا ، وإن عاد بالبعث فلا عما يقبل .

معنى الآيات :

في هذا السياق تهديد للمشركين الذين لم ينتفعوا بتلك التوجيهات التي تقدمت في الآيات قبل هذه ، فأمر الله تعالى رسوله أن يدعوه ويضرع إليه إن هو أبقاه حتى يحين هلاك قومه ، أن لا يهلكه معهم فقال : { قل رب إما تريني } أي أن تريني { ما يوعدون } أي من العذاب ، { رب فلا تجعلني في القوم الظالمين } بل أخرجني منهم وأبعدني عنهم حتى لا أهلك معهم . وقوله تعالى : { وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون } يخبر تعالى رسوله بأنه قادر على إنزال العذاب الذي وعد به المشركين إذا لم يتوبوا قبل حلوله بهم .

وقوله : { ادفع بالتي هي أحسن } هذا قل أمره بقتالهم : أمره بأن يدفع ما يقولونه له في الكفر والتكذيب بالخُلَّة والخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم وعدم الإلتفاف إليهم . وقوله : { ونحن أعلم بما يصفون } أي من قولهم لله شريك وله ولد ، وأنه ما أرسل محمداً رسولاً ، وأنه لا بعث ولا حياة ولا نشور يوم القيامة وقوله : { وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون } لما علمه الاحتراز والتحصُّن من المشركين بالصفح والإعراض أمره أن يتحصن من الشياطين بالإستعاذة بالله تعالى فأمره أن يقول { رب } أي يا رب { أعوذ بك } أي استجير بك من همزات الشياطين أي وساوسهم حتى لا يفتنوني عن ديني وأعوذ بك أن يحضروا أمري فيفسدوه علي .

وقوله تعالى : { حتى إذا جاء أحدهم الموت } أي إذا حضر أحد أولئك المشركين الموت أي رأى ملك الموت وأعوانه وقد حضروا لقبض روحه { قال رب ارجعون } أي أخروا موتي كي أعمل صالحاً فيما تركت العمل فيه بالصلاح ، وفيما ضيعت من واجبات قال تعالى رداً عليه { كلا } أي لا رجوع أبداً ، { إنها كلمة هو قائلها } لا فائدة منها ولا نفع فيها ، { ومن ورائهم برزخ } أي حاجز مانع من العودة إلى الحياة وهو أيام الدنيا كلها حتى إذا انقضت عادوا إلى الحياة ، ولكن ليست حياة عمل وإصلاح ولكنها حياة حساب وجزاء هذا معنى قوله : { ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون } .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مشروعية الدعاء والترغيب فيه وإنه لذو جدوى للمؤمن .

2- استحباب دفع السيء من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه .

3- مشروعية الإستعاذة بالله تعالى من وساوس الشياطين ومن حضورهم أمر العبد الهام حتى لا يفسدوه عليه بالخواطر السيئة .

4- موعظة المؤمن بحال من يتمنى العمل الصالح عند الموت فلا يُمكن منه فيموت بندمه وحسرته ويلقى جزاء تفريطه حرماناً وخسراناً في الدار الآخرة .

(40/3)

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107)

شرح الكلمات :

{ في الصور } : أي في القرن المعبر عنه بالبوق نفخة القيام من القبور للحساب والجزاء .

{ المفلحون } : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

{ تلفح وجوههم النار } : أي تحرقها .

{ وهم فيها كالحون } : الكالح من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه .

{ ألم تكن آياتي تتلى عليكم } : أي يوبخون ويذكرون بالماضي ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات آيات القرآن .

{ غلبت علينا شقوتنا } : أي الشقاوة الأزلية التي تكتب على العبد في كتاب المقادير قبل وجوده .

{ أخرجنا منها فإن عدنا } : أي من النار فإن عدنا إلى الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والدعوة إلى ذلك وعرض الأدلة وتبيينها وتنويعها ، إذ لا يمكن استقامة إنسان في تفكيره وخلقه وسلوكه على مناهج الحق والخير إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بوجود الله تعالى ووجوب طاعته وتوحيده في عباداته ، وبالواسطة في ذلك وهو الوحي والنبي الموحي إليه ، وبالبعث الآخر الذي هو دور الحصاد لما زرع الإنسان في هذه الحياة من خير وشر فقوله تعالى : { فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون } هذا عرض لما يجرى في الآخرة فيخبر تعالى أنه إذا نفخ اسرافيل بإذن الله في الصور الذي هو القرن أي كقرن الشاة لقوله تعالى : { فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير } فلشدة الهول وعظيم الفزع لم يبق نسب يراعى أو يلتفت إليه بل كل واحد همه نفسه فقط ، ولا يسأل حميم حميماً وسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : هل تذكرون أهليكم يا رسول الله يوم القيامة فقال « أما عند ثلاثة فلا : إذا تطايرت الصحف ، وإذا وضع

الميزان وإذا نصب الصراط » ومعنى هذا الحديث واضح والشاهد منه ظاهر وهو أنهم لا يتساءلون .
وقوله تعالى : { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون } أي من رجحت كفة حسناته على كفة سيئآته أفلح أي نجا من النار وأدخل الجنة وَمن خفت موازينه بأن حصل العكس فقد خسر وَ أبعد عن الجنة وأدخل النار وهذا معنى قوله تعالى { ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون } أي تحرق وجوههم النار فيكلحون باحتراق شفاههم وتظهر أسنانهم وهو أبشع منظر وأسوأه وقوله تعالى : { ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون؟ } هذا يقال لهم تأنبياً وتوبيخاً وهم في جهنم وهو عذاب نفساني مع العذاب الجثماني { ألم تكن آياتي تتلى عليكم } أما كان رسلنا يتلون عليكم آياتنا { فكنتم بها تكذبون } بأقوالكم وأعمالكم أو بأعمالكم دون أقوالكم فلم تحرموا ما حرم الله ولم تؤدوا ما أوجب الله ، ولم تنتهوا عما نهاكم عنه .

(41/3)

وقوله تعالى : { قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا } هذا جوابهم كالمعتذرين بأن شقاءهم كان بقضاء وقدر فلذا حيل بينهم وبين الإيمان والعمل الصالح . وقوله تعالى : { وكنا قوماً ضالين } هذا قولهم أيضاً وهو اعتراف صريح بأنهم كانوا ضالين . ثم قالوا ما أخبر تعالى به عنهم بقوله : { ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون } هذا دعؤهم وهم في جهنم يسألون ربهم أن يردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويستقيموا على صراط الله المستقيم الذي هو الإسلام وسوف ينتظرون جواب الله تعالى ألف سنة ، وهو ما تضمنته الآيات التالية .

هداية الآيات :

من هداية الايات :

1- تقرير عقيدة البعث والجزاء من خلال عرض أحداثها في هذه الآيات .

2- تقرير أن وزن الأعمال يوم القيامة حق وإنكاره بدعة مكفرة .

3- تقرير أن إسرافيل ينفخ في الصور وإنكار ذلك وتأويله بلفظ الصور كما فعل المراغي . عند تفسيره هذه الآية مع الأسف بدعة من البدع المنكرة ولذا نبهت عليها هنا حتى لا يغتر بها المؤمنون .

4- الإعتذار بالقدر لا ينفع صاحبه ، إذ القدر مستور فلا ينظر إليه والعبد مأمور فليؤتمر بأمر الله ورسوله ولينته بنهيهما ما دام العبد قادراً على ذلك فإن عجز فهو معذور .

(42/3)

قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)

شرح الكلمات :

{ إخسأوا } : أي أبعدوا في النار أذلاء مخزيين .

{ فريق من عبادي } : هم المؤمنون المتقون .

{ فاتخذتموهم سخرياً } : أي جعلتموهم محط سخريتكم واستهزائكم .

{ بما صبروا } : أي على الإيمان والتقوى .

{ هم الفائزون } : أي الناجون عن النار المنعمون في الجنة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { قال اخسأوا فيها ولا تكلمون } هذا جواب سؤالهم المتقدم حيث قالوا : { ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون } وعلل تعالى لحكمه فيهم بالإبعاد في جهنم أذلاء مخزيين يقوله : { إنه كان فريق من عبادي } وهو فريق المؤمنين المتقين يقولون { ربنا آمنا فاغفر لنا } ذنوبنا { وارحمنا وأنت خير الراحمين } أي يعبدوننا ويتقربون إلينا ويتوسلون بإيمانهم وصالح أعمالهم ويسألوننا المغفرة والرحمة وكنتم أنتم تضحكون من عبادتهم ودعائهم وضراعتهم إلينا وتسخرون منهم إني جزيتهم اليوم بصبرهم على طاعتنا مع ما يلاقون منكم من اضطهاد وسخرية . { أنهم هم الفائزون } برضواني في جناتي لا غيرهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان مدى حسرة أهل النار لما يجابون بكلمة : { اخسأوا فيها ولا تكلمون } .

2- فضيلة التضرع إلى الله تعالى ودعائه والتوسل إليه بالإيمان وصالح الأعمال .

3- حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به والضحك منه .

4- فضيلة الصبر ولذا ورد أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد .

(43/3)

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (114) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (118)

شرح الكلمات :

{ كم لبثتم في الأرض } : أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياء وأمواتاً في قبوركم؟

{ فاسأل العادين } : يريدون الملائكة التي كانت تعد ، وهم الكرام الكاتبون أو من يعد أما نحن فلم نعرف .

{ خلقناكم عبثاً } : أي لا لحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا .

{ فتعالى الله الملك الحق } : أي تنزه الله عن العبث .

{ لا برهان له } : الجملة صفة ل « إلهاً آخر » لا مفهوم إذ لا يوجد برهان ولا حدة على صحة عبادة غير الله تعالى إذا الخق كله مربوب لله مملوك له .

{ حسابه عند ربه } : أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع أهل النار المنكرين للبعث والتوحيد بقوله تعالى : { قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ } هذا سؤال طرح عليهم أي سألهم ربهم وهو أعلم بلبثهم كم لبثتم من سنة في الدنيا مدة حياتكم فيها ومدة لبثكم أمواتاً في قبوركم؟ فأجابوا قائلين { لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين } أي من كان يعد من الملائكة أو من غيرهم ، وهذا الإضطراب منهم عائد إلى نكرانهم للبعث وكفرهم في الدنيا به أولاً وثانياً أهوال الموقف وصعوبة الحال وآلام العذاب جعلتهم لا يعرفون أما أهل الإيمان فقد جاء في سورة الروم أنهم يجيبون إجابة صحيحة إذ قال تعالى : { ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يو م البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون } وقوله تعالى : { إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون } هذا بالنظر إلى ما تقدم من عمر الدنيا ، فمدة حياتهم وموتهم إلى بعثهم ما هي إلا قليل وقوله تعالى : { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون } ، هذا منه تعالى توبيخ لهم وتأنيب على إنكارهم للبعث أنكر تعالى عليهم حسبانهم وظنهم أنهم لم يخلقوا للعبادة وإنما خلقوا للأكل والشر والنكاح كما هو ظن كل الكافرين وأنهم لا يبعثون ولا يحاسبون ولا يجزون بأعمالهم . وقوله تعالى : { فتعالى الله الملك الحق } أي عن العبث وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وقوله : { لا إله إلا هو رب العرش الكريم } أي لا معبود بحق إلا هو { رب العرش الكريم } أي مالك العرش الكريم ووصف العرش بالكرم سائغ كوصفه بالعظيم والعرش سرير الملك وهو كريم لما فيه من الخير وعظيم إذ هو أعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات والأرض ، ولم لا يكون العرش كريماً وعظيماً ومالكه جل جلاله هو مصدر كل كرم وخير وعظمة .

وقوله تعالى : { ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له } أي ومن يعبد مع الله إلهاً آخر بالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو النذر والذبح ، وقوله : لا برهان له أي لا حجة له ولا سلطان على ومليكه وقوله تعالى : { فإنما حسابه عند ربه } أي الله تعالى ربه يتولى حسابه ويجزيه بحسب عمله وسيخسر خسراناً مبينا لأنه كافر والكافرون لا يفلحون أبداً فلا نجاة من النار ولا دخول للجنة بل حسبهم جهنم وبئس المهاد .

(44/3)

وقوله تعالى : { وقل رب اغفر وارحم } أي أمر الله تعالى رسوله أن يدعو بهذا الدعاء : رب اغفر لي وارحمني واغفر لسائر المؤمنين وارحمهم أجمعين فأنت خير الغافرين والراحمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- عظم هول يوم القيامة وشدة الفزع فيه فليتق ذلك بالإيمان وصالح الأعمال .

2- تنزه الله تعالى عن العبث واللهو واللعب .

3- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

4- كفر وشرك من يدعو مع الله إلهاً آخر .

5- الحكم بخسران الكافرين وعدم فلاحهم .

6- استحباب الدعاء بالمغفرة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات .

(45/3)

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3)

شرح الكلمات :

{ سورة أنزلناها } : أي هذه سورة أنزلناها .

{ وفرضناها } : أي فرضنا ما فيها من أحكام .

{ وأنزلنا فيها آيات بينات } : أي وأنزلنا ضمنها آيات أي حججاً واضحات تهديد إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

{ لعلكم تذكرون } : أي تتعظون فتعملون بما في السورة من أحكام .

{ الزانية } : من أفضت إلى رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة .

{ مائة جلدة } : أي ضربة على جلد ظهره .

{ رأفة } : شفقة ورحمة .

{ وليشهد عذابهما } : أي اقامة الحد عليهما .

{ طائفة } : أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولى من الثلاثة .

{ الزاني لا ينكح إلا زانية } : أي إلا زانية مثله أو مشركة لا يقع وطء إلاَّ على مثله .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { سورة أنزلناها } أي هذه سورة من كتاب الله أنزلناها أي على عبدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم { وفرضناها } أي وفرضنا ما اشتملت عليه من أحكام على أمة الإسلام ، وقوله : { لعلكم تذكرون } أي تتعظون فتعملون بما حوته هذه السورة من أوامر ونواه وآداب وخلاق وقوله تعالى : { الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة } أي من زنت برجل منكم أيها المسلمون وهما بكران حُرَّان غير محصنين ولا مملوكين فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة بعصا لا تشين جارحة ولا تكسر عضواً أي جلداً غير مبرح ، وزادت السنة تغريب سنة ، وقوله تعالى : { ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله } ، أي لا تشفقوا عليهما فتعلطوا حَدَّ الله تعالى وتحرموهما من التطهير بهذا الحد لأن الحدود كفارة لأصحابها ، وقوله : { إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر } أي فأقيموا عليهما الحد وقوله : { وليشهد عذابهما } أي إقامة الحد { طائفة من المؤمنين } أي ثلاثة أنفار فأكثر وأربعة أولى لأن شهادة الزنا تثبت بأربعة شهداء وكلما كثر العدد كان أولى وأفضل .

وقوله تعالى : { الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة } أي لا يطأ مثله من الزواني أو مشركة لا دين لها ، والزانية أيضاً لا يطأها إلا زانٍ مثلها أو مشرك { وحرم ذلك على المؤمنين } أي حرم الله الزنا على المؤمنين والمؤمنات ولازم هذا ان لا نزوج زانياً من عفيفة إلا بعد توبته ، ولا تزوج زانية من عفيف إلا بعد توبتها .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان حكم الزانية والزاني البكرين الحرين وهو جلد مائة وتغريب عام وأما الثيبان فالرجم إن كانا حرين أو جلد

خمسين جلدة لكل واحد منهما إن كانا غير حرين .

2- وجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين .

3- لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته ، ولا الزانية إلا بعد توبتها .

(46/3)

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

شرح الكلمات :

{ يرمون } : أي يقذفون .

{ المحصنات } : أي العفيفات والرجال هنا كالنساء .

{ فاجلدوهم } : أي حداً عليهم واجباً .

{ ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً } : لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات .

{ إلا الذين تابوا } : فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم .

معنى الآيتين :

بعد بيان حكم الزناة بين تعالى حكم القذف فقال : { والذين يرمون المحصنات } أي والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة وهي الزنا واللواط بأن يقول فلان زان أو لائط فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة فإن عليه أن يحضر شهوداً أربعة يشهدون أمام الحاكم على صحة ما رمى به أخاه المؤمن فإن لم يأت بالأربعة شهود أقيم عليه الحد المذكور في الآية : وهو جلد ثمانين جلدة على ظهره وتسقط عدابته حتى يتوب وهو معنى قوله تعالى : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدةً ولا تقبلوه لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون } أي عن طاعة الله ورسوله { إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا } بأن كذبوا أنفسهم بأنهم ما رأوا الفاحشة وقوله : { فإن الله غفور } فيغفر لهم بعد التوبة { رحيم } بهم يرحمهم ولا يعذبهم بهذا الذنب العظيم بعدما تابوا منه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان حد القذف وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنة بالفاحشة وكان المقذوف بالغاً عاقلاً مسلماً عفيفاً أي لم يعرف بالفاحشة قبل رمية بها .

2- سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته .

3- قبول توبة التائب إن كانت توبته صادقة نصوحاً .

(47/3)

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10)

شرح الكلمات :

{ يرمون أزواجهم } : أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول زنت أو الحمل الذي في بطنها ليس منه .

{ إنه لمن الصادقين } : اي فيما رماها به من الزنى .

{ ويدرأ عنها العذاب } : أي يدفع عنها حد القذف وهو هنا الرجم حتى الموت .

{ أن تشهد أربع شهادات } : أي شهادتها أربع شهادات .

{ والخامسة } : هي قولها غضب الله علهيا إن كان من الصادقين .

{ ولولا فضل الله عليكم } : أي لفضح القاذف أو المقذوف ببيان كذب أحدهما .

معنى الآيات :

بعد بيان حكم حد القذف العام ذكر تعالى حكم القذف الخاص وهو قذف الرجل زوجته فقال تعالى : { والذين يرمون أزواجهم } أي بالفاحشة { ولم يكن لهم شهداء } أي من يشهد معهم إلا أنفسهم أي إلا القاذف وحده فالذي يقول مقام الأربعة شهود هو أن يشهد أربع شهادات قائلاً : أشهد بالله لقد رأيتها تزني أو زنت أو هذا الولد أو الحمل ليس لي ويلتعن فيقول في الخامسة { لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين } أي فيما رمى به زوجته ، وهنا يعرض على الزوجة أن تقر بما رماها به زوجها ويقام عليها حد القذف وهو هنا الرجم ، أو تشهد أربع شهادات بالله أنها ما زنت ، والخامسة تدعو على نفسها بغضب الله فتقول { أن غضب اللهعليها إن كان من الصادقين } فيما رماها به ، وبذلك درأت عنها العذاب الذي هو الحد ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبداً . وقوله تعالى : { ولولا فضل الله عليكم ورحمته } جواب لولا محذوف تقديره لعاجلكم بالعقوبة ولفضح أحد الكاذبين : ولكن الله تواب رحيم فستر عليكم ليتوب من يتوب منكم ورحمكم بهذا التشريع العادل الرحيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته وهو اللعان .

2- بيان كيفية اللعان ، وأنه موجب لإقامة الحد ، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات والدعاء عليها في الخامسة وقولها { أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين } .

3- في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحي إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة والمحمدية .

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي
تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ
(12) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ
لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا
بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
(18)

شرح الكلمات :

{ بالإفك عصبة } : الإفك الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب ، والعصبة الجماعة .

{ شراً لكم بل هو خير } : الشر ما غلب ضرره على نفعه ، والخير ما غلب نفعه على ضرره ،

{ لكم } : والشر المحض النار يوم القيامة والخير المحض الجنة دار الأبرار .

{ والذي تولى كبره } : أي معظمه وهو ابن أبي كبير المنافقين .

{ لولا } : أداة تحضيض وحث بمعنى هَلاّ .

{ فيما أفضتم فيه } : أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ .

{ إذ تلقونه } : أي تتلقونه أي يتلقاه بعضكم من بعض .

{ وتحسبونه هيناً } : أي من صغائر الذنوب وهو عند الله من كبائرها لأنه عرض مؤمنة هي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

{ سبحانك } : كلمة تقال عند التعجب والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به .

{ بهتان عظيم } : البهتان الكذب الذي يحيّر من قيل فيه .

{ يعظكم الله } : أي ينهاكم نهياً مقروناً بالوعيد حتى لاتعودوا لمثله أبداً .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلق لا يحصون عدداً إذا طائفة الشيعة الروافض ما زالوا يهلكون فهيا جيلاً بعد جيل إلى اليوم إذ وَرَّثَ فيهم رؤوساء الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وأمته جزءاً كبيراً سموه شيعة آل البيت تضليلاً وتغريراً فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام وأوردهم النار باسم الخوف من النار فكذبوا الله ورسوله وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة وأهانوا أباها ولوثوا شرف زوجها صلى الله عليه وسلم بنسبة زوجه إلى الفاحشة .

وخلاصة الحادثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن فرض الحجاب على النساء المؤمنات خرج إلى غزوة تدعى غزوة بني المصطلق او المريسيع ، ولما كان عائداً منها وقارب المدينة النبوية نزل ليلاً وارتحل ، ولما كان الرجال يرحلون النساء على الهوادج وجدوا هودج عائشة رضي الله عنها لأنها ذكرت عقداً لها قد سقط منها في مكان تبرزت

فيها فعادت تلتمس عقدها فوجدت الجيش قد رحل فجلست في مكانها لعلهم إذا افتقدوها رجعوا إليها وما زالت جالسة تنظر حتى جاء صفوان بن معطل السلمي رضى الله عنه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عينه في الساقة وهم جماعة يمشون وراء الجيش بعيداً عنه حتى إذا تأخر شخص أو ترك متاع أو ضاع شيء يأخذونه ويصلون به إلى المعسكر فنظر فرآها من بعيد فأخذ يسترجع أي يقول إنا لله وإنا إليه راجعون آسفاً لتخلف عائشة عن الركب قالت رضي الله عنها فتجلبت بثيابي وغطيت وجهي وجاء فأناخ راحلته فركبتها وقادها بي حتى انتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعسكر ، وما إن رآني ابن أبي لعنة الله لعيه حتى قال والله ما نجت منه ولا نجا منه ، وروج للفتنة فاستجاب له ثلاثة أنفار فرددوا ما قال وهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش ، { والذي تولى كبره } هو ابن أبي المنافق وتورط آخرون ولكن هؤلاء الأربعة هم الذين أشاعوا وراجت الفتنة في المدينة واضطربت لها نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفوس أصحابه وآل بيته فأنزل الله هذه الآيات في براءة أم المرمنين عائشة رضى الله عنها وبراءة صفوان رضى الله عنه ، ومن خلال شرح الآيات تتضح جوانب القصة .

(49/3)

قال تعالى : { إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم } أي إن الذين جاءوا بهذا الكذب المقلوب إذ المفروض أن يكون الطهر والعفاف لكل من أم المؤمنين وصفوان بدل الرمي بالفاحشة القبيحة فقلبوا القضية فلذا كان كذبهم إفكاً وقوله : { عصبة } أي جماعة لا يقل عادة عدده على عشرة أنفار إلا أن الذين روجوا الفتنة وتورطوا فيها حقيقة وأقيم عليهم الحد أربعة ابن أبي وهو الذي تولى كبره منهم وتوعده الله بالعذاب العظيم لأنه منافق كافر مات على كفره ونفاقه ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش اخت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها وحسان بن ثابت رضى الله عنه ، وقوله تعالى : { لا تحسبوه شراً لكم } لما نالكم من هم وغم وكرب من جرائه { بل هو خير لكم } لما كان له من العاقبة الحسنة وما نالكم من الأجر العظيم من أجل عظم المصاب وشدة الفتنة وقوله تعالى : { لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم } على قدر ما قال وروج وسيجزي به إن لم يتب الله تعالى عليه ويعفو عنه .

وقوله : { والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم } وهو عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين عليه لعنة الله .

وقوله تعالى : { لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا غفك مبين } هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل : { لولا } أي هلا وهي للحض والحث على فعل الشيء إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة ، وقلتم لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم ما فعلتم .

وقوله تعالى : { لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فألوئك عند الله عن الكاذبون } أي كان المفروض فيكم أيها المؤمنون أنكم تقولون هذا لمن جاء بالأفك فإنهم لا يأتون بشاهد فضلاً عن أربعة وبذلك تسجلونعليهم لعنة الكذب في حكم الله . وقوله تعالى : { ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم } هذه منة من الله تحمل أيضاً عتاباً واضحاً غذ بولوغكم في عرض أم المؤمنين ، وما كان لكم أن تفعلوا ذلك قد استوجبتم العذاب لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب العظيم .

(50/3)

وقوله : { إذ تلقونه بألسنتكم } أي يتلقاه بعضكم من بعض ، { وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم } وهذا عتاب وتأديب . وقوله : { وتحسبونه هينا } أي ليس بذنب كبير ولا تبعة فيه { وهو عند الله عظيم } ، وكيف وهو يمس عرض رسول الله وعائشة والصديق وآل البيت آجمعين .

وقوله تعالى : { ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا } إذ هذه مما لا يصح لمؤمن أن يقول فيه لخطره وعظم شأنه ، وقلتم متعجبين من مثله كيف يقع { سبحانك } أي يا رب { هذا } أي الإفك { بهتان عظيم } بهتوا به أم المؤمنين وصفوان .

وقوله : { يعظكم الله } أي ينهاكم الله مخوفاً لكم بذكر العقوبة الشديدة { أن تعودوا لمثله أبداً } أي طول الحياة فأياكم إياكم إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقاً فلا تعودوا لمثله أبداً ، وقوله : { ويبين الله لكم الآيات } التي تحمل الهدى والنور لترشدوا وتكملوا والله عليم بخلقه وأعمالهم وأحوالهم حكيم فيما يشرع لهم من أمر ونهي .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له .

2- بشاعة الإفك وعظيم جرمه .

3- العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة .

4- واجب المؤمن أن لا يصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة ، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذاً أنت عند الله من الكاذبين .

5- حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك .

(51/3)

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)

شرح الكلمات :

{ أن تشيع الفاحشة } : أي تعم المجتمع وتنتشر فيه والفاحشة هي الزنا .

{ ولولا فضل الله عليكم ورحمته } : جواب لولا محذوف تقديره : لعاجلكم بالعقوبة أيها العصبة .
{ خطوات الشيطان } : نزغاته ووساوسه .
{ ما زكى منكم من أحد أبداً } : أي ما طهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس الإثم .
{ ولا يأتل أولوا الفضل منكم } : أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه .
{ والسعة } : أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلى الغير .

معنى الآيات :

ما زال السياق في عتاب لامؤمنين الذين خاضوا في الإفك فقوله تعالى : { إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة } أي تنتشر وتشتهر { في الذين آمنوا } أي في المؤمنين { هم عذاب أليم في الدنيا } بإقامة حد القذف عليهم وإسقاط عدالتهم وفي الآخرة إن لم يتوبوا بإدخالهم نار جهنم ، وكفى بهذا الوعد زاجراً ورادعاً وقوهل تعالى : { والله يعلم وأنتم لا تعلمون } أي ما يترتب على حب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين من الآثار السيئة فلذا توعد من يحبها بالعذاب الأليم في الدارين ، وأوجب رد الأمور إليه تعالى وعدم الاعتراض على ما يشرع وذلك لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله : { ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم } لهلكتم بجهلكم وسوء عملكم ، ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم .

وقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان } أي يا من صدقتم الله ورسوله لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فميا يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر ، ففاصلوا هذا العدو ، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لا ينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى وقوله تعالى : { ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً } وهذه منة أخرى وهي أنه لولا فضل الله على المؤمنين ورحمته رحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليطهر منهم أحد ، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطر للاستجابة لعدوهم ، فعلى الذين شعروا بكمالهم ؛ لأنهم نجوما مما وقع فيه عصبة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم ، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه اخوانهم ، فليحمدوا الله الذين نجاهم وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له ، وقوله : { ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم } أي فمن شاء الهل تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه ، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية ، ومن لا فلا ، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى : { ولا يأتل أولوو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا } هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة وهوالنور ابن خالته ، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ، ووقع في الإفك فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يرفده به من طعام وشراب ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ولا يأتل أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش أن يؤتوا أولى القربى أي أن يعطوا أصحاب القرابة ، والمساكين والمهاجرين في سبيل الله كمسطح ، وليعفو أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين ، وليصفحوا أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكرونهم به فإنه يحزنهم ويسوءهم ولا سيما وقد تابوا وأقيم الحد

عليهم وقوله تعالى : { ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ } فقال أبو بكر بلى والله أحب أن يغفر الله لي فعندها صفح وعفا وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه فقال كفر عن يمينك ورد الذي كنت تعطيه لمسطح .

(52/3)

وتقرر بذلك أن من حلف يميناً على شيء فرأى غيره خيراً منه كفر عن يمينه وتى الذي هو خير .

وقوله تعالى : { والله غفور رحيم } فهذا إخبار منه تعالى أنه ذو المغفرة والرحمة وهما من صفاته الثابة له وفي هذا الخبر تطميع للعباد لأن يرجوا مغفرة الله ورحمته وذلك بالتوبة الصادقة والطلب الحثيث المتواصل لأن الله تعالى لا يغفر لمن لا يستغفره ، ولا يرحمن من لا يرجو ويطلب رحمته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- لقبح فاحشة الزنى وضع الله تعالى لمقاومتها أموراً منها وضع حد شرعي لها ، ومنع تزويج الزاني من عفيفة أو عفيفة من زانٍ إلا بعد التوبة ، ومنها شهود عدد من المسلمين إقامة الحد ومنها حد القذف ومنها اللعان بين الزوجين ، ومنها حرمة ظن السوء بالمؤمنين ، ومنها حرمة حب ظهور الفاحشة وإشاعتها في المؤمنين ، ومنها وجوب الإستئذان عند دخول البيوت المسكونة ، ومنها وجبو غض البصر وحرمة لانظر إلى الأجنبية ، ومنها احتجاب المؤمنة عن الرجال الأجانب ومنها حرمة حركة ما كضرب الأرض بالأرجل لإظهار الزينة . ومنها وجوب تزويج العزاب والمساعدة على ذلك حتى في العبيد بشروطها ، ومنها وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم ، وهذه وغيرها كلها أسباب واقية من أخطر فاحشة وهي الزنى .

2- حرمة إتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر .

3- متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر .

4- على من حفظه الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم .

5- من حلق على شيء لا يفعله أو يفعله ورأى أن غيره خيرٌ منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير .

6- وجوب العفو والصفح على ذوي المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا .

(53/3)

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26)

شرح الكلمات :

{ يرمون المحصنات } : أي العفيفات بالزنى .

{ الغافلات } : أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعله .

{ المؤمنات } : أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده .

{ يعملون } : أي من قول أو عمل .

{ يوفيهم الله دينهم الحق } : أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم .

{ الخبيثات } : الخبيثات من النساء والكلمات .

{ للخبيثين } : للخبيثين من الرجال .

{ والطيبات } : من النساء والكلمات .

{ للطيبين } : أي من الرجال .

{ أولئك مبرءون مما يقولون } : أي صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنهما أي مبرءون عصبة الإفك .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة } هذه الآية وإن تناولت ابتداءً عبد الله بن أبي فإنها عامة في كل من يقذف مؤمنة محصنة أي عفيفة غافلة لسلامة صدرها من الفواحش لا تخطر ببالها { لعنوا } أي أبعدوا من الرحمة الإلهية { في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم } في الدنيا بإقامة الحد عليهم وفي الآخرة بعذاب النار ، وذلك { يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون } من سوء الأفعال وقوله تعالى : { يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق } أي يتم ذلك يوم يوفيهم الله دينهم الحق أي جزاءهم الواجب عليهم ويعلمون حينئذ أن الله هو الحق المبين أي الإله الحق الواجب الإيمان به والطاعة له والعبودية الكاملة له لا لغيره .

وقوله تعالى : { الخبيثات للخبيثين } أي الخبيثات من النساء والكلمات للخبيثين من الرجال كابن أبي ، { والخبيثون للخبيثات } أي والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والكلمات وقوله : { والطيبات للطيبين } أي والطيبات من النساء والكلمات للطيبين من الرجال كالنبي صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها وقوله : { والطيبون للطيبات } أي والطيبون من الرجال كالطيبات من النساء والكلمات تأكيد للخبر السابق وقوله تعالى : { أولئك مبرؤون مما يقولون } أولئك إشارة إلى صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنها ، ومبرؤون أي من قالة السوء الت يقالها ابن أُبي ومن أذاعها معه . وقوله : { لهم مغفرة ورزق كريم } هذه بشرى لهم بالجنة مقابل ما نالهم من ألم الإفك الذي جاءت به العصبة المتقدم ذكرها إذ أخبر تعالى أن لهم مغفرة لذنوبهم التي لا يخلو منها مؤمن وهو الستر عناه ومحوها ورزقاً كريماً في الجنة .

وبهذه تمت براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها والحمد لله أولاً وآخراً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- عَظِمُ ذنب قذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقد عده رسول الله صلى الله عليه وسلم في السبع الموبقات ، والعياذ بالله تعالى .

2- تقرير الحساب وما يتم فيه من استنطاق واستجواب .

3- تقرير التوحيد بأنه لا إله إلا الله .

4- استحقاق الخبث أهله . فالخبيث هو الذي يناسبه القول الخبيث والفعل الخبيث .

5- استحقاق الطيب أهله فالطيب هو الذي يناسبه القول الطيب والفعل الطيب .

6- براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماها به أهل الإفك .

7- بشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما .

(54/3)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29)

شرح الكلمات :

{ آمنوا } : ي صدقوا الله ورسوله فميا أخبرا به من الغيب والشرع .

{ تستأنسوا } : أي تستأذنوا إذ الاستئذان من عمل الإنسان والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي .

{ وتسلموا على أهلها } : أي تقولوا السلام علسكم أأدخل ثلاثا .

{ تذكرون } : أي تذكرون أنكم مؤمنون ، وأن الله أمركم بالإستئذان .

{ أزكى لكم } : أي أطهر وأبعد عن الريبة والإثم .

{ ليس عليكم جناح } : أي إثم ولا حرج .

{ فيها متاع لكم } : أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها . { ما تبدون } : أي ما تظهرونه .

{ وما تكتمون } : أي ما تخفونه إذاً فراقبوه تعالى ولا تضمروا ما لا يرضى فإنه يعلمه .

معنى الآيات :

نظراً إلى خطر الرمي بالفاحشة وفعلها وحرمة ذلك كان المناسب هنا ذكر وسيلة من وسائل الوقاية من الوقوع في مثل ذلك ففرض الله تعالى على المؤمنين الإستئذان فقال : { يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها } أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً لا تدخلوا بيوتاً على أهلها حتى تسلموا عليهم قائلين السلام عليكم وتستأذنوا قائلين أندخل ثلاث مرات فإن أذن لكم بالدخول دخلتم وإن قيل لكم ارجعوا أي لم يأذنوا لكم لحاجة عندهم فارجعوا وعبر عن الإستئذان بالاستئناس لأمرين أولهما أن لفظ الإستئناس وارد في لغة العرب بمعنلإستئذان وثانيهما : أن الإستئذان من خصائص الإنسان الناطق وعدمه من خصائص الحيوان المتوحش إذ يدخل على المنزل بدون إذن إذ ذاك ليس من خصائصه .

وقوله { ذلك خير لكم } أي الإستئذان خير لكم أي من عدمه لما فيه من الوقاية من الوقوع في الإثم وقوله : { لعلكم

تذكرون } أي تذكرون أنكم مؤمنون وأن الله تعالى أمركم بالإستئذان حتى لا يحصل لكم ما يضركم وبذلك يزداد إيمانكم وتسموا أرواحكم . وقوله تعالى : { وإن قيل لكم ارجعوا } لأمرٍ اقتضى ذلك { فارجعوا } وأنتم راضون غير ساخطين . وقوله تعالى : { هو أزكى لكم } أي أطهر لنفوسكم وأكثر عائدة خير عليكم وقوله تعالى : { والله بما تعملون عليم } أي مطلع على أ؛والكم فتشريعه لكم الإستئذان واقع موقعه إذاً فأطيعوه فيه وفي غيره تكملوا وتسعدوا .

وقوله : { ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم } . هذه رخصة منه تعالى لعباده المؤمنين بأن لا يستأذنوا عند جخولهم بيوتاً غير مسكونة أي ليس فيها نساء من زوجات وسريات يحرم النظر إليهن وذلك كالدكاكين والفنادق وما إلى ذلك فللعبد أن يدخل لقضاء حاجاته المعبر عنها بالمتاع بدون استئذان لأنها مفتوحة للعموم من أصحاب الأغراض والحاجات أما السلام فسنة على من دخل على دكان أو فندق فليقل السلام عليكم والذي يسقط هو الإستئذان أي طلب الإذن لا غير .

وقوله تعالى : { والله يعلم ما تبدون وما تكتمون } أي يعلم ما تظهرون من أقوالكم وأعمالكم وما تخفون إذاً فراقبوه تعالى في أوامره وفاعلوا المأمور واتركوا المنهي تكملوا وتسعدوا في الدنيا الآخرة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مشروعية الإستئذان ووجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته .

2- الرخصة في عدم الإستئذان من دخول البيوت والمحلات غير المسكونة للعبد فيها غرض .

3- من آداب الإستئذان أن يقف بجانب الباب فلا يعترضه ، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً وأن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات .

4- في كل طاعة خير وبركة وإن كانت كلمة طيبة .

(55/3)

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)

شرح الكلمات :

{ يغضوا من أبصارهم } : أي يخفضوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لا يحل لهم أن ينظروا إليهن .

{ ويحفظوا فروجهم } : أي يصونونها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة الزنى واللواط .

{ أزكى لهم } : أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات .

{ ولا يبدين زينتهن } : أي مواضع الزينة الساقين حيث يوضع الخلخال ، وكالكفين والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء والرأس حيث الشعر والأقراط في الأذنين والتزجيج في الحاجبين والكحل في العينين والعنق والصدر حيث السخاب والقلائد .

{ إلا ما ظهر منها } : أي بالضرورة دون اختيار وذلك كالكفين لتناول شيئاً والعين الواحدة أو الاثنتين للنظر بهام ، والثياب الظاهرة كالخمار العجار والعباءة .

{ بخمرهن على جيوبهن } : أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لا يبدو شيىء من جسمها .

{ إلا لبعولتهن } : البعل الزوج والجمع بعول .

{ أو نسائهن } : أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة أمامهن .

{ أو ما ملكت أيمانهن } : أي العبيد والجواري فللمسلمة أن تكشف وجهها لخادمها المملوك .

{ أو التابعين غيرأولي الإربة } : أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن لا حاجة لهم إلى النساء .

{ أو الطفل } : أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ .

{ لم يظهروا على عورات النساء } : أي لم يبلغوا سناً تدعوهم إلى الاطلاع على عورات النساء للتلذذ بهن . { ليعلم ما يخفين من زينتهن } : أي الخلاخل في الرجلين .

{ تفلحون } : أي تفوزون بالنجاة من العار والنار ، وبالظفر بالطهر والشرف وعالي الغرف في دار النعيم .

معنى الآيات :

سبق أن ذكرنا أنه لقبح وفساد الزنى وسوء اثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة اسباب واقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر للرجال والنساء فقوله تعالى : { قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم } أي مُرْ يا رسولنا المؤمنين بأن يغضوا من أبصارهم أي بأن يخفضوا أجفانهم على أعينهم حتى لا ينظروا إلى الأجنبيات عنهم من النساء ويحفظوا فروجهم عنالنظر إليها فلا يكشفوها لأحد إلا ما كان من الزوج لزوجه فلا حرج وعدم النظر أولى وأطيب ، وقوله : { ذلك أزكى لهم } أي أطهر لنفوسهم من نوافل العبادات ، وقوله : { إن الله خبير بما يصعنون } فليراقبوه تعالى في ذلك المأمور به من غض البصر وحفظ الفرج إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وقوله تعالى : { وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن } إذ شأنهن شأن الرجال في كل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج وقوله تعالى : { ولا يبدين زينتهن } أي مُرْهُن بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إظهار الزينة { إلا ما ظهر منها } مما لا يمكنها ستره وإخفاؤه كالكفين عند تناول شيء أو إعطائه أو العينين تنظر بهما وإن كان في اليد خاتم وحناء وفي العينين كحل وكالثياب الظاهرة من خمار على الرأس وعباءة تستر الجسم فهذا معفو عنه إذ لا يمكنها ستره .

وقوله تعالى : { وليضربن بخمرهن على جيوبهن } كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلاً على كتفيها فأمرت أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر ستراً كاملاً وقوله : { ولا يبدين زينتهن } أعاد اللفظ ليرتب عليه

ما بعده من المحارم الذي يباح للمؤمنة أن تبدي زينتها إليهم وهم الزوج ، والأب والجد وإن علا وأب الزوج وإن علا وابنها وإن سفل وأبناء الزوج وإن نزلوا ، والأخ لأب أو الشقيق أو لأم وأبناؤه وأن نزلوا ، وابن الأخ وان نزل وسواء كان لأب أو لأم أو شقيق ، وابن الأخت شقيقة أو لأب أو أم . والمرأة المسلمة من نساء المؤمنات ، وعبدها المملوكط لها دون شريك لها فيه والتابع لأهل بيتها من شيخ هرم أصابه الخرف ، وعنين ومعتوه وطفل صغير لم يميز البلوغ ممن لا حاجة لهم في النساء لعدم الشهوة عندهم لكبر ومرض وصغر .

وقوله تعالى : { ولا يضر بن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن } نهى تعالى المؤمنات أن يضربن الأرض بأرجلهن التي فيها الخلاخل لكي يعلم أنها ذات زينة في رجلها ، فلا يحل لها ذلك ولو لم تقصد إظهار زينتها .

وقوله تعالى : { وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون } أمر تعالى المؤمنين والمؤمنات بالتوبة وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى ، وفعل ما وجب فعله ومن ذلك غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والتسر والتنزه عن الإثم صغيره وكبيرة وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب والظفر بالمحبوب المرغوب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- وجوب غض البصر وحفظ الفرج .

2- وجبو ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة .

3- بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج .

4- الرخصة في إظهار الزينة للهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئاً .

5- حرمة ضرب ذات الخلاخل الأرض برجلها حتى لا يعلم ما تخفى من زينتها .

6- وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور للحصول على الفلاح العاجل والآجل .

(57/3)

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (34)

شرح الكلمات :

{ وأنكحوا الآيامى منكم } : أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نسائكم .

{ والصالحين من عبادكم وإمائكم } : أي وزوجوا أيضاً القادرين والقادرات على أعباء الزواج من عبيدكم وإمائكم .

{ إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله } : أي إن يكن الأيامى فقراء فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم فإن الله يغنيهم .

{ إن الله واسع عليم } : أي واسع الفضل عليم بحاجة العبد وخلته فيسدها تكرماً .

{ وليتسعفف } : أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام .

{ يبغون الكتاب } : أي يطلبون المكاتبة من المماليك .

{ إن علمتم فيهم خيراً } : أي قدرة على السداد والإستقلال عنكم .

{ وآتوهم من مال الله } : أي اعينوهم بثمن نجم من نجوم المكاتبة من الزكاة وغيرها .

{ على البغاء إن أردن تحصناً } : أي الزنى تحصناً أي تعففاً وتحفظاً من فاحشة الزنا .

{ عرض الحياة الدنيا } : أي المال .

{ ومن يكرههن } : أي على البغاء « الزنى » .

{ مبينات } : للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه .

{ مثلاً من الذين خلوا من قبلكم } : أي قبلكم : اي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوصف وقصة مريم وهما شبيهتان بحادثة الإفك .

{ وموعظة } : الموعظة ما يتعظ به فيسلك سبيل النجاة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر الأسباب الواقية من وقوع الفاحشة فأمر تعالى في الآية الأولى من هذا السياق (32) أمر جماعه المسلمين أن يزوجوا الأيامى من رجالهم ونسائهم بالمساعدة على ذلك والإعانة عليه حتى لا يبقى في البلد أو القرية عزبٌ إلا نادراً ولا فرق بين البكر والثيب في ذلك فقال تعالى : { وأنكحوا } والأمر للإرشاد { الأيامى } جمع أيّم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة بكراً كان أو ثيباً ، { منكم } أي من جماعات المسلمين لا من غيرهم كأهل الذمة من الكافرين . وقوله : { والصالحين من عبادكم وإمائكم } أي وزوجوا القادرين على مؤونة الزواج وتبعاته ، وتكاليفه من مماليككم وقوله : { إن يكونوا فقراء } غير موسرين لا يمنعكم ذلك من تزويجهم فقد تكفل الله بغناهم بعد تزويجهم بقوله : { يغنهم الله من فضله والله واسع عليم } أي واسع الفضل عليم بحاجة المحتاجين وأمر تعالى في هذه الآية من لا يجد نكاحاً لانعدام الزوج أو الزوجة مؤقتاً أو انعدام مؤونة الزواج من مهر ووليمة أن يستعفف أي يعف نفسه بالصبر والصيام والصلاة حتى لا يتطلع إلى الحرام فيهلك فقال تعالى { وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم } أي واسع الفضل مطلق الغنى عليم بحال عباده وحاجة المحتاجين منهم . وقوله تعالى : { والذين يبتغون الكتاب } هذه مسألة ثالثة تضمنتها هذه الآية ويه إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكاتبه ، وكان أهلا للتحرر بأن يقدر على تسديد مال المكاتبة ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلى مالكه أن يكتبه ، وأن يعينه على ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة ، وهذا معنى قوله تعالى : { والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم وإن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم } وقوله تعالى : { ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء } أي على الزنا وهي مسألة رابعة تضمنتها هذه الآية وهي أن جاريتين كانتا لعبد الله بن أبي بن سلول المنافق يقال لهما معاذة ومسيكه قد أسلمتا فأمرهما بالزنا لتكسبا له بفرجيهما كما هي عادة أهل الجاهلية قبل الإسلام فشكتا ذلك لرسول الله صلى الله عليه

وسلم فأنزل الله تعالى : { ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا } أي لأجل مال قليل يعرض لكم ويزول عنكم بسرعة ، وقوله : { ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم } أي لهن رحيم بهن لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل فامتنع المنافق من ذلك .

(58/3)

وقوله تعالى في الآية الثانية (34) { ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات } أي ولقد أنزلنا إليكم أيها المسلمون آيات أي قرآنيّة مبينات أي موضحات للشرائع والأحكام والآداب فاعملوا بها تكملوا في حياتكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم . وقوله : { ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم } أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وهما شبيهتان بحادثة الإفك وقوله : { وموعظة للمتقين } وهي ما تضمنته الآيات من الوعيد والوعد والترغيب والترهيب وكونها للمتقين بحسب الواقع وهو أن المتقين هم الذين ينتفعون بالمواعظ دون الكافرين والفاجرين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة على تزويج الأيامى من المسلمين أحراراً وعبيداً .

2- وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً ولاصبر حتى ييسر الله أمره .

3- عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى .

4- تعين مكاتبة العبد إذا توفّرت فيه شروط المكاتبة .

5- حرمة الزنا بالإكراه أو بالاختبار ومنع ذلك بإقامة الحدود .

6- صيغة المكاتبة أن يقول السيد للعبد لقد كاتبتك على ثلاثة آلاف دينار منجمة أي مقسطة على ستة نجوم تدفع في كل شهر نجماًً أي قسطاً . على أنك إذا وفيتها في آجالها فأنت حر ، وعليه أشهدنا وحرر بتاريخ كذا وكذا .

7- بيان فضل سورة النور لما احتوته من أحكام في غاية الأهمية .

(59/3)

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)

شرح الكلمات :

{ الله نور السموات } : أي منورهما فلولاه لما كان نور في السموات ولا في الأرض ، والله تعالى نورٌ وحجابه النور .

{ مثل نوره } : أي في قلب عبده المؤمن .

{ كمشكاة } : أي كوة .

{ كوكب دري } : أي مضى اضاءة الدر الوهاج .

{ نور على نور } : أي نور النار على نور الزيت .

{ يهدي الله لنوره } : أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه برغبته وصدق نيته .

{ ويضرب الله الأمثال } : أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل ان يفهموا عنه ويعقلوا ما يدعوهم إليه .

{ في بيوت أذن الله أن ترفع } : هي المساجد ورفعها إعلاء شأنها من بناء وطهارة وصيانة .

{ يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار } : يوم القيامة .

{ يرزق من يشاء بغير حساب } : أي بلا عَدٍّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن كان كثيراً .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { الله نور السموات والأرض } يخبر تعالى أنه لولاه لما كان في الكون نور ولا هداية في السموات ولا في الأرض فهو تعالى منورهما فكتابه نور ورسوله نور أي يهتدي بهما في ظلمات الحياة كما يهتدي بالنور الحسي والله ذاته نور وحجابه نور فكل نور حسي أو معنوي الله خالقه وموهبه وهادٍ إليه .

وقوله تعالى : { مثل نوره كمشكاة } أي كوة في جدار { فيها مصباح المصباح في زجاجة } من بلور ، { والزجاجة } في صفائها وصقالتها مشرقة { كأنها كوكب دري } والكوكب الدري هو المضيء المشرق كأنه درة بيضاء صافية ، وقوله : { يوقد من شجرة مباركة } أي وزيت المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتونة والزيتونة لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان لا ترى الشمس إلا في الصباح ، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء بل هي وسط البستان تصيبها الشمس في كامل النهار فلذا كان زيتها في غاية الجودة يكاد يشتعل لصفائه ، ولو لم تمسه نار ، وقوله تعالى : { نور على نور } أي نور النار على نور الزيت وقوله تعالى : { يهدي الله لنوره من يشاء } يخبر تعالى أنه يهدي لنوره الذي هو الإيمان والإسلام والإحسان من يشاء من عباده ممن علم أنهم يرغبون في الهداية ويطلبونها ويكملون ويسعدون عليها .

وقوله : { ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم } يخبر تعالى : أنه يضرب الأمثال للناس كهذا المثل الذي ضربه للإيمان وقلب عبده المؤمن وأنه عليم بالعباد وأحوال القلوب ، ومن هو أهل لهداية ومن ليس لها بأهل ، إذ هو بكل شيء عليم .

وقوله : { في بيوت أذن الله أن ترفع } أي المصباح في بيوت أذن الله أي أمر وَوَصَّى أن ترفع حساً ومعنى وهي المساجد فتطهر من النجاسات ومن اللغو فيها وكلام الدنيا ، وتصان وتحفظ من كل ما يخل بمقامها الرفيع لأنها بيوت الله تعالى ، وقوله : { ويذكر فيها اسمه } أي بالأذان والإقامة والصلاة ولاتسبيح والدعاء وقراءة القرآن .

وقوله تعالى : { يسبح له فيها } أي لله في تلك البيوت { بالغدو } أي بالصباح { والآصال } أي المساء { رجال } مؤمنون صادقون أبرار متقون { لا تلهيهم تجارة ولا بيع } أي لا شراء ولا بيع { عن ذكر الله } فقلوبهم ذاكرة غير غافلة وألسنتهم ذاكرة غير لاهية ولا لاغية { وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة } أي لا تلهيهم دنياهم عن آخرتهم فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة .

وقوله : { يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار } أي من شدة الخوف وعظم الفزع والهول وهو يوم القيامة وقوله تعالى : { ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله } أي إنهم فعلوا ما فعلوا من التسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة معرضين عن كل ما يشغلهم عن عبادة ربهم فتأهلوا بذلك للثواب العظيم ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله فوق ما استحقوه بأعمالهم وتقواهم لربهم ، والله يرزق من يشاء بغير حساب وذلك لعظيم فضله وسابق رحمته فيعطي بدون عَد ولا كيل ولا وزن وذلك لعظم العطاء وكثرته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- كل خير وكل نور وكل هداية مصدرها الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك .

2- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والفهوم .

3- الإشارة إلى أن ملة الإسلام لا يهودية ولا نصرانية ، لا اشتراكية ولا رأسمالية . بل هي الملة الحنيفية من دان بها هدى ومن كفرها ضل .

4- وجوب تعظيم بيوت الله تعالى : « المساجد » بتطهيرها ورفع بنيانها وإخلائها إلا من ذكر الله والصلاة وطلب العلم فيها .

5- ثناء الله تعالى على من لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

(61/3)

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42)

شرح الكلمات :

{ كسراب بقيعة } : السراب شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء ، والقيعة جمع قاع وهو ما انبسط من الأرض .

{ الظمآن } : العطشان .

{ بحر لجي } : أي ذو لجج واللجة معظم الماء وغزيره كما هي الحال في المحيطات .

{ يغشاه موج } : يعلوه ويغطيه موج آخر .

{ يسبح له } : ينزه ويقدس بألفاظ التسبيح والتقديس كسبحان الله ونحوه والصلاة من التسبيح .

{ صافات } : باسطات أجنحتها .

{ قد علم صلاته } : أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كل مسبح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { والذين كفروا أعمالهم كسراب } لما بين تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفاهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرانها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء { بقيعة } أي بقاع من الأرض وهو الأرض المنبسطة { يحسبه الظمآن ماء } أي يظنه العطشاء ماء وما هو بماء ولكنه سراب خادع { حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً } لأنه سراب لا غير . فيا للخيبة ، خيبة ظمآن يقتله العطش فرأى سراباً فجرى وراءه يظنه ماء فإذا به لم يجد الماء ، ووجد الحق تبارك وتعالى فحاسبه على كل أعماله وهي في جملتها أعمال إجرام وشر وفساد فوفاه إياها فخسر خسراناً مبيناً ، { والله سريع الحساب } فما هي إلا لحظات والكافر في سواء الجحيم . هذا مَثَلٌ تضمنته الآية الأولى (39) ومثل آخر تضمنته الآية الثانية (40) وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته وما يعيش عليه من ظلمة الكفر ظلمة العمل اليء والإعتقاد الباطل وظلمة الجهل بربه وما يريده منه ، وما أعده له قال تعالى : { أو كظلمات في بحر لجي } أي ذي لجج من الماء { يغشاه } أي يعلوه { موج من فوقه موج } أي من فوق الموج موج آخر { من فوقه سحاب } والسحاب عادة مظلم فهي { ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها } لشدة الظلمة هذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا ، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد وقوله تعالى : { ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور } أعلم تعالى عباده أن النور له وبيده فنم لم يطلبه منه حرمه وعاش في الظلمات والعياذ بالله .

وقوله تعالى : { ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات } أي ألم ينته إلى علمك يا رسولنا أن الله تعالى يسبح له من في السموات من الملائكة والأرض أي ومن في الأرض بلسان القال والحال معاً والطير صافات أي باسطات أجنحتها تسبح الله تعالى بمعنى تنزهه بألفاظ التنزيه كسبحان الله .

(62/3)

فإن امتنع المشركون أهل الظلمات من الإيمان بالله وعبادته وتوحيده فيها فإن الله تعالى يسبح له الخلق كله علويه وسفليه فالكافر وإن لم يسبح بلسانه فحاله تسبح فخلقه وتركيبه وأقواله وأعماله كلها تسبح الله خالقه فهي شاهدة على قدرة الله وعلمه وحكمته وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله تعالى : { كل } أي ممن في السموات والأرض والطير قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كلاً منهم قد علم صلاته لله تعالى وتسبيحه له { والله عليم بما يفعلون } أي والله عليم بأفعال عباده ، ويجزيهم بها وهو على ذلك قدير إذ له ملك السموات والأرض وإليه المصير أي مصير كل شيء

إليه تعالى فهو الذي يحكم فيه بحكمه العادل .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان .

2- بيان خسران الكافرين في أعمالهم وحياتهم كلها .

3- بيان حال الكافرين في هذه الدنيا وأنهم يعيشون في ظلمات الجهل والكفر والظلم .

4- تقرير حقيقة وهي أن من لم يجعل الله له نوراً في قلبه لن يكن له نور في حياته كلها .

5- بيان أن الكون كله يسبح لله كقوله تعالى : { يسبح له ما في السموات وما في الأرض وقوله : { وإن من شيء إلا يسبح بحمده . }

(63/3)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (46)

شرح الكلمات :

{ يزجي سحاباً } : أي يسوق برفق ويسر .

{ ثم يؤلف بينه } : أي يجمع بين أجزائه وقطعه .

{ ثم يجعله ركاماً } : أي متراكماً بعضه فوق بعض .

{ الودق } : أي المطر .

{ يخرج من خلاله } : أي من فرجه ومخارجه .

{ من جبال فيها من برد } : أي من جبال من برد في السماء والبرد حجارة بيضاء كالثلج .

{ فيصيب به من يشاء } : أي فيصيب بالبرد من يشاء .

{ سنا برقه } : أي لمعانه .

{ يذهب بالأبصار } : أي الناظرة إلَيْهَ .

{ لعبرة } : أي دالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده .

{ كل دابة من ماء } : أي حيوان من نطفة .

{ على بطنه } : كالحيات والهوام .

{ على رجلين } : كالإنسان والطير .

{ على أربع } : أي كالأنعام والبهائم .

{ إلى صراط مستقيم } : أي إلى الإسلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي الموجبة لله تعالى العبادة دون سواه فقال تعالى : { ألم تر أن الله يزجي سحاباً } أي ألم ينته إلى علمك يا رسولنا أن الله يزجي سحاباً أي يسوقه برفق وسهولة { ثم يؤلف } أي يجمع بين أجزائه فيجعله ركاماً أي متراكماً بعضه على بعض { فترى الودق } أي المطر { يخرج من خلاله } أي من فتوقه وشقوقه . والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وهو الفتوق بين أجزاء السحاب وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم . وقوله : { وينزل من السماء من جبال فيها من برد } أي ينزل برداً من جبال البرد المتراكمة في السماء فيصيب بذلك البرد من يشاء فيهلك به زرعه أو ماشيته ، ويصرفه عمن يشاء عن عباده فلا يصيبه شيء من ذلك وهذا مظهر آخر من مظاهر القدرة واللطف الإلهي وقوله : { يكاد سنا برقه } أي يقرب لمعان البرق الذي هو سناه يذهب بالأبصار التي تنظر إليه أي يخطفها بشدة لمعانه .

وقوله تعالى { يقلب الله الليل والنهار } بأن يظهر هذا ويخفي هذا فإذا ظهر النهار اختفى الليل ، وإذا ظهر الليل اختفى النهار فيقلب أحدهما على الآخر فيخفيه ويستره به وقوله : { إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار } أي إن في إنزال البرد ولمعان البرق وتقليب الليل والنهار لعظة عظيمة لأولى البصائر تهديهم إلى الإيمان بالله وجلاله وكما فيعبدونه ويوحدونه مُحِبين له معظمين راجعين خائفين إن هذه ثمرة الهداية هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (43) والثانية (44) أما الآية (45) فقد اشتملت على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية فقال تعالى : { والله خالق كل دابة } أي من إنسان وحيوان { من ماء } أي نطفة من نطف الإنسان والحيوان ، { فمنهم من يمشي على بطنه } كالحيات والثعابين والأسماك ، { ومنهم من يمشي على رجلين } كالإنسان والطير ، { ومنهم من يمشي على أربع } كالأنعام والبهائم ، وقوله : { يخلق الله ما يشاء } إذْ بعض الحيوانات لها أكثر من أربع وقوله : { إن الله على كل شيء قدير } أي على فعل وإيجاد ما يريده قدير لا يعجزه شيىء فأين الله الخالق العليم الحكيم من تلك الأصنام والأوثان التي يؤلهها الجاهلون من أهل الشرك والكفر؟

وقوله تعالى : { لقد أنزلنا آيات مبينات } أي واضحات لأجل هداية العباد إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهي هذه الآيات التي اشتملت عليها سورة النور وغيرها من آيات القرآن الكريم فمن آمن بها ونظر فيها وأخذ بما تدعو إليه من الهدى اهتدى ، ومن أعرض عنها فضل وشقى فلا يلومن إلا نفسه ، { والله يهدي من يشاء } هدايته ممن رغب في الهداية وطلبها وسلك لها مسالكها { إلى صراط مستقيم } ألا وهو الإسلام طريق الكمال والسعادة في الحياتين الله اجعلنا من أهله إنك قدير .

(64/3)

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات الإيمان والتقوى .

2- بيان كيفية نزول المطر والبرد .

3- مظاهر لطف الله بعباده في صرف البرد عن الزرع والماشية وبعض عباده .

4- مظاهر القدرة والعلم في تقليب الليل والنهار على بعضهما بعضاً .

5- بيان أصناف المخلوقات في مشيها على الأرض بعد خلقها من ماء وهو مظهر العلم والقدرة .

6- امتنان الله تعالى على العباد بإنزاله الآيات المبينات للهدى وطريق السعادة والكمال .

(65/3)

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52)

شرح الكلمات :

{ ويقولون } : أي المنافقون .

{ آمنا بالله وبالرسول } : اي صدقنا بتوحيد الله وبنبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

{ ثم يتول فريق منهم } : أي يعرض .

{ إذا فريق منهم معرضون } : أي عن المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

{ مذعنين } : أي مسرعين منقادين مطيعين .

{ في قلوبهم مرض } : أي كفر ونفاق وشرك .

{ أم ارتابوا } : أي بل شكوا في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

{ أن يحيف الله عليهم ورسوله } : أي في الحكم فيظلموا فيه .

{ إنما كان قول المؤمنين } : هو قولهم سمعنا وأطعنا أي سمعاً وطاعة .

{ المفلحون } : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

بعد عرض تلك المظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته والموجبة للإيمان بالله ورسوله ، وما عند الله من نعيم مقيم ، وما لديه من عذاب مهين فاهتدى عليها من شاء الله هدايته وأعرض عنها من كتب الله شقاؤته من المنافقين بالله ربّاً وإلهاً وبمحمد

نبياً ورسولاً ، وأطعناهما { ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك } أي من بعد تصريحهم بالإيمان والطاعة يقولون معرضين بقلوبهم عن الإيمان بالله وآياته ورسوله ، { وما أولئك بالمؤمنين } فأكذبهم الله في دعوة إيمانهم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (47) وقوله تعالى : { وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم } أي في قضية من قضايا دنياهم ، { إذا فريق منهم معرضون } أي فاجأك فريق منهم بالإعراض عن التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله : { وإن يكن لهم الحق } أي وإن يكن لهم في الخصومة التي بينهم وبين غيرهم { يأتوا إليه } أي إلى رسول الله { مذعنين } أي منقادين طائعين أي لعلمهم أن الرسول يقضي بينهم بالحق وسوف يأخذون حقهم وافياً وقوله تعالى : { أفي قلوبهم مرض } أي بل في قلوبهم مرض الكفر والنفاق { أم ارتابوا } أي بل ارتابوا أي شكوا في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم { أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله } لا ، لا ، { بل أولئك هم الظالمون } ، ولما كانوا ظالمين يخافون حكم الله ورسوله فيهم لأنه عادل فيأخذ منهم ما ليس لهم ويعطيه لمن هو لهم من خصومهم وقوله تعالى : { إنما كان قول المؤمنين } أي الصادقين في إيمانهم { إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا } أي لم يكن للمؤمنين الصادقين من قول يقولونه إذا دعوا إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم إلا قولهم : سمعنا وأطعنا فيجيبون الدعوة ويسلمون بالحق قال تعالى في الثناء عليهم { وأولئك هم المفلحون } أي الناجحون في دنياهم وآخرتهم دون غيرهم من أهل النفاق . وقوله تعالى : في الآية الكريمة الأخيرة (52) { ومن يطع الله ورسوله } أي فيما يأمران به وينهيان عنه ، { ويخش الله } أي يخافه في السر والعلن ، { ويتقه } أي يتق مخالفته فلا يقصر في واجب ولا يَغْشَى محرماً ، { فأولئك هم الفائزون } فقصر الفوز عليهم أي هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة المنعمون في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم إنك ربنا وربهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة .

2- من دُعِيَ إلى الكتاب والسنة فأعرض فهو منافق معلوم النفاق .

3- اتخاذ قوانين وضعية للتحاكم إليها دون كتاب الله وسنة رسوله آية الكفر والنفاق .

4- فضل طاعة الله ورسوله وتقوى الله عز وجل وأن أهلها هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنان .

(66/3)

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (53) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)

شرح الكلمات :

{ وأقسموا بالله جهد أيمانهم } : أي حلفوا بالله بالغين غاية الجهد في حلفهم .

{ لئن أمرتهم } : أي بالخروج إلى الجهاد .

{ طاعة معروفة } : أي طاعة معروفة للنبي فيما يأمركم وينهاكم خير من إقسامكم بالله .

{ فإن تولوا } : أي فإن تتولوا أي تعرضوا عن الطاعة .

{ عليه ما حمل } : اي من ابلاغ الرسالة وبيانها بالقول والعمل .

{ وعليكم ما حملتم } : أي من وجوب قبول الشرع والعمل به عقيدة وعبادة وحكما .

{ وإن تطيعوه تهتدوا } : أي وإن تطيعوا الرسول في أمره ونهيه وإرشاده تهتدوا إلى خيركم .

{ ليستخلفنهم } : أي يجعلهم خلفاء لغيرهم فيها بأن يُدِيلَ لهم من أهلها فيسودون فيها ويحكمون .

{ وليمكنن لهم دينهم } : أي بأن يظهر الإسلام على سائر الأديان ويحفظه من الزوال .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أحوال المنافقين فأخبر تعالى عنهم بقوله : { وأقسموا الله جهد أيمانهم } أي أقسموا للرسول صلى الله عليه وسلم مبالغين في ذلك حتى بلغوا غاية الجهد قائلين لئن أمرتنا بالخروج إلى الجهاد لنخرجن معكم . وهان أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : { لاتقسموا } أي ما هناك حاجة إلى الحلف وتأكيده ، وإنما هي طاعة منكم معروفة لنا تغنيكم عن الأيمان وقوله تعلى : { إن الله خبير بما تعملون } تأنيب لهم وتأديب حيث أخبرهم تعالى بأنه مطلع على أسرارهم وما يقولونه ويعملونه في الخفاء ضد الرسول والمؤمنين ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل ما يأمران به وينهيان عنه ، { فإن تولوا } أي تعرضوا عن الطاعة وترفضوها ، فإنما على الرسول ما حمل من البلاغ والبيان ، وعليكم ما حملتم من وجوب الانقياد والطاعة ، ومن أخل بواجبه الذي أنيط به فسوف يلقى جزءاه وافياً عند ربه وقوله تعالى : { وإن تطيعوه تهتدوا } هذه الجملة عظيمة الشأن جليلة القدر للمؤمن أن يحلف بالله ولا يحنث على أن من أطاع رسول الله في أمره ونهيه لن يضل أبداً ولن يشقى فالهداية إلى كل خير كامنة في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : { وما على الرسول إلا البلاغ المبين } أي ليس على الرسول هداية القلوب ، وإنما عليه البلاغ المبين لا غير فلا تلحق الرسول تبعة من عصى فَضَلَّ وهَلَك .

وقوله تعالى في الآية (55) { وعد الله الذين آمنوا منكم } أي صدقوا الله والرسول { وعملوا الصالحات } فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وعدهم بأن يستخلفهم في الأرض أي يجعلهم خلفاء حاكيمن في أهلها سائدين سكانها استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم من بني إسرائيل حيث أجلى الكنعانيين والعمالقة من أرض القدس وورثها بني إسرائيل وقول : { وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم } وهو الإسلام فيظهره على الدين كله ويحفظه من التغيير والتبديل والزوال إلى قرب الساعة وقوله تعالى : { وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً } إذا نزلت هذه الآية والمسلمون خائفون بالمدينة لا يقدر أحدهم أن ينام وسيفه بعيد عنه من شدة الخوف من الكافرين والمنافقين وتألب الأحزاب عليهم ولقد أنجز تعالى لهم ما وعدهم فاستخلفهم وأمكن لهم وبدلهم بعد خوفهم أمناً فلله الحمد والمنة .

(67/3)

وقوله : { يعبدونني لا يشركون بي شيئاً } هذا ثناء عليهم ، وتعليل لما وهبهم وأعطاهم يعبدونه لا يشركون به شيئاً وقد فعلوا وما زال بقاياهم من الصالحين إلى اليوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً اللهم اجعلنا منهم ، وقوله تعالى : { ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } وعيد وتهديد لمن كفر بعد ذلك الإنعام العظيم والعطاء الجزيل فأولئك هم الفاسقون عن أمر الله الخارجون عن طاعته المتسوجبون لعذاب الله ونقمته . عياذا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مشروعية الإقسام بالله تعالى وحرمه الحلف بغيره تعالى .

2- عدم الثقة في المنافقين لخلوهم من موجب الصدق في القول والعمل وهو الإيمان .

3- طاعة رسول الله موجبة للهداية لما فيه من سعادة الدارين ومعصيته موجبة للضلال والخسران .

4- صدق وعد الله تعالى لأهل الإيمان وصالح الأعمال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

5- وجوب الشكر على النعم بعبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات .

6- الوعيد الشديد لمن أنعم الله عليه بنعمة أمن ورخاء وسيادة وكرامة فكفر تلك النعم ولم يشكرها فَعَرَّضها للزوال .

(68/3)

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (57)

شرح الكلمات :

{ وأقيموا الصلاة } : أي أدوها أداءاً كاملاً تاماً مراعين فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها حتى تثمر الزكاة والطهر في نفوسكم .

{ وآتوا الزكاة } : أي المفروضة من المال الصامت كالذهب والفضة والحرث والناطق كالأنعام من إبل وبقر وغنم .

{ وأطيعوا الرسول } : أي محمداً صلة الله عليه وسلم في أمره ونهيه والأخذ بإرشاده وتوجيهه .

{ لعلكم ترحمون } : أي رجاء أن يرحمكم ربكم في دنياكم وآخرتكم فلا يعذبكم فيهما .

{ معجزين في الأرض } : أي معجزين الله تعالى بحيث لا يدركهم ولا ينزل بهم نقمته وعذابه .

{ ولبئس المصير } : أي النار إذا هي المأوى الذي يأوون إليه ويصيرون إليه .

معنى الآيتين

يأمر تعالى عباده المؤمنين من أصحاب الرسول الكريم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة الزكاة وطاعة الرسول صلى الله عليه

وسلم في أمره ونهيه وإرشاده وتوجيهه وذلك رجاء أن يرحموا في الدارين ، ولا يعذبوا فيهما ، وهذا وإن كان موجهاً ابتداءً إلى أصحاب الرسول فإنه عام بعد ذلك فيشمل كل مؤمن ومؤمنة في الحياة وقوله { لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض } هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ينهاه ربه تعالى أن يظن أن الذين كفروا مهما كانت قوتهم سيفوتون الله تعالى ويهربون مما أراد بهم من خزي وعذاب ، لا ، لا بل سيخزيهم ويذلهم ويسلط عليهم ، وقد فعل { ومأواهم النار } يوم القيامة { ولبئس المصير } نار جهنم يصيرون إليها .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

1- وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للحصول على رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والتمكين والأمن والسيادة وفي الآخرة بدخول الجنة .

2- تقرير عجز الكافرين وأنهم لن يفوتوا الله تعالى مهما كانت قوتهم وسينزل بهم نقمته ويحل عليهم عذابه .

3- بيان مصير أهل الكفر وأنه النار والعياذ بالله تعالى .

(69/3)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (60)

شرح الكلمات :

{ ليسأذنكم } : أي ليطلب الاذن منكم في الدخول عليكم .

{ ملكت أيمانكم } : من عبيد وإماء .

{ لم يبلغوا الحلم منكم } : أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمسة عشر سنة فما فوق .

{ تضعون ثيابكم } : أي وقت القيلولة للإستراحة والنوم .

{ ثلاث عورات لكم } : العورة ما يتسحي من كشفه ، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات .

{ بعدهن } : أي بعد الأوقات الثلاثة المذكورة .

{ طوافون عليكم } : أي للخدمة .

{ بعضكم على بعض } : أي بعضكم طائف على بعض .

{ فليسنأذنوا } : أي في جميع الأوقات لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين .

{ والقواعد من النساء } : أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن .

{ أن يضعن ثيابهن } : كالجلباب والعباءة والقناع والخمار .

{ غير متبرجات بزينة } : أي يغر مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال .

{ وأن يستعففن خير لهن } : بأن لا يضعن ثيابهن خير لهم من الأخذ بالرخصة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا } روى في نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة فدق الباب ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عندما عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد أنزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى .

فقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا } هو نداء لكل المؤمنين في كل عصورهم وديارهم . وقوله { ليستأذنكم الذي ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم } أي علموا أطفالكم وخدمكم الاستئذان عليكم في هذه الأوقات الثلاثة وأمروهم بذلك . وقوله : { ثلاث مرات } هي المبينة في قوله : { من قبل صلاة الفجر } وهي ساعات النوم من الليل ، { وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة } ويه القيلولة ، { ومن بعد صلاة العشاء } وهي بداية نوم الليل . وقوله : { ثلاث عورات لكم } أي هي منطقة انكشاف العورة فيها فاطلق عليها اسم العورة والعورة ما يستحي من كشفه وقوله : { ليس عليكم ولا عليهم } أي ولا على الأطفال والخدم { جناح بعدهن } أي بعد المرات الثلاث وقوله : { طوافون عليكم } أي يدخلون ويخرجون عليكم للخدمة . { بعضكم على بعض } أي بعضكم يدخل على بعض للخدمة فلا غنى عنه فلذا فلا حرج عليكم في غير الأوقات الثلاثة .

وقوله تعالى : { كذلك يبين الله لكم الآيات } أي كهذا التبيين الذي بين لكم حكم الاستئذان يبين الله لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والآداب فله الحمد وله المنة وقوله : { والله عليم } أي بخلقه وما يحتاجون إليه في إكمالهم وإسعادهم { حكيم } فيما يشرع لهم ويفرض عليهم .

وقوله تعالى في الآية الثانية (59) { وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم } أي إذا بلغ الطفل سن الاحتلام وهو البلوغ واحتلم فعليه أن لا يدخل على غيرمحارمه إلا بعد الإستئذان كما يفعل ذلك الرجال من قبله إذ قد أصبح بالبلوغ الذي علامته الإحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة فأكثر أصبح رجلاً تماماً فعليه أن لا يدخل بيت أحد إلا بعد أن يستأذن هذا معنى قوله تعالى : { وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم } وهم الرجال وقوله تعالى : { كذلك يبين الله لكم آياته } أي المتضمنة لأحكامه وشرائعه { والله عليم } بخلقه وما يصلح لهم { حكيم } في شرعه وهذه حال توجب طاعته تعالى فيما يأمر به وينهى عنه وقوله تعالى : { والقواعد من النساءاللاتي لا يرجون نكاحاً } أي والتي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنها بحيث أصبحت لا ترجو نكاحاً ولا يرجى منها ذلك فهذه ليس عليها إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها ، أو عباءتها من فوق ثيابها التي على جسمها حال كونها غير متبرجة آي مظهرة زينة لها كخضاب اليدين والأساور في المعصمين والخلاخل في الرجلين ، أو أحمر الشفتين ، وما إلى ذلك مما هو زينة يجب ستره وقوله تعالى : { وأن يستعففن خير لهن } أي ومن لازمت خمارها وعجارها ولم تظهر للأجانب

كاشفة وجهها ومحاسنها خير هلا حالاً ومآلاً ، وحسبها ان يختار الله لها فما اختاره لها لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات أن يختار الله لها فما اختاره لها لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات أن يخترن ما اختار الله لهن .

(70/3)

وقوله : { والله سميع عليم } أي سميع لأقوال عباده عليم بأعمالهم وأحوالهم فَليتق فيطاع ولا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- وجوب تعليم الآباء والسادة والأطفال ولاخدم الإستئذان عليهم في الأوقات الثلاثة المذكورة والمعبر عنها بالعوراة .

2- وجوب استئذان الأولاد إذا احتلموا الاستئذان على من يريدون الدخول عليه في بيته لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين .

3- بيان رخصة كشف الوجه لمن بلغت سناً لا تحيض فيها ولا تلد للرجال الأجانب ولو أبقت على سترها واحتجابها لكان خيراً لها كما قال تعالى : { وأن يستعففن خير لهن } .

(71/3)

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61)

شرح الكلمات :

{ الحرج } : الضيق والمراد به هنا الإثم أي لا إثم على المذكورين يف مؤاكلة غيرهم .

{ أو ملكتم مفاتحة } : أي مما هو تحت تصرفكم بالأصالة أو بالوكالة كوكالة على بستان أو ماشية .

{ أو صديقكم } : أي من صدقكم الود وصدقتموه .

{ جميعاً أو أشتاتاً } : أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين .

{ من عند الله } : لأنه هو الذي شرعها وأمر بها ، وما كان من عند الله فهو خير عظيم .

{ طيبة } : أي تطيب بها نفس المسلم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في هداية المؤمنين وبيان ما يكملهم ويسعدهم فَفِي هذه الآية الكريمة . رفع تعالى عنهم حرجاً عظيماً

كانوا قد شعروا به فآلمهم وهو أنهم قد رأوا أن الأكل مع ذوي العاهات وهم العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة قد يترتب عليه أن يأكلوا ما لا يحل لهم أكله لأن أصحاب هذه العاهات لا يأكلون كما يأكل أصحاء كماً وكيفاً والله يقول : { ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل } كما أن أصحاب العاهات قد تحرجوا أيضاً عن مؤاكلة الأصحاء معهم خوفاً أن يكونوا يتقذرونهم فآلمهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فرفع الحرج عن الجميع الأصحاء وأصحاب العاهات فقال تعالى : { ليس على الأعمى حرج ولا عَلى الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم ، أو بيوت أخوالكم أو بيوت أو بيوت إخوانكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم ، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه } بوكالة وغيرها ، { أو صديقكم } وهو من صدقكم الموجة وصدقتموه فيها ما دام الرضا حاصلاً ، وإن لم يحضروا ولا استئذان وإن حضروا .

ورفع تعالى عنهم حرجاً آخر وهو أن منهم من كان يتحرج في الأكل وحده ، ويرى أنه لا يأكل إلا مع غيره وقد يوجد من يتحرج أيضاً في الأكل الجماعي خشية أن يؤذي الآكل معه فرفع تعالى ذلك كله بقوله : { وليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً } أي مجتمعين على قطعة واحدة { أو أشتاتاً } أي متفرقين كل يأكل وحده متى بدا له ذلك وهذا كله ناجم عن تقواهم لله تعالى وخوفهم من معاصيه إذ قد حرم عليهم أكل أموالهم بينهم بالباطل في قوله : { ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل } وقوله تعالى : { فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم } فأرشدهم إلى ما يجلب محبتهم وصفاء نفوسهم ويدخل السرور عليهم وهو أن من دخل بيتاً من البيوت بيته كان أو بيت غيره عليه أن يسلم علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله : { تحية من عند الله } إذ هو تعالى الذي أمر بها وأرشد إليها وقوله { مباركة } أي ذات بركة تعود على الجميع وكونها طيبة أن نفوس المُسَلَّم عليها تطيب بها .

(72/3)

وقوله تعالى : { كذلك يبين الهل لكم الآيات لعلكم تعقلون } أي كذلك البيان الذي بين لكم من الأحكام والآداب يبين الله لكم الآيات الحاملة للشرائع والأحكام رجاء أن تفهموا عن الله تعالى شرائعه وأحكامه فتعملوا بها فتكملوا وتسعدوا عليها .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1– الإذن العام في الأكل مع ذوي العاهات بلا تحرد من الفريقين .

2– الإذن في الأكل من بيوت من ذكر في الآية من الأقارب والأصدقاء .

3– جواز الأكل الجاعي والإنفرادي بلا تحرج .

4– مشروعية التحية عند الدخول على البيوت وأن فهيا خيراً وفضلاً .

(73/3)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (64)

شرح الكلمات :

{ أمر جامع } : كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره كاجتماع لأمر هام كحرب ونحوها .

{ يستأذنوه } : أي يطلبوا منه صلى الله عليه وسلم الإذن .

{ لبعض شأنهم } : أي لبعض أمورهم الخاصة بهم .

{ دعاء الرسول } : أي نداءه فلا ينادي بيا محمد ولكن بيانبي الله ورسول الله .

{ كدعاء بعضكم بعضاً } : أي كما ينادي بعضكم بعضاً بيا عمر ويا سعيد مثلاً .

{ يتسللون منكم لواذاً } : أي ينسلون واحداً بعد واحد يستر بعضهم بعضاً حتى يخرجوا خفية .

{ أن تصيبهم فتنة } : أي زيغ في قلوبهم فيكفروا .

{ قد يعلم ما أنتم عليه } : أي من الإيمان والنفاق وإرادة الخير أو إرادة الشر ، وقد هنا للتأكيد عوملت معاملة رب إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحياناً .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن المؤمنين الكاملين في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا كانوا معه صلى الله عليه وسلم في أمر جامع يتطلب حضورهم كالجمعة واجتماعات الحروب ، لم يذهبوا حتى يستأذنوه صلى الله عليه وسلم ويأذن لهم هذا معنى قوله تعالى : { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه } .

وقوله تعالى : { إن الذين يستذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم } في هذا تعليم للرسول والمؤمنين وتعريض بالمنافقين . فقد أخبر تعالى أن الذين يستأذنون النبي هم المؤمنون بالله ورسوله ، ومقابله أن الذين لا يستأذنون ويخرجون بدون إذن هم لا يؤمنون بالله ورسوله وهم المنافقون حقاً ، وأمر رسول الله إذا استأذنه المؤمنون لبعض شأنهم أن يأذن لمن شاء منهم ممن لا أهمية لحضوره كما أمره أن يستغفر الله لهم لام قد يكون غير عذر شرعي يبيح لهم الاستئذان وطمعهم ي المغفرة بقوله إن الله غفور رحيم .

وقوله تعالى : { لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا } هذا يحتمل أموراً كلها حق الأول أن يحاذر المؤمنون إغضاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا لأن دعاء الرسول لا يرد ليس هو كدعاء غيره ، والثاني أن لا يدعوا الرسول باسمه يا محمد ويا أحمد بل عليهم أن يقولوا يا نبي الله ويا رسول الله ، والثالث أن لا يغلظوا في

العبارة بل عليهم أن يلينوا اللفظ ويرتققوا العبارة إكباراً وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما تضمنه قوله تعالى : { لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا } .

وقوله : { قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوذاً } أعلمهم تعالى أنه يعلم قطعاً أولئك المنافقين الذين يكونون في أمر جامع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً بعد آخر بدون أن يستأذنوا متلاوذين في هروبهم من المجلس يستر بعضهم بعضاً ، وفي هذا تهديد بالغ الخطورة لأولئك المنافقين .

(74/3)

وقوله : { فليحذر الذين يخالفون عن أمره } أي أمر رسول الله وهذا عام للمؤمنين والمنافقين وإلى يوم القيامة فليحذروا أن تصيبهم فتنة وهي زيغ في قلوبهم فيموتوا كافرين ، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا والعذاب ألوان وصنوف .

وقوله تعالى : { ألا إن لله ما في السموات والأرض } أي خلقاً وملكاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم ما يريد ألا فَلْيَتقِّ اللهُ عز وجل في رسول فلا يخالف أمره ولا يعصي في نهيه فإن الله لم يرسل رسولاً إلا ليطاع بإذنه .

وقوله تعالى : { قد يعلم ما أنتم عليه } إخبار يحمل التهديد والوعيد أيضاً فما عليه الناس من أقوال ظاهرة وباطنة معلومة لله تعالى ، ويوم يرجعون إلى الله بعد موتهم فينبئهم بما عملوا من خير وشر ويجزيهم به الجزاء الأوفى ، { والله بكل شيء عليم } فليحذر أن يخالف رسوله أو يعصي وليتق في أمره ونهيه فإن نقمته صعبة وعذابه شديد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إذا كان الأمر جامعاً ، وللإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة .

2- وجوب تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرمه إساءة الأدب معه حياً وميتاً .

3- وجوب طاعة رسول الله وحرمة مخالفة أمره ونهيه .

4- المتجرىء على الاستهانة بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم يُخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله .

(75/3)

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (3)

شرح الكلمات :

{ تبارك } : أي تكاثرت بركته وعمت الخلائق كلها .

{ الذي نزل الفرقان } : أي الله الذي نزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل .

{ على عبده } : أي محمد صلى الله عليه وسلم .

{ ليكون للعالمين نذيرا } : أي ليكون محمد صلى الله عليه وسلم نذيراً للعالمين من الإنس والجن أي مخوفاً لهم من عقاب الله وعذابه إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحدوه .

{ فقدره تقديرا } : أي سواه تسوية قائمة على أساس لا اعوجاج فيه ولا زيادة ولا نقص عما تقتيه الحكمة والمصلحة .

{ ضراً ولا نفعاً } : أي لا دفع ضر ولا جلب نفع .

{ موتاً ولا حياة ولا نشوراً } : أي لا يقدرون على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثاً للأموات .

معنى الآيات :

يثني الرب تبارك وتعالى على نفسه بأنه عَظُم خيره وعمت بركته المخلوقات كلها الذي نزل الفرقان الكتاب العظيم الذي فرق به بين الحق والباطل والتوحيد والشرك والعدل والظلم أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين الإنس والجن نذيراً ينذرهم عواقب الكفر والشرك والظلم والشر والفساد وهي عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة وقوله : { الذي له ملك السموات والأرض } خلقاً وملكاً وعبيداً وهو ثناء بعد ثناء وقوله : { ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً } وهو ثناء آخر عظيم أثنى تبارك وتعالى فيه على نفسه بالملك والقدرة والخلق والعلم والحكمة وقوله : { واتخذوا من دونه آلهة } أصناماً { لا يخلقون شيئاً وهو يخلقون ولا يملكون لأنفسهم } فضلاً عن غيرهم من عابديهم { ضرّاً ولا نفعاً } أي دفع ضرٍ ولا جلب نفع ، ولا يملكون موتاَ لأحد ولا حياة لآخر ولا نشوراً للناس يوم القيامة . أليس هذا موضع تعجب واستغراب أمع الله الذي عمت بركته الأكوان وأنزل الفرقان ملك ما في السموات والأرض تنزه عن الولد والشريك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً تيخذون من دونه آلهة أصناماً لا تدفع عن نفسها ضراً ولا تجلب لها نفعاً ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً فسبحان الله أين يذهب بعقول الناس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته وهو إفاضة الخير على الخلق والملك والقدرة والعلم والحكمة .

2- التنديد بالشرك والمشركين .

3- تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (8) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (9)

شرح الكلمات :

{ افك افتراه } : أي ما القرآن إلا كذباً افتراه محمد وليس هو بكلام الله تعالى هكذا قالوا .

{ ظلماً وزوراً } : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلماً حيث جعلوا الكلام المعجز الهادي إلى الإسعاد والكمال البشري إفكا مختلقاً وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه .

{ اكتتبها } : أي طلب كتابتها له فكتبت له .

{ يعلم السر } : أي ما يسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في نفوسهم .

{ أو يلقى إليه كنز } : أي من السماء فينفق منه ولا يحتاج معه إلى الضرب في الأسواق .

{ جنة يأكل منها } : بستان فيه ما يغنيه من أنواع الحبوب والثمار .

{ رجلاً مسحوراً } : مخدوعاً مغلوباً على عقله .

{ ضربوا لك الأمثال } : أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلى ذلك .

{ فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً } : فضلوا الطريق الحق وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا يهتدون .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن أولئك المشركين الحمقى الذين اتخذوا من دون الله رب العالمين آلهة أصناماً لا تضر ولا تنفع أنهم زيادة على سفههم في اتخاذ الأحجار آهلة يعبدونها قالوا في القرآن الكريم والفرقان العظيم ما هو إلا إفك أي كذب اختلقه محمد وأعانه عليه قوم آخرون يعنون اليهود ساعدوه على الإتيان بالقرآن . فقد جاءوا بهذا القول الكذب الممقوت ظلماً وزوراً ظلماً لأنهم جعلوا القرآن المعجز الحامل للهدى والنور جعلوه كذبا وجعلوا البريء من الكذب والذي لم يكذب قط كاذباً فكان قولهم فيه زوراً وباطلاً . وقوله تعالى : { وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا } هذه الآية نزلت رداً على شيطان قريش النضر بن الحارث إذ كان يأتي الحرة ويتعلم أخبار ملوك فارس ورستم . وإذا حدث محمد صلى الله عليه وسلم قومه محذراً إياهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فإذا قام صلى الله عليه وسلم من المجلس جاء هو فجلس وقال تعالوا أقص عليكم إني أحسن حديثاً من محمد ، ويقول إن ما يقوله محمد هو من أكاذيب القصاص وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم فهو يحدث بها وهي تملى عليه أي يمليها عليه غيره صباحاً ومساءاً فرد تعالى هذه الفرية بقوله لرسوله : { قل أنزله } أي القرآن { الذي يعلم السر في السموات والأرض } أي سر ما يسره أهل السموات وأهل الأرض فهو علام الغيب المطلع على الضمائر العالم بالسرائر ، ولولا أن

رحمته سبقت غضبه لأهلك من كفر به وأشرك به سواه { إنه كان غفوراً رحيماً } يستر زلات من تاب إليه ويرحمه مهما كانت ذنوبه .

وقوله تعالى : { وقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منه وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً } هذه كلمات رؤوساء قريش وزعمائها لما عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك دعوته إلي ربه مقابل ما يشاء من ملك أو مال أو نساء أو جاه فرفض كل ذلك فقالوا له إذاً فخذ لنفسك لماذا وأنت رسول الله تأكل الطعام وتمشي في الأسواق تطلب العيش مثلنا فسل ربك ينزل إليك ملكاً فيكون معك نذيراً أو يلقي إليك بكنز من ذهب وفضة تعيش بهما أغنى الناس ، أو يجعل لك جنة من نخيل وعنب ، أو يجعل لك قصوراً من ذهب تتميز بها عن الناس وتمتاز فيعرف قدرك وتسود قومك وقوله تعالى : { وقال الظالمون } أي للمؤمنين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي انكم باتباعكم محمداً فيما جاء به ويدعو إليه ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ، أي مخدوعاً مغلوباً على عقله لا يدري ما يقول ولا ما يفعل أي فاتركوه ولا تفارقوا ما عليه آباؤكم وقومكم .

(77/3)

وقوله تعالى : { انظر كيف ضربوا كيف شبهوا لك الأشباه وضربوا لك الأمثال الباطلة فقالوا فيك مرة هو ساحر ، وشاعر وكاهن ومجنون فضاعوا في هذه التخرصات وضلوا طريق الحق فلا يرجى لهم هداية بعد ، وذلك لِبُعْدِ ضلالهم فلا يقدرون على الرجوع إلي الحق وهو معنى قوله : { فلا يستطيعون سبيلاً } .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كل قول وباطل ليصدوا عن سبيل الله وما زال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد إلى اليوم وإلي يوم القيامة .

2- تقرير الوحي الإلهي والنبوة المحمدية .

3- بيان حيرة المشركين إزاء دعوة الحق وضربهم الأمثال الواهية الرخيصة للصَّدِّ عن سبيل الله ، وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل والخيبة المرة .

(78/3)

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (10) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (11) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (12) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا

ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (13) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (14) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (15) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (16)

شرح الكلمات :

{ تبارك } : أي تقدس وكثر خيره وعمت بركته .

{ خيراً من ذلك } : أي الذي اقترحه المشركون عليك .

{ ويجعل لك قصوراً } : أي كثيرة لا قصراً واحداً كما قال المشركون .

{ بل كذبوا بالساعة } : أي لم يكن المانع لهم من الإيمان كونك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق بل تكذيبهم بالبعث والجزاء هو السبب في ذلك .

{ تغيظاً وزفيراً } : أي صوتاً مزعجاً من تغظيها على أصحابها المشركين بالله الكافرين به .

{ مقرنين } : أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد .

{ دعوا هنالك ثبوراً } : أي نادوا يا ثبورنا أي يا هلاكنا إذ الثبور الهلاك .

{ كانت لهم جزاءً ومصيراً } : أي ثواباً على إيمانهم وتقواهم ، ومصيراً صاروا إليها لا يفارقونها .

{ وعداً مسؤلا } : أي مطالباً به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين ربنا وآتنا وعدتنا والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الرد على مقترحات المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قالوا لولا أنزل إليه ملك ، أو يلقى إليه كنزٌ وتكون له جنة يأكل منها فقال تعالى : لرسول صلى الله عليه وسلم : { تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك } أي الذي اقترحوه وقالوا خذ لنفسك من ربك بعد أن رفضت طلبهم بترك دعوتك والتخلي عن رسالتك { جنات تجري من تحتها الأنهار } أي من خلال أشجارها وقصورها ، { ويجعل لك قصوراً } لا قصراً واحداً كما قالوا ، ولكنه لم يشأ ذلك لك من هذه الدار لأنها دار عمل ليست دار جزاء وراحة ونعيم فربك قادر على أن يجعل لك ذلك ولكنه لم يشأه والخير فيما يشاءه ، فاصبر فإن المشركين لم يكن المانع لهم من الإيمان هو كونك بشراً تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، أو أن الله تعالى لم ينزل إليك ملكاً بل المانع هو تكذيبهم بالساعة فعلة كفرهم وعنادهم هي عدم إيمانهم بالبعث والجزاء فلو آمنوا بالحياة الثانية لطلبوا كل سبب ينجي من عذابها ويحصل نعيمها { بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة } أي القيامة { سعيراً } أي ناراً مستعرة أو هي دركة من دركات النار تسمى سعيراً .

وقوله تعالى : { إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً } هذا وصف للسعير وهو أنها إذا رأت أهلها من ذوي الشرك والظلم والفساد من مكان بعيد تغيظت عليهم تغيظاً وزفرت زفيراً مزعجاً فيسمعونه فترتعد له فرائضهم ، { وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين } مشدودة أيديهم إلى أعناقهم بالأصفاد { دَعَوْا هنالك } أي نادوا بأعلى اصواتهم يا ثبوراه أي يا هلاكاه أحضر فهذا وقت حضورك : فيقال لهم : خزياً وتبكيتا وتحسيراً : { لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً } ، فهذا أوآن هلاككم وهزيكم وعذابكم وهنا تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { قل } لأولئك المشركين المكذبين بالبعث والجزاء : { أذلك } أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق

وهم يصرخون يدعون بالهلاك { خير أم دنة الخلد التي وعد المتقون } أي التي وعد الله تعالى بها عباده الذين اتقوا عذابه بالإيمان به وبرسوله وبطاعة الله ورسوله قطعاً جنة الخلد خير ولا مناسبة بينها وبين السعير ، وإنما هو التذكير لا غير وقوله : { كانت لهم } أي جنة الخلد كانت لأهل الإيمان والتقوى { جزاء } أي ثواباً ، { ومصيراً } يصيرون إليه لا يفارقونه وقوله تعالى : { لهم فيها ما يشاءون } أي فيها من أنواع المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وقوله : { خالدين } أي فيها لا يموتون ولا يخرجون ، وقوله : { كان على ربك وعداً مسئولاً } أي تفضل ربك أيها الرسول بها فوعد بها عباده المتقين وعداً يسألونه إياه فينجزه لهم فهم يقولون :

(79/3)

{ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك } ، { والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم } هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان أن مرد كفر الكافرين وظلم الظالمين وفساد المفسدين إلى تكذيبهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة فإن من آمن بالبعث الآخر سارع إلى الطاعة والاستقامة .

2- تقرير عقيدة البعث الآخر بوصف بعض ما يتم فيه من الجزاء بالنار والجنة .

3- فضل التقوى وأنها ملاك الأمر فمن آمن واتقى فقد استوجب الدرجات العلى جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والدرجات العلى .

(80/3)

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (18) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (19) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (20)

شرح الكلمات :

{ يحشرهم } : أي يجمعهم .

{ وما يعبدون من دون الله } : من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن .

{ أم هم ضلوا السبيل } : أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلى ذلك .

{ سبحانك } : أي تنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك وكمالك .

{ ولكن متعتهم } : أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم .

{ وكانوا قوماً بوراً } : أي هلكى ، إذ البوار الهلاك .

{ ومن يظلم منكم } : أي ومن يشرك منكم أيها الناس .

{ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة } : أي بليّة فالغني مبتلَى بالفقير ، والصحيح بالمريض ، والشريف بالوضيع فالفقير يقول ما لي لا أكون كالغني والمريض يقول مالي لا أكون كالصحيح ، والوضيع يقول ما لي لا أكون كالشريف مثلاً .

{ أتصبرون } : أي اصبروا على ما تسمعون مِمَّن ابتليتم بهم ، إذ الاستفهام للأمر هنا .

{ وكان ربك بصيراً } : أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر لها في القيامة إذ إنكار هذه العقيدة هو سبب كل شر وفساد في الأرض فقوله تعالى : { ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله } أي اذكر يا رسولنا يوم يحشر الله المشركين وما كانوا يعبدونهم من دوننا كالملائكة والمسيح والأولياء والجن . { فيقول } لمن كانوا يعبدونهم { آنتم اضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل؟ } أي ما أضللتموهم ولكنهم ضلوا طريق الحق بأنفسهم فلم يهتدوا إلى عبادتي وحدي دون سواي ، فيقول المعبودون { سبحانك } أي تنزيهاً لك وتقديساً عن كل ما لا يليق بجلالك وكمالك { ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء } أي لا يصح منا اتخاذ أولياء من دونك فندعو عبادك إلى عبادتهم فنضلهم بذلك ، { ولكن متعهم } يا ربنا { وآباءهم } من قبلهم بطول الأعمار وسعة الأرزاق فانغمسوا في الشهوات والملاذ { حتى نسوا الذكر } أي نسوا ذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قوماً بوراً أي هلكى خاسرين .

وقوله تعالى : { فقد كذبوكم بما تقولون } يقول تعالى للمشركين فقد كذبكم من كنتم تشركون به ، فقامت الحجة عليكم فانتم الآن لا تستطيعون صرفا للعذاب عنكم ولا نصراً أي ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم .

وقوله تعالى : { ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً } هذا خطاب عام لسائر الناس يقول تعالى للناس ومن يشرك منكم بي أي يعبد غيري نذقه أي يوم القيامة عذاباً كبيراً وقوله تعالى : { وما أرسلناك قبلك } أي يا رسولنا { من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق إذاً فلا تهتم بقول المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام } ولا تحفل به فإنهم يعرفون ذلك ولكنهم يكابرون ويجاحدون .

وقوله تعالى : { وجعلنا بعضكم لبعض فتنة } أي هذه سنتنا في خلقنا نبتلي بعضهم ببعض فنبتلي المؤمن بالكافر والغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع ، وننظر من يصبر ومن يجزع ونجزي الصابرين بما يستحقون والجزعين كذلك .

(81/3)

وقوله تعالى : { أتصبرون } هذا الاستفهام معناه الأمر أي اصبروا إذاً ولا تجزعوا أيها المؤمنون من أذى المشركين والكافرين لكم . وقوله تعالى : { وكان ربك بصيرا } أي وكان ربك أيها الرسول بصيراً بمن يصبر وبمن يجزع فاصبر ولا تجزع فإنها دار الفتنة والامتحان وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

2- يالهول الموقف إذا سئل المعبودون عمن عبدوهم ، والمظلومون عمن ظلموهم .

3- براءة الملائكة والأنبياء والأولياء من عبادة من عبدوهم .

4- خطورة طول العمر وسعة الرزق إذ غالباً ما ينسى العبد بهما ربه ولقاءه .

5- تقرير أن الدنيا دار ابتلاء فعلى أولي الحزم أن يعرفوا هذا ويخلصوا منها بالصبر والتحمل في ذات الله حتى يخرجوا منها ولو كفافاً لا لهم ولا عليهم .

(82/3)

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (23) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (24)

شرح الكلمات :

{ لا يرجون لقاءنا } : أي المكذبون بالبعث إذ لقاء العبد ربه يكون يوم القيامة .

{ لولا أنزل علينا الملائكة } : أي هلاّ أنزلت علينا ملائكة تشهد لك بأنك رسول الله .

{ أو نرى ربنا } : أي فيخبرنا بأنك رسول وأن علينا أن نؤمن بك .

{ استكبروا في أنفسهم } : أي في شأن أنفسهم ورأوا أنهم أكبر شيء وأعظمه غروراً منهم .

{ وعتوا عتواً كبيراً } : أي طغوا طغياناً كبيراً حتى طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب تعالى .

{ ويقولون حجراً محجوراً } : أي تقول لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم البشرى .

{ وقدمنا إلي ما عملوا } : أي عمدنا إلى أعمالهم الفاسدة التي لم تكن على علم وإخلاص .

{ هباء منثوراً } : الهباء ما يرى من غبار في شعاع الشمس الداخل من الكوى .

{ وأحسن مقيلاً } : المقيل مكان الاستراحة في نصف النهار في أيام الحر .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر أقوال المشركين من قريش فقال تعالى { وقال الذين لا يرجون لقاءنا } وهم المكذبون بالبعث المنكرون للحياة الثانية بكل ما فيها من نعيم وعذاب { لولا أنزل علينا الملائكة } أي هلا أنزل الله علينا الملائكة تشهد لمحمد بالنبوة { أو نرى ربنا } فيخبرنا بأن محمداً رسوله وأن علينا أن نؤمن به وبما جاء به ودعا إليه . قال تعالى { لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً } أي وعزتنا وجلالنا لقد استكبر هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث في شأن أنفسهم ورأوا أنهم شيء كبير وعتوا أي طغوا طغياناً كبيراً في قولهم هذا الذي لا داعي إليه إلا الشعور بالكبر ، والطغيان النفسي الكبير ، وقوله { يوم يرون الملائكة } أي الذين يطالبون بنزولهم عليهم ، وذلك يوم القيامة .

لا بشرى يومئذ للمجرمين أي الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والظلم الفساد : { ويقولون } أي وتقول لهم الملائكة { حجراً محجوراً } أي حراماً محرماً عليكم البشرى بل هي للمؤمنين المتقين .

وقوله تعالى : { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً } أي وعمدنا إلى أعمالهم التي لم تقم على مبدأ الإيمان والإخلاص والموافقة للشرع فصيرناها هباءً منثوراً كالغبار الذي يرى في ضوء الشمس الداخل مع كوة أو نافذة لا يقبض باليد ولا يلمس بالأصابع لدقته وتفرقه فكذلك أعمالهم لا ينتفعون منها بشيء لبطلانها وعدم الاعتراف بها .

وقوله تعالى : { أصحاب الجنة } أي أهلها الذين تأهلوا لها بالإيمان والتقوى يومئذ أي يوم القيامة الذي كذب به المكذبون خير مستقراً أي مكان استقرار وإقامة وأحسن مقيلا أي مكان استراحة من العناء في نصف النهار أي خير وأحسن من أهل النار المشركين المكذبين وفي هذا التعبير إشارة إلى أن الحساب قد ينقضي في نصف يوم الحساب وذلك أن الله سريع الحساب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان ما كان عليه غلاة المشركين من قريش من كبر وعتو وطغيان .

2- إثبات رؤية الملائكة عند قبض الروح ، ويوم القيامة .

3- نفي البشرى عن المجرمين وإثباتها للمؤمنين المتقين .

4- حبوط عمل المشركين وبطلانه حيث لا ينتفعون بشيء منه البتة .

5- انتهاء حساب المؤمنين قبل نصف يوم الحساب الذي مقداره خمسون ألف سنة .

(83/3)

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29)

شرح الكلمات :

{ بالغمام } : أي عن الغمام وهو سحاب أيض رقيق كالذي كان لبني إسرائيل في التيه .

{ الملك } : أي الملك الحق لله ولم يبق لملوك الأرض ومالیكها ملك في شيء ولا لشيء .

{ على الكافرين عسيراً } : أي صعباً شديداً .

{ يعض الظالم على يديه } : أي ندماً وأسفاً على ما فرط ف جنب الله .

{ سبيلا } : أي طريقاً إلى النجاة بالإيمان والطاعة .

{ لم أتخذ فلاناً خليلاً } : أي أبي بن خلف خليلاً صديقاً ودوداً .

{ لقد أضلني عن الذكر } : أي عن القرآن وما يدعو إليه من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح .

{ وكان الشيطان } : شيطان الجن وشيطان الإنس معاً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض مظاهر القيامة وبيان أحوال المكذبين بها فقال تعالى { ويوم } أي اذكر { يوم تشقق السماء بالغمام } أي عن الغمام ونُزّل الملائكة تنزيلاً وذلك لمجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ، وقوله تعالى { الملك يومئذ الحق } أي الثابت للرحمن عز وجل لا لغيره من ملوك الدنيا ومالكيها ، وكان ذلك اليوم يوماً على الكافرين عسيراً لا يطاق ولا يحتمل ما فيه من العذاب والأهوال وقوله { يوم يعض الظالم على يديه } أي المشرك الكافر بيان لعسر اليوم وشدته حيث يعض الظالم على يديه تندماً وتحسراً وأسفاً على تفريطه في الدنيا في الإيمان وصالح الأعمال . . . يقول يا ليتني أي متمنياً : { اتخذت مع الرسول سبيلا } أي طريقاً إلى النجاة من هول هذا اليوم وذلك بالإيمان والتقوى . وينادي مرة أخرى قائلاً { يا ليتني } أى يا هلكتي احضري فهذا وقت حضورك ، ويتمنى مرة أخرى فيقول { يا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً } وهو شيطان من الإنس أو الجن كان قد صافاه ووالاه في الدنيا فغرر به وأضله عن الهدى . فال في تحسر { لقد أضلني عن الذكر } أي القرآن بعد إذ جاءني من ربي بواسطة الرسول وفيه هداي وبه هديتي ، قال تعالى : { وكان الشيطان للإنسان خذولاً } أي يورطه ثم يتخلى عنه وتيركه في غير موضع وموطن .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر البعث والجزاء وبذكر أحوالها وبعض أهوالها .

2- إثبات مجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء يوم القيامة .

3- تندم الظلمة وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان والطاعة لله ورسوله .

4- بيان سوء عاقبة موالاة شياطين الإنس والجن وطاعتهم في معصية الله ورسوله .

5- تقرير مبدأ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذ عقبة بن أبي معيط هو الذي أطاع أبي بن خلف حيث آمن ، ثم لامه أُبيُّ بن خلف فارتد عن الإسلام فهو المتندم المتحسر القائل { يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر . . . } .

(84/3)

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (33) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (34)

شرح الكلمات :

{ مهجوراً } : أي شيئاً متروكاً لا يلفت إليه .

{ هادياً ونصيراً } : أي هادياً لك إلى طريق الفوز والنجاح وناصراً لك على كل إعدائك .

{ جملة واحدة } : أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور دفعة واحدة فلا تجزئه ولا تفريق .

{ لتثبت به فؤادك } : أي نقوي قلبك لتتحمل أعباء الرسالة وأبلاغها .

{ ورتلناه ترتيلاً } : أي أنزلناه شيئاً فشيئاً آيات بعد آيات وسورة بعد أخرى ليتيسر فهمه وحفظه .

{ شر مكاناً } : أي ينزلونه وهو جهنم والعياذ بالله منها .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال البعث الآخر الذي أنكره المشركون وكذبوا فقال تعالى { وقال الرسول : يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } هذه شكوى الرسول صلى الله عليه وسلم بقومه إلى ربه ليأخذهم بذلك . وهجرهم للقرآن تركهم سماعه وتفهمه والعمل بما فيه .

وقوله تعالى : { وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين } أي وكما جعلنا لك أيها الرسول أعداء لك من مجرمي قومك جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من مجرمي قومه ، إذاً فاصبر وتحمل حتى تبلغ رسالتك وتؤدي أمانتك ، والله هاديك إلى سبيل نجاحك وناصرك على أعدائك . وهذا معنى قوله تعالى { وكفى بربك هادياً ونصيراً } . وقوله تعالى : { وقال الذين كفروا لولا نُزلَ عليه القرآن جملة واحدة } أي وقال المكذبون بالبعث المنكرون للنوبة المحمدية المشركون بالله آلهة من الأصنام هلا نزل عليه القرآن مرة واحدة مع بعضه بعضاً لا مفرقاً آيات وسوراً أي كما نزلت التوراة جملة واحدة والإنجيل الزبور وهذا من باب التعنت منهم والاقتراحات التي لا معنى لها إذ هذا ليس من شأنهم ولا مما يحق لهم الخوض فيه ، ولكنه الكفر والعناد . ولما كان هذا مما قد يؤلم الرسول صلى الله عليه وسلم رد تعالى عليهم بقوله { كذلك } أي أنزلناه كذلك منجماً ومفرقاً لحكمة عالية وهي تقوية قلبك وتثبيته لأنه كالغيث كلما أنزل أحيا موات الأرض وازدهرت به ونزوله مرة بعد مرة أنفع من نزول المطر دفعة واحدة . وقوله تعالى : { ورتلناه ترتيلا } أي أنزله مرتلاً أي شيئاً فشيئاً ليتيسر حفظه وفهمه والعمل به .

وقوله تعالى : { ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً } هذا بيان الحكمة في نزول القرآن مفرقاً لا جملة واحدة وهو أنهم كلما جاءوا بمثل أو عرض شبهة ينزل القرآن الكريم بإبطال دعواهم وتفنيد كذبهم ، وإلغاء شبهتهم ، وإحقاق الحق في ذلك وبأحسن تفسير لما اشتبه عليهم واضطربت نفوسهم فيه وقوله تعالى { الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً } أي أولئك المنكرون للبعث المقترحون نزول القرآن جملة واحدة هم الذين يحشرون على وجوههم تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى جهنم لأنهم مجرمون بالشرك والتكذيب والكفر والعناد أولئك البعداء شر مكاناً يوم القيامة ، واضل سبيلاً في الدنيا ، إذ مكانهم جهنم ، وسبيلهم الغواية والضلالة والعياذ بالله من ذلك .

(85/3)

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم على من هجروا القرآن الكريم فلم يسمعوه ولم يتفهموه ولم يعملوا به ، وشكواه إياهم إلى الله عز وجل .

2- بيان سنة الله في العباد وهي أنه ما من نبي ولا هاد ولا منذر إل وله عَدُوًّ من الناس وذلك لتعارض الحق مع الباطل ، فينجم عن ذلك عداء لازم من أهل الباطل لأهل الحق .

3- بيان الحكمة في نزول القرآن منجماً شيئاً فشيئاً مفرقاً .

4- بيان أن المجرمين يحشرون على وجوههم لا على أرجلهم إلى جهنم إهانة لهم وتعذيباً .

(86/3)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (35) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (36) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (37) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (38) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (39) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (40)

شرح الكلمات :

{ الكتاب } : أي التوراة .

{ وزيراً } : أي يشد أزره ويقويه ويتحمل معه أعباء الدعوة .

{ إلى القوم الذين كذبوا } : هم فرعو وآله .

{ لما كذبوا الرسل } : أي نوحاً عليه السلام .

{ وجعلناهم للناس آية } : أي علامة على قدرتنا في إهلاك وتدمير الظالمين وعبرة للمعتبرين .

{ وعاداً وثمود } : أي اذكر قوم عاد وثمود إلخ . .

{ وأصحاب الرس } : الرس بئر رس فيها قوم نبيهم ، أي رموه فيها ودسوه في التراب .

{ وقروناً بين ذلك كثيراً } : أي ودمرنا بين من ذكرنا من الأمم قروناً كثيراً .

{ تبرنا تتبيرا } : أي دمرناهم تدميراً .

{ التي أمطرت مطر السوء } : هي سدوم قرية قوم لوط .

{ لا يرجون نشوراً } : أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء الآخر .

معنى الآيات :

قوله تعالى { ولقد آتينا موسى الكتاب } هذا شروع في عرض أمم كذبت رسلها وردت دعوة الحق التي جاءوا بها فأهلكهم الله تعالى ليكون هذا عظة للمشركين لعلهم يتعظون فقال تعالى وعزتنا لقد آتينا موسى بن عمران الكتاب الذي

هو التوراة { وجعلنا معه أهاه هارون وزيراً } أي معيناً ، فقلنا أي لهما { اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا } وهم فرعون وملأه فأتوهم فكذبوهما فدمرناهم تدميراً كاملاً حيث أغرقوا في البحر ، وقوله تعالى : { وقوم نوح } أي اذكر قوم نوح أيضاُ فإنهم لما كذبوا الرسل أي كذبوا نوحاً ومن كذب رسولاً فكأنما كذب عامة الرسل أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس بعدهم آية أي عبرة للمعتبرين وقوله { وأعتدنا } أي وهيأنا للظالمين في الآخرة عذاباً أليماً أي موجعاً زيادة على هلاك الدنيا ، وقوله { وعاداً وثمود وأصحاب الرس } أي أهلكنا الجميع ودمرناهم تدميراً لما كذبوا رسلنا وردوا دعوتنا ، وقروناً أي وأهلكنا قروناً بين ذلك الذي ذكرنا كثيراً .

وقوله { وكلاً ضربنا له الأمثال } أي إقامة للحجة عليهم فما أهلكناهم إلا بعد الإنذار والإعذار لهم . وقوله { وكلاً تبرنا تبتيراًً } أي أهلكناهم إهلاكاً لتكذيبهم رسلنا وردهم دعوتنا . وقوله : { ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء } أي ولقد مر أي كفار قريش على القرية التي أمطرت مطر السوء أي الحجارة وهي قرى قوم لوط سدوم وعمورة وغيرها فأهلكهم لتكذيبهم رسولهم وإتيانهم الفاحشة وقوله تعالى { أفلم يكونوا يرونها } في سفرهم إلى الشام وفلسطين . فيعتبروا بها فيؤمنوا وهو استفهام تقريري وإذا كانوا يمرون بها وفكنهم لم يعتبروا لعلة وهي أنهم لا يؤمنون بالبعث الآخر وهو معنى قوله تعالى { بل كانوا لا يرجون نشوراً } فالذي لا يرجو أن يبعث ويحاسب ويجزى لا يؤمن ولا يستقيم أبداً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم بعد الإنذار والإعذار إليها .

2- بيان عاقبة المكذبين وما حل بهم ومن دمار وعذاب .

3- بيان علة تكذيب قريش للرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وهي تكذيبهم بالبعث والجزاء فلهذا لم تنفعهم المواعظ ولم تؤثر فيهم العبر .

(87/3)

وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (41) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (42) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)

شرح الكلمات :

{ إن يتخذونك } : أي ما يتخذونك .

{ إلا هزواً } : أي مهزوءاً به .

{ أهذا الدي بعث الله رسولاً } : أي في دعواه لا أنهم معترفون برسالته والاستفهام للتهكم والاحتقار .

{ ن كان ليضلنا عن آلهتنا } : أي قارب أن يصرفنا عن آلهتنا .

{ لولا أن صبرنا عليها } : أي لصرفنا عنها .

{ أرأيت من اتخذ آلهه هواه } : أي أخبرني عمن جعل هواه معبوده فأطاع هواه . فهل تقدر على هدايته .

{ إن هم إلا كالأنعام } : أي ما هم إلا كالأنعام في عدم الوعي والإدراك .

معنى الآيات :

قوله تعالى { وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً } يخبر تعالى رسوله عن أولئك المشركين المكذبين بالبعث أنهم إذا رأوه في مجلس أو طريق ما يتخذونه لا هزوا أي مهزوءاً به احتقاراً وازدراءً له فيقولون فيما بينهم ، { أهذا الذي بعث الله رسولاً } وهو استفهام احتقار وزدراء لأنهم لا يعتقدون أنه رسول الله ويقولون { إن كاد ليضلنا عن آلهتنا } أي يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا وثبتنا على عبادتها . وهذا القول منهم نابج عن ظلمة الكفر والتكذيب بالبعث وقوله تعالى { وسوف يعلمون حين يرون العذاب } في الدنيا أو في الآخرة أي عندما يعاينون العذاب يعرفون من كان أضل سبيلاً هم أم الرسول والمؤمنون ، وفي هذا تهديد ووعيد بقرب عذابهم وقد حل بهم في بدر فذلوا وأسروا وقتلوا وتبين لهم أنهم أضل سبيلاً من النبيّ وأصحابه . وقوله تعالى لرسوله وهو يسليه ويخفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته { أرأيت من اتخذ إلهه هواه } أخبرني عمن جعل معبوده هواه فلا يعبد غيره فكلما اشتهى شيئاُ فعله بلا عقل ولا روية ولا فكر فقد يكون لأحدهم حجر يعبده فإذا رأى حجراً احسن منه عبده وترك الأول فهذا لم يعبد إلا هواه وشهوته فهل مثل هذا الإنسان الهابط على مستوى دون البهائم تقدر على هدايته يا رسولنا؟ { أفأنت تكون عليه وكيلاً } أي حفيظاً تتولى هدايته أم أنك لا تقدر فاتركه لنا يمضي فيه حكمنا .

وقوله { أم تحسب } أيها الرسول أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يقال لهم ويعقلون ما يطلب منهم إن هم إلا كالأنعام فقط بل هم أضل سبيلاً من الأنعام إذ الأنعام تعرف طريق مرعاها وتستجيب لنداء راعيها وهم على خلاف ذلك فجهلوا ربهم الحق ولم يتسجيبوا لنداء رسوله إليهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلاقي في سبيل الدعوة من سخرية به واستهزاء .

2- يتجاهل الإنسان الضال الحق وينكره حتى إذا عاين العذاب عرف ما كان ينكر ، وآمن بما كان يكفر .

3- هداية الإنسان ممكنة حتى إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه تعذرت هدايته وأصبح أضل من الحيوان وأكثر خسراناً منه .

(88/3)

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (46) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (47) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (49)

شرح الكلمات :

{ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل } : أي ألم تنظر إلى صنيع ربك في الظل كيف بسطه .

{ ولو شاء الله لجعله ساكناً } : أي ثابتاً على حاله ي الطول والامتداد ولا يقصر ولا يطول .

{ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً } : أي علامة على وجوده إذ لولا الشمس لما عرف الظل .

{ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيرا } : أي أزلناه بضوء الشمس على مهل جزءاً فجزءاً حتى ينتهي .

{ ثم جعلنا الليل لباساً } : أي يستركم بظلمه كما يستركم اللباس .

{ والنوم سباتاً } : أي راحة لأبدانكم من عناء عمل النهار .

{ وجعل النهار نشوراً } : أي حياة إذ النوم بالليل كالموت والانتشار بالنهار كالبعث .

{ بشراً بين يدي رحمته } : أي مبشرة بالمطر قبل نزوله ، والمطر هو الرحمة .

{ ماء طهوراً } : أي تتطهرون به من الأحداث والأوساخ .

{ لنحيي به بلدة ميتاً } : أي بالزروع والنباتات المختلفة .

{ أنعاماً وأناسي كثيراً } : أي حيواناً وأناساً كثيرين .

{ ولقد صرفناه بينهم } : أي المطر فينزل بأرض قوم ولا ينزل بأخرى لحكم عالية .

{ ليذكروا } : أي يذكروا فضل الله عليهم فيشكروا فيؤمنوا ويوحدوا .

{ فأبى أكثر الناس إلا كفوراً } : أي فلم يذكروا وأبى أكثرهم إلا كفوراً جحوداً للنعمة .

معنى الآيات :

قوله تعالى { ألم تر إلى ربك كيف مد الظل } هذا شروع في ذكر مجموعة من أدلة التوحيد وهي مظاهر لربوبية الله تعالى المقتضية لألوهيته فأولاً الظل وهو المشاهد من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس وقد مدّه الخالق عز وجل أي بسطه في الكون ، ثم تطلع الشمس فتأخذ في زواله وانكماشه شيئاً فشيئاً ، ولو شاء الله تعالى لجعله ساكناً لا يبارح ولا يغادر ولكنه حسب مصلحة عباد جعله يتقاصر ويقبض حتى تقف الشمس في كبد السماء فيستقر ثم لما تدحض الشمس مائلة إلى الغروب يفيء أي يرجع شيئاً فشيئاً فيطول تدريجياً لتعرف به ساعات النهار وأوقات الصلوات حتى يبلغ من الطول حداً كبيراً كما كان في أول النهار ثم يقبض قبضاً يسيراً خفياً سريعاً حين تغرب الشمس ويغشاه ظلام الليل . هذه آية من آيات قدرة الله وعلمه حكمته ورحمته بعباده تجلت في الظل الذي قال تعالى فيه { ألم تر } أيها الرسول أي تنظر إلى صنيع ربك جل جلاله { كيف مد الظل ، ولو شاء لجعله ساكناً } ينتقل ، { ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً } إذ بضوءها يعرف ، فلولا الشمس لما عرف الظل وقوله تعالى { ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً } حسب سنته ففي خفاء كامل وسرعة تامة يقبض الظل نهائياً ويحل محله الظلام الحالك .

وثانياً : في الليل والنهار قال تعالى : { وهو الذي جعل لكم الليل لباساً } أي ساتراً يستركم بظلامه كما تستركم الثياب ، { والنوم سباتاً } أي حياة بعد وفاة والنوم فيتنشر فيه الناس لطلب الرزق بالعمل بالأسباب والسنن التي وضع الله تعالى لذلك .

وثالثا : إرسال الرياح للقاح السحب للإمطار لإحياء الأرض بعد موتها بالقحط والجدب قال تعالى : { وهو الذي أرسل الرياح } هو لا غيره من الآلهة الباطلة { أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته } أي مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة وهي بين يديه فمن يفعل هذا غير الله؟ الله إنه لا أحد .

ورابعاً : إنزال الماء الطهور العذب الفرات للتطهير به وشرب الحيوان والإنسان قال تعالى { وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً } أي إبلاً وبقراً وغنماً { وأناسي كثيراً } أي وأناساً كثيرين وهم الآدميون ففي خلق الماء وإنزاله وإيجاد حاجة في الحيوان والإنسان إليه ثم هدايتهم لتناوله وشربه كل هذا آيات الربوبية الموجبة لتوحيد الله تعالى .

وخامساً : تصريف المطر بين الناس فيمطر في أرض ولا يمطر في أخرى حسب الحكمة الإلهية والتربية الربانية ، قال تعالى : { ولقد صرفناه بينهم } أي بين الناس كما هو مشاهد إقليم يسقى وآخر يحرم ، وقوله تعالى : { فأبى أكثر الناس إلا كفوراًً } أي جحوداً لإنعام الله عليهم وربوبيته عليهم وأولهيته لهم . وهو أمر يقتضي التعجب والاستغراب هذه مظاهر الربوبية المقتضية للألوهية ، { وأبى أكثر الناس إلا كفوراً } والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- عرض الأدلة الحسية على وجوب عبادة الله تعالى وتوحيده فيها ووجوب الإيمان بالبعث والجزاء الذي أنكره المشركون فضلوا ضلالاً بعيداً .

2- بيان فائدة الظل إذ به تعرف ساعات النهار وبه يعرف وقت صلاة الظهر والعصر فوقت الظهر من بداية الفيء ، أي زيادة الظل بعد توقفه من النقصان عند وقوف الشمس في كبد السماء ، ووقت العصر من زيادة الظل مثله بمعنى إذا دخل الظهر والظل أربعة أقدام أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فإذا زاد مثله دخل وقت العصر فإن زالت الشمس على أربعة أقدام فالعصر يدخل عندما يكون الظل ثمانية أقدام وإن زالت الشمس على ثلاثة أقدام فالعصر على ستة أقدام وهكذا .

3- الماء الطهور وهو الباقي على أصل خلقته فلم يخالطه شيء يغير طعمه أو لونه أو ريحه ، وبه ترفع الأحداث وتغسل النجاسات ، ويحرم منعه عمن احتاج إليه من شرب أو طهارة .

(90/3)

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (50) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (51) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (53) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (55) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (56)

شرح الكلمات :

لبعثنا في كل قرية نذيراً : أي رسولاً ينذر أهلها عواقب الشرك والكفر .

{ وجاهدهم به جهاداً كبيراً } : أي بالقرآن جهاداً كبيراً تبلغ فيه أقصى غاية جهدك .

{ مرج البحرين } : أي خلط بينهما وفي نفس الوقت منع الماء الملح أن يفسد الماء العذب .

{ وجعل بينهما برزخاً } : أي القرآن جهاداً كبيراً تبلغ فيه أقصى غاية جهدك .

{ مرج البحرين } : أي خلط بينهما وفي نفس الوقت منع الماء الملح أن يفسد الماء العذب .

{ وجعل بينهما برزخاً } : أي حاجزاً بين الملح منهما والعذب .

{ وحجراً محجوراً } : أي وجعل بينهما سداً مانعاً فلا يحلو الملح ، ولا يملح العذب .

{ خلق من الماء بشراً } : أي خلق من الماء الإنسان والمراد من الماء النطفة .

{ فجعله نسباً وصهراً } : أي ذكراً وأنثى أي نسباً ينسب إليه ، وصهراً يصهر إليه أي يتزوج منه .

{ ما لا يضرهم ولا ينفعهم } : أي أصناماً لا تضر ولا تنفع .

{ وكان الكافر على ربه ظهيرا } : اي معيناً للشيطان على معصية الرحمن .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تعداد مظاهر الربوبية المستلزمة للتوحيد قال تعالى { ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً } أي في كل مدينة نذيراً أي رسولاً ينذر الناس عواقب الشرك والكفر ، ولكنا لم نشأ لحكمة اقتضتها ربوبيتنا وهي أن تكون أيها الرسول أفضل الرسل وأعظم منزلة وأكثرهم ثواباً فحبوناك بهذا الفضل فكنت رسول كل القرى أبيضتها وأسودها فاصبر وتحمل ، واذكر شرف منزلتك { فلا تطع الكافرين } في أمر أرادوه منك { وجاهدهم } به أي بالقرآن وكله حجج وبينات جهاداً كبيراً تبلغ فيه اقصى جهدك . بعد هذه الجملة الاعتراضية من الكلام الإلهي قال تعالى مواصلاً ذكر مظاهر ربوبيته تعالى على خلقه . { وهو الذي مرج البحرين } الملح والعذب أي أرسلهما مع بعضهما بعضاً { هذا عذب فرات } أي حلو { سائغ شرابه ، وهذا ملح اجاج } أي لا يشرب { وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً } أي ساتراً مانعا من اختللاط العذب بالملح مع وجودهما في مكان واحد ، فلا يبغي هذا على هذا بأن يعذب الملح أو يملح العذب . وقوله تعالى { وهو الذي خلق من الماء بشراً أي من المني ونطفته خلق الإنسان وجعله ذكراً وأنثى وهو معنى قوله نسباً وصهراً أي ذوي نسب ينسب إليهم وهم الذكور ، وذوات صهر يصاهر بهن وهن الإناث . وقوله تعالى : { وكان ربك قديراً } أي على فعل ما يريده من الخلق والإيجاد أو التحويل والتبديل ، والسلب والعطاء هذه مظاهر الربوبية المقتضية لعبادته وتوحيده والمشركون يعبدون من دونه أصناماً لا تنفعهم إن عبدوها ، ولا تضرهم إن لم يعبدوها وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم فيعبدون الشيطان إذ هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وبذلك كان الكافر على ربه ظهيرا إذ بعبادته للشيطان يعينه على معصية الرب تبارك وتعالى وهو معنى قوله تعالى ، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وكان الكافر على ربه ظهيرا .

أي معيناً للشيطان على الرحمن والعياذ بالله تعالى .

وقوله تعالى : { وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً } يقول تعالى لرسوله إنا لم نرسلك لغير بشارة المؤمنين بالجنة ونذارة الكافرين بالنار أما هداية القلوب فهي إلأينا من شئنا هدايته اهتدى ومن لم نشأها ضل . إلا أن الله يهدي ويضل حسب سنن له قد مر ذكرها مرات .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- الإشارة إلى الحكمة في عدم تعدد الرسل في زمن البعثة المحمدية والاكتفاء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

2- حرمة طاعة الكافرين في أمور الدين والشرع .

3- من الجهاد جهاد الكفار والملاحدة بالحجج القرآنية والآيات التنزيلية .

4- مظاهر العلم والقدرة الإلهية في عدم اختلاط البحرين مع وجودهما في مكان واحد .

وفي خلق الله تعالى الإنسان من ماء وجعله ذكراً وأنثى للتناسل وحفظ النوع .

5- التنديد بالمشركين والكافرين المعينين للشيطان على الرحمن .

(92/3)

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (57) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60) تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62)

شرح الكلمات :

{ عليه من أجر } : أي على البلاغ من أجر اتقاضاه منكم .

{ سبيلا } : أي طريقاً يصل به إلى مرضاته والفوز بجواره ، وذلك بإنفاق ماله في سبيل الله .

{ وسبح بحمده } : أي قل سبحان الله وبحمده .

{ في ستة أيام } : أي من أيام الدنيا التي قدرها وهي الأحد . . . والجمعة .

{ ثم استوى على العرش } : العرش سرير الملك والاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب .

{ فاسأل به خبيراً } : أي أيها الإنسان إسأل خبيراً بعرش الرحمن ينبئك فإنه عظيم .

{ وزادهم نفوراً } : أي القول لهم اسجدوا للرحمن زادهم نفوراً من الإيمان .

{ جعل في السماء بروجاً } : هي إثنا عشر برجاً انظر تفصيلها في معنى الآيات .

{ سراجاً } : أي شمساً .

{ خلفة } : أي يخلف كل منهما الآخر كما هو مشاهد .

{ أن يذكر } : أي ما فاته في أحدهما فيفعله في الآخر .

{ أو أراد شكوراً } : أي شكراً لنعم ربه عليه فيهما بالصيام والصلاة .

معنى الآيات :

بعد هذا العرض العظيم لمظاهر الربوبية الموجبة للألوهية أمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين ما أسألكم على هذا البيان بينت لكم ما تعرفون به إلهكم الحق فتعبدونه وتكملون على عبادته وتسعدون أجراً أي مالاً ، لكن من شاء أن ينفق من ماله في وجوه البر والخير يتقرب به إلى فله ذلك ليتخذ بنفقته في سبيل الله طريقاً إلى رضا ربه عنه ورحمته له . وقوله { وتوكل على الحي الذي لا يموت } يأمر تعالى رسوله أن يمضي في طريق دعوته مبلغاً عن ربه داعياً إليه متوكلاً أي مفوضاً أمره إليه إذ هو الحي الذي لايموت وغيره يموت ، وأمره أن يستعين على دعوته وصبره عليها بالتسبيح فقال { وسبح بحمده } أي قل سبحان الله وبحمده ، وسبحانك اللهم وبحمدك وهو أمر بالذكر والصلاة وسائر العبادات فإنها العون الكبير للعبد على الثبات والصَّبْر . وقوله تعالى { وكفى به بذنوب عباده خبيراً } أي فلا تكرب لهم ولا تحزن عليهم من أجل كفرهم وتكذيبهم وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محص عليهم أعمالهم وسيجزيهم بها في عاجل أمرهم أو آجله ، ثم أثنى تبارك وتعالى على نفسه بقوله { الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام } مقدرة بأيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة ، ثم استوى على العرش العظيم استواء يليق بجلاله وكماله . { الرحمن } الذي عمَّت رحمته العالمين { فاسأل به خبيراً } أي فاسأل يا محمد بالرحمن خبيراً بخلقه فإنه خالق كل شيء والعليم بكل شيء فهو وحده العليم بعظمة عرشه وسعة ملكه وجلال وكمال نفسه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله { وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن } أي وإذا قال لهم الرسول أيها المشرك اسجدوا للرحمن ولا تسجدوا لسواه من المخلوقات . قالوا منكرين متجاهلين { ما الرحمن؟ } أنسجد لما تأمرنا أي أتريد أن تفرض علينا طاعتك { وزادهم } هذا القول { نفوراً } ، أي عبداً واستنكاراً للحق العياذ بالله تعالى .

(93/3)

وقوله تعالى { تبارك الذي جعل في السماء بروجاً } أي تقدس وتنزه أن يكون له شريك في خلقه أو في عبادته الذي بعظمته جعل في السماء بروجاً وهي البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . والكواكب السبعة السيارة هي : المريخ ، والزهرة وعطارد ، والقمر ، والشمس ، والمشتري ، وزحل فهذه الكواكب تنزل في البروج كالقصور لها .

وقوله تعالى { وجعل فيها سراجاً } هو الشمس { وقمراً منيراً } هو القمر أي تعاظم وتقدس الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وقوله { وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه } أي يخلف بعضهما بعضاً فلا يجتمعان أبداًً وفي ذلك من المصالح والفوائد مالا يقادر قدره ومن ذلك أن من نسي عملاً بالنهار يذكره في الليل فيعمله ، ومن نسي عملاً بالليل يذكره بالنهار فيعمله ، وهو معنى قوله { لمن أراد أن يذكر } وقوله { أو أراد شكوراً } فإن الليل والنهار ظرفان للعبادة الصيام بالنهار والقيام بالليل فمن أراد أن يشكر الله تعالى على نعمه فقد وهبنا له فرصة

لذلك وهو الليل للتهجد والقيام والنهار للجهاد والصيام .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- دعوة الله ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً ممن يدعوهم إلى الله تعالى ومن أراد أن يتطوع من نفسه فينفق في سبيل الله فذلك له .

2- وجوب التوكل على الله فإنه الحي الذى لا يموت وغيره يموت .

3- وجوب التسبيح والذكر والعبادة وهو هي زاد العبد وعدته وعونه .

4- مشروعية السجود عند قوله تعالى وزادهم نفوراً للقارىء والمستمع .

5- صفة استواء الرحمن على عرشه فيجب الإيمان بها على ما يليق بجلال الله وكماله ويحرم تأويلها بالاستيلاء والقهر ونحوهما .

6- الترغيب في الذكر والشكر ، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة .

(94/3)

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)

شرح الكلمات :

{ يمشون على الأرض هوناً } : في سكينة ووقار .

{ وإذا خاطبهم الجاهلون } : أي بما يكرهون من الأقوال .

{ قالوا سلاماً } : أي قولاً يسلمون به من الإثم ، ويسمى هذا سلام المتاركة .

{ سجداً وقياماً } : أي يصلون بالليل سجداً جمع ساجد .

{ إن عذابها كان غراماً } : أي عذاب جهنم كان لازماً لا يفارق صاحبه .

{ إنها ساءت متسقراً ومقاماً } : أي بئست مستقراً وموضع إقامة واستقرار .

{ لم يسرفوا ولم يقتروا } : أي لم يبذروا ولم يضيقوا .

{ وكان بين ذلك قواماً } : أي بين الإسراف والتقتير وسطاً .

{ التي حرم الله } : وهي كل نفس آدمية إلا نفس الكافر المحارب .

{ إلا بالحق } : وهو واحد من ثلاث : كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو قتل ظلم وعدوان .

{ يلق أثاماً } : أي عقوبة شديدة .

{ يبدل الله سيئاتهم حسنات } : بأن يمحو بالتوبة سوابق معاصيهم ، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم .

معنى الآيات :

لما أنكر المشركون الرحمن { وقالوا وما الرحمن } وأبوا أن يسجدوا للرحمن ، وقالوا أن محمداً ينهانا عن الشرك وهو يدعو مع الله الرحمن فيقول يا الله يا رحمن ، ناسب لتجاهلهم هذا الاسم الرحمن أن يذكر لهم صفات عباد الرحمن ليعرفوا الرحمن بعباده على حد « خيركم من إذا رُؤي ذُكر الله » فقال تعالى { وعباد الرحمن } ووصفهم بثمان صفات وأخبر عنهم بما أعده لهم من كرامة يوم القيامة ، الأولى في قوله { الذي يمشون على الأرض هوناً } أي ليسوا جبابرة متكبرين ، ولا عصاة مفسدين ولكن يمشون متواضعين عليهم السكينة والوقار ، { وإذا خاطبهم الجاهلون } أي السفهاء بما يكرهون من القول قالوا قولاً يسلمون به من الإثم فلم يردوا السيئة بالسيئة ولكن بالحسنة .

الثانية : في قوله { والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً } أي يقضون ليلهم بين السجود والقيام يصفون أقدامهم ويذرفون دموعهم على خدودهم خوفاً من عذاب ربهم .

والثالثة : في قوله { والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم } إنهم لقوة يقينهم كأنهم شاعرون بلهب جهنم يدنو من وجوههم فقالوا { ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما } أي مُلحّاً لازماً لا يفارق صاحبه ، { إنها ساءت } أي جهنم { مستقراً ومقاماً } أي بئست موضع إقامة واستقرار .

والرابعة : في قوله { والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا } في إنفاقهم فيتجاوزوا الحد المطلوب منهم ، ولم يقتروا فيقصروا في الواجب عليهم وكان إنفاقهم بين الإسراف والتقتير قواماً أي عدلاً وسطاً .

والخامسة : { والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر } أي لا يسألون غير ربهم قضاء حوائجهم كما لا يشركون بعبادة ربهم أحداً { ولا يقتلون النفس التي حرم الله } قتلها وهي كل نفس آدمية ما عدا نفس الكافر المحارب فإنها مباحة القتل غير محرمة . { إلا بالحق } وهو واحدة من ثلاث خصال بينها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث الصحيحين

(95/3)

« لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » { ولا يزنون } أي لا يرتكبون فاحشة الزنا والزنا نكاح على غير شرط النكاح المباح وقوله تعالى { ومن يفعل ذلك } هذا كلام معترض بين صفات عباد الرحمن . أي ومن يفعل ذلك المذكور من الشرك بدعاء غير الرب أو قتل النفس بغير حق ، أو زنا { يلق إثاماً } أي عقاباً { يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه } أي في العذاب { مهاناً } مخزياً ذليلاً ، وقوله تعالى { إلا من تاب } من الشرك وآمن بالله وبلقائه وبرسوله وما جاء به من الدين الحق { وعمل صالحاً } من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام { فأولئك } المذكورون أي التائبون { يبدل الله سيئاتهم حسنات } أي يمحو سيآتهم بتوبتهم ويكتب لهم مكانهم صالحات أعمالهم وطاعاتهم بعد توبتهم { وكان الله غفوراً رحيماً } ذا مغفرة للتائبين من عباده ذا رحمة بهم فلا يعذبهم بعد توبته عليهم ، وقوله { ومن تاب } من غير هؤلاء

المذكورين أي رجع إلى الله تعالى بعد غشيانه الذنوب { وعمل صالحاً } بعد توبته { فإنه يتوب إلى الله متاباً } أي يرجع إليه تعالى مرجعاً مرضياً حسناً فيكرمه وينعمه في دار كرامته .

هدايته الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان صفات عباد الرحمن الذين بهم يعرف الرحمن عز وجل .

2- فضيلة التواضع والسكينة في المشي والوقار .

3- فضيلة رد السيئة بالحسنة والقول السليم من الإثم .

5- فضيلة الاعتدال والقصد في النفقة وهي الحسنة بين السيئتين .

6- حرمة الشرك وقتل النفس والزنى وأنها أمهات الكبائر .

7- التوبة تجب ما قبلها . والندب إلى التوبة وأنها مقبولة ما لم يغرغر .

(96/3)

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72)
وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77)

شرح الكلمات :

{ لا يشهدون الزور } : أي لا يحضرون مجالسة ولا يشهدون بالكذب والباطل .

{ وإذا مروا باللغو } : أي بالكلام السيء القبيح وكل مالا خير فيه .

{ مروا كراماً } : أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن سماعة أو المشاركة فيه .

{ وإذا ذكروا بآيات ربهم } : أي إذا وعظوا بآيات القرآن .

{ لم يخروا عليها صماً وعمياناً } : أي لم يطأطئوا رؤوسهم حال سماعها عمياً لا يبصرون ولا يصماً لا يسمعون بل يصغون يسمعون ويعون ما تدعو إليه ويبصرون ما تعرضه .

{ قرة أعين } : أي ما تقر به أعيننا وهو أن تراهم مطيعين لك يعبدونك وحدك .

{ واجعلنا للمتقين إماماً } : أي من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك قدوة يقتدون بنا في الخير .

{ يجزون الغرفة } : أي الدرجة العليا في الجنة .

{ بما صبروا } : أي على طاعتك بامتثال الأمر واجتناب النهي .

{ حسنت مستقراً ومقاماً } : أي صلحت وطابت مستقراً لهم أي موضع استقرار وإقامة .

{ ما يعبأ بكم ربي } : أي ما يكترث ولا يعتد بكم ولا يبالي .

{ لولا دعاؤكم } : إياه ، ودعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره .

{ فسوف يكون لزاماً } : أي العذاب لزاماً أي لازماً لكم في بدر ويوم القيامة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر صفات عباد الرحمن الذي تجاهله المشركون وقالوا : وما الرحمن فها هي ذي صفات عباده دالة عليه وعلى جلاله وكماله ، وقد مضى ذكر خمس صفات :

والسادسة : في قوله تعالى { والذين لا يشهدون الزور } الزور هو الباطل والكذب وعباد الرحمن لا يحضرون مجالسة ولا يقولونه ولا يشهدونه ولاينطقون به { وإذا أمروا باللغو } وهو كل عمل وقول لا خير فيه { مروا كراماً } أي مكرمين أنفسهم من التلوث به ، بالوقوع فيه .

والسابعة : في قوله تعالى { والذين إذا ذكروا بآيات ربهم } أي إذا ذكرهم أحد بآيات القرآن كتاب ربهم عز وجل لم يحنوا رؤوسهم عليها صماً حتى لا يسمعوا مواعظها ولا عمياناً حتى لا يشاهدوا آثار آياتها بل يحنون رؤوسهم سامعين لها واعين لما تقوله وتدعو إليه مبصرين آثارها مشاهدين وقائعها متأثرين بها .

والثامنة : في قوله تعالى { والذين يقولون } أي في دعائهم { ربنا هب لنا } أي أعطنا { من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين } أي ما تقر به أعيننا وذلك بأن نراهم يتعلمون الهدى ويعملون به طلباً لمرضاتك يا ربنا { واجعلنا للمتقين } من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك بفعل أمرك وأمر رسولك واجتناب نهيك ونهي رسولك { واجعلنا للمتقين إماما } أي قدوة صالحة يقتدون بنا في الخير يا ربنا . قال تعالى مخبراً عنهم بما أنعم به عليهم . { أولئك } أي السامون أنفساً العالون أرواحاً { يجزون الغرفة } وهي الدرجة العليا في الجنة { بما صبروا } على طاعة مولاهم ، وما يلحقهم من أذى في ذات ربهم { ويلقون فيها } أي تتلقاهم الملائكة بالتهاني والتحيات { تحية وسلاماً } أي بالدعاء بالحياة السعيدة والسلامة من الآفات إذ هي حياة بلا ممات ، وسعادة بلا منغصات .

(97/3)

وقوله تعالى { خالدين فيها } أي في تلك الغرفة في أعلى الجنة { حسنت مستقراً } أي طابت موضع إقامة واستقرار . إلى هنا انتهى الحديث عن صفات عباد الرحمن وبيان جزائهم عند ربهم . وقوله تعالى : { قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم } أي قل يا رسولنا لأولئك المشركين المنكرين للرحمن { ما يعبأ بكم ربي } أي ما يكترث لكم أو يبالي بكم { لولا دعاؤكم } إياه أي عبادة من يعبده منكم إذ الدعاء هو العبادة ما أبالي بكم ولا أكترث لكم . أما وقد كذبتم بي وبرسولى فلم تعبدوني ولم توحدوني وإذاً { فسوف يكون } العذاب { لزاماً } وقد أذقتموه يوم بدر ، وسوف يلازمهم في قبورهم إلى نشورهم ، وسوف يلاحقهم حتى مستقرهم في جهنم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- حرمة شهود الزور وحرمة شهادته .

2- فضيلة الإعراض عن اللغو فعلاً كان أو قولاً .

3- فضيلة تدبر القرآن وحسن الاستماع لتلاوته والاتعاظ بمواعه والعمل بهدايته .

4- فضيلة علو الهمة وسمو الروح وطلب الكمال والقدوة في الخير .

5- لا قيمة للإنسان وهو أشرف الحيوانات لولا عبادته الله عز وجل فإذا لم يعبده كان شر الخليقة .

(98/3)
